سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض ٦٩

شرح المقدمة الأدبية

لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام

تأليف

العلامة محمد الطاهر ابن عاشور

(١٢٩٦-١٣٩٣هـ)

تحقيق

ياسر بن حامد المطيري

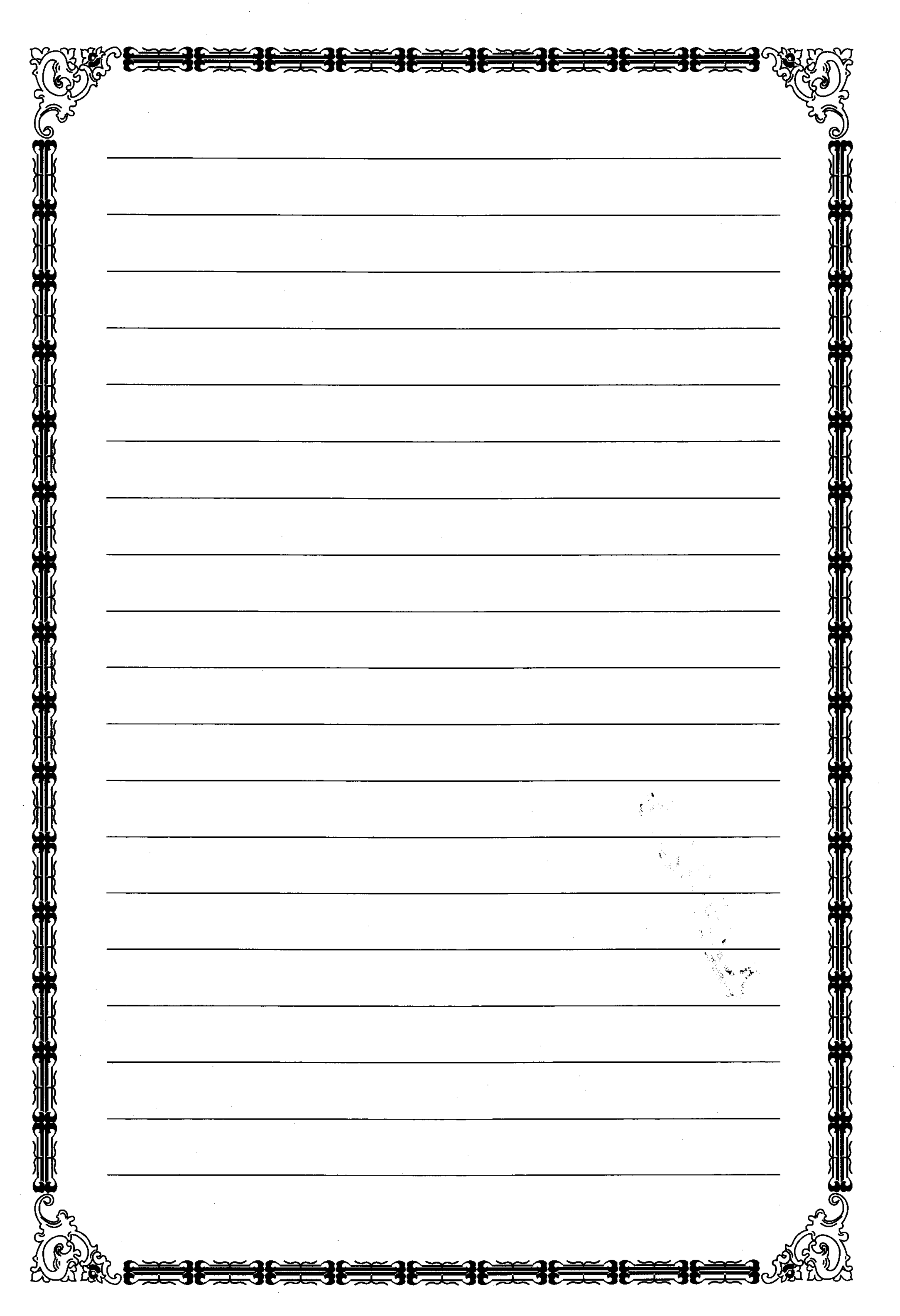
تقديم

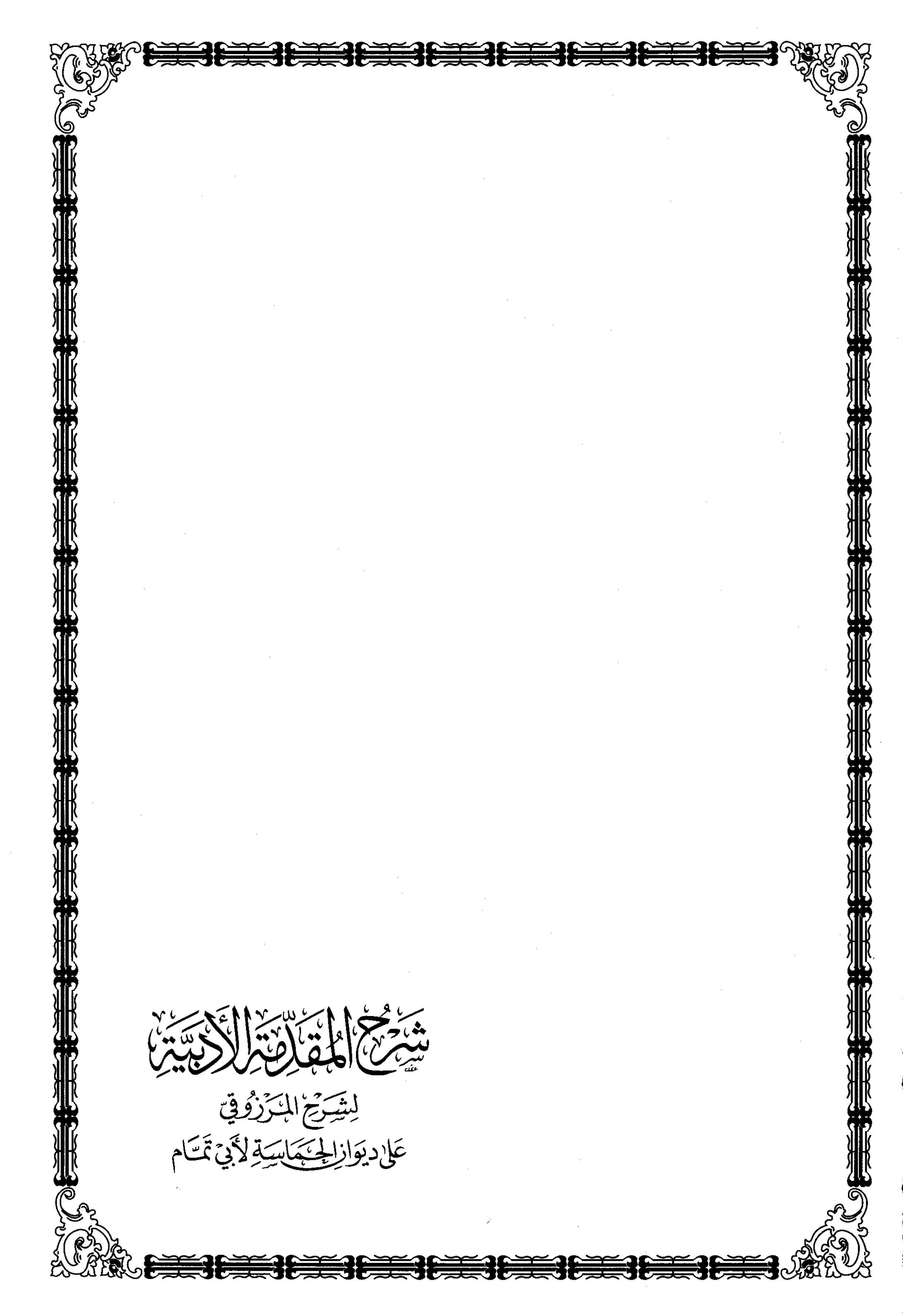
فضيلة الشيخ الدكتور

عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض



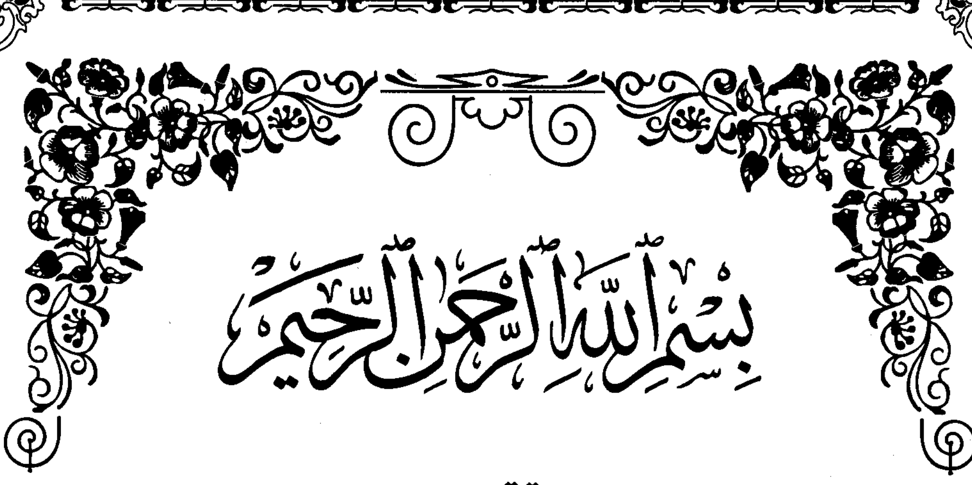

شرح المقدمة الأدبية
لشرح المرزوقي
على ديوان الحماسة لأبي تمام

ح مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن عاشور، محمد الطاهر
شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام. / محمد الطاهر بن عاشور؛ ياسر حامد المطيري.- الرياض، ١٤٢٩هـ
٢٣٢ص؛ ١٧×٢٤سم.-(سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر؛ ٦٩)
ردمك: ٨ ـ ١ ـ ٨٠٣٤ ـ ٩٩٦٠ ـ ٩٧٨
١ ـ الشعر العربي ـ العصر العباسي الأول ٢ ـ الشعر الحماسي
أ. المطيري، ياسر حامد (محقق) ب. العنوان ج. السلسلة
ديوي ٨١١,٤٠٢٤ ١٤٢٩/٦٦١٢

الطبعة الأولى
ذو القعدة ١٤٣١هـ

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية . الرياض

المركز الرئيسي ـ طريق الملك فهد ـ شمال الجوازات
هاتف ٤٠٦٥٥٥٣ ـ فاكس ٤٠٨٣٦٩٨ ـ ص.ب: ٥١٩٢٩ ـ الرياض ١١٥٥٣
الفروع ـ طريق خالد بن الوليد (إنكاس سابقاً) ت: ٢٣٢٢٠٩٥
المدينة النبوية ـ طريق سلطانة ـ ت: ٠٤/٨٤٦٧٩٩٩
مكة المكرمة ـ الجميزة ـ الطريق النازل للحرم ـ ت ٠٢/٥٧٦١٣٧٧



تقديم

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ نابغة تونس في القرن الرابع عشر الهجري وشيخ الإسلام فيها، وهو أحد أعلام الأمة الإسلامية الكبار، والحديث عن هذا الرجل العظيم متعدد الجوانب لتعدد نواحي العبقرية والنبوغ لديه. فهو علامة في التفسير والحديث والأصول والفقه واللغة والنحو والبلاغة، وما إلى ذلك من علوم الاجتماع والأخلاق والعمران، ويشهد لذلك ما خلَّفه من الآثار القيِّمة في هاتيك الفنون، بيد أن كثيراً منها لم ير النور بعد.

وتتميز مصنفات ابن عاشور بالاستقراء والتحقيق الحصيف وإشراق الفكرة وسمو العبارة، والآية الكبرى في هذا تفسيره الضخم «التحرير والتنوير» الذي سلخ من عمره في تأليفه قرابة أربعين سنة، فجاء كتاباً حافلاً يفاخر به هذا القرن ما سبقه من القرون، لا سيما في باب بلاغة القرآن، ولو وفِّق فيه المؤلف إلى مذهب السلف في الصفات لكان كلمة إجماع.

ومن أعمال ابن عاشور الجليلة شرحه للمقدمة الأدبية التي دبّجتها يراعة الأديب النحوي اللغوي أبي علي المرزوقي في فاتحة شرحه لحماسة أبي تمام.

وتتحدث المقدمة عن صناعة الشعر ونقده وبيان معايير الجودة فيه واللفظ والمعنى والصدق والكذب في الشعر وأشياء من قضايا الكتابة الأدبية. ولقد جاءت المقدمة موجزة «مركزة» إلى حدٍّ كبير، وفيها مسائل تحتاج إلى بسط وتوضيح، فأتى عليها ابن عاشور ـ بما أوتي من فهم ثاقب وسعة اطلاع ـ بالشرح والبيان والتحليل العميق، واستعان بنصوص كثيرة من الشعر والنثر لإيضاح مرامي المرزوقي من كلامه. وإن العارفين بهذا الفن ليكبرون هذا الشرح، ومرجع ذلك إلى أمرين:

١ ـ علو كعب الشارح وإمامته في العلوم، حتى إنه ليجري على طريقة قدماء النقاد الكبار كالآمدي وعلي بن عبد العزيز الجرجاني وابن وهب وغيرهم.

٢ ـ أن هذا الشرح هو الوحيد الموجود بين أيدينا للمقدمة المرزوقية.

وقد طبع هذا الشرح في حياة مصنفه عام ١٣٧٧هـ، وعن هذه النشرة طبعته ـ ثانية ـ الدار العربية للكتاب (ليبيا ـ تونس) عام ١٣٩٨هـ، وفقد في حينه.

ولذا سمت همة الشاب النابه الأستاذ ياسر بن حامد المطيري إلى أن يعيد نشر الكتاب في الناس مرةً أخرى محققاً تحقيقاً علمياً، فخرَّج ما فيه من الحديث والشعر، ووثَّق نصوصه وعرضها على أصولها، وعرَّف بأعلامه، وعلَّق على ما يحتاج إلى تعليق، وصوَّب ما وقع فيه من أخطاء الطبع والتصحيف، وصدَّره بمقدمة ترجم فيها للماتن والشارح، وعَرض فيها أسباب نشر الرسالة، وقيمتها العلمية. وكان الأخ ياسر قد قرأ الكتاب عليّ قراءة درس وشرح، ثم قرأه عليّ بتعليقاته فحمدت له صنيعه؛ إذ وجدته وافياً بما يحتاجه القارئ. ومما يهم القارئ معرفته عن المحقق أنه متخرج في كلية اللغة العربية إحدى كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (حرسها الله تعالى) سنة ١٤٢٧هـ، وهناك

عرفته في قاعات الدراسة طالباً متميزاً في علمه وأدبه، بل كان من الثلة التي جمعت بين علوم اللغة وعلوم الشريعة.

فشكر الله للأستاذ ياسر ما بذل هنا، وغفر الله للشارح والمؤلف، ووفق الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه
عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر
الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض في ٧ شعبان ١٤٢٨هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

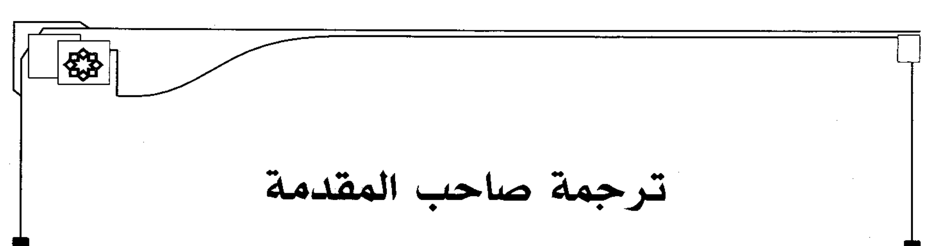
أما بعدُ:

فهذه دُرَّةٌ من دُرَرِ العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، المتوفَّى سنة ١٣٩٤هـ - رحمه الله تعالى - شَرَح فيها المقدِّمةَ الأدبيَّةَ لشرحِ المرزوقيِّ على ديوانِ الحماسةِ اختيارِ أبي تمام. وقبل أن يشرف القارئ الكريم على الرسالة، يجد بين يديه تصديراً عن الأمور الآتية:

- ترجمة صاحب المقدمة.
- ترجمة الشارح.
- أهميةُ الرسالة، مع لَمْحةٍ في منهج المؤلف.
- موارده.
- أسباب نشر الرسالة.
- منهج التحقيق.

ومن الله أستمِدُّ العَوْنَ، وأستَلْهِمُ الرَّشَد.





ترجمة صاحب المقدمة

أحمد[١] بن محمد بن الحسن، أبو علي المرزوقي الأصبهاني. قال ياقوت: «غايةٌ في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحُجَجِ وحسن الاختيار، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجَوْدة»[٢]. وتابعه في ذلك الصَّفدي[٣] ثم السيوطي[٤]. وقال عنه الذهبي: «إمام النحو، تصدَّر وأخذ الناس عنه، ورحلوا إليه»[٥]. وقال الصاحب بن عبَّاد: «فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائكٌ، وحَلّاجٌ، وإسْكَافٌ. فالحائك هو المرزوقي، والحلاج أبو منصور ابن ماشدَّة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالرَّيّ، صاحب التصانيف في اللغة»[٦].

ولا تذكر المصادر شيئاً عن نشأته وولادته سوى القول بأنه من أصبهان. أما وفاته فقد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٤٢١هـ.

شيوخه وتلاميذه:

لم يذكرِ المترجمون للمرزوقي شيخاً إلا أبا عليٍّ الفارسيّ المُتوفَّى سنة ٣٧٧هـ، فقد قرأ عليه كتاب سيبويه، وتَلْمَذَ له بعد أن كان رأساً

---

(١) **مصادر ترجمته**: معجم الأدباء ٢/٥٠٦، إنباه الرواة ١/١٠٦، الوافي بالوفيات ٨/٥، طبقات ابن قاضي شهبة ١/٢٣٩، سير أعلام النبلاء ١٧/٤٧٥، بغية الوعاة ١/٣٦٥، كشف الظنون ٢/١٢٧٣، إيضاح المكنون ١/١٩١، هدية العارفين ١/٧٣، الأعلام ١/٢١٢.

(٢) معجم الأدباء ٢/٥٠٦.

(٣) الوافي بالوفيات ٨/٥.

(٤) بغية الوعاة ١/٣٦٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٧٥.

(٦) معجم الأدباء ٢/٥٠٦.

بنفسه. وذكر الأستاذ طاهر الأخضر أنه من خلال تتبعه لشرح المرزوقي عرف من شيوخه أيضاً أبا الفضل بن العميد وأبا عبد الله حمزة بن الحسن[١].

وأما تلاميذه فقد ذكروا منهم سعيداً البقَّال.

وقد نال المرزوقي الحظْوة عند بني بُوَيْه، واتخذوه معلِّماً لأولادهم في أصبهان.

وهو يُعدُّ في زُمْرَةِ البصريين؛ ففي مواضع من شرح الحماسة يقول: «أصحابنا البصريون»[٢].

مؤلفاته:

ترك لنا المرزوقي طائفةً من المؤلفات التي تشهد بغزارة علمه، وإمامته في العربية، ومن تلك المؤلفات:

١ - شرح الحماسة. قال ياقوت: «أجاد فيه جِدّاً». وقال القفطي: «وهو الغاية في بابه». وقد طُبِع هذا الشرح بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون في مطبعة لجنة التأليف بمصر سنة ١٣٨٨هـ.

٢ - شرح المفضليات. قال الأستاذ عبد السلام هارون: منه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦.

٣ - شرح الفصيح.

٤ - شرح أشعار هذيل.

٥ - كتاب الأزمنة والأمكنة. وقد طبع في حيدر أباد (الهند) سنة ١٣٣٢هـ.

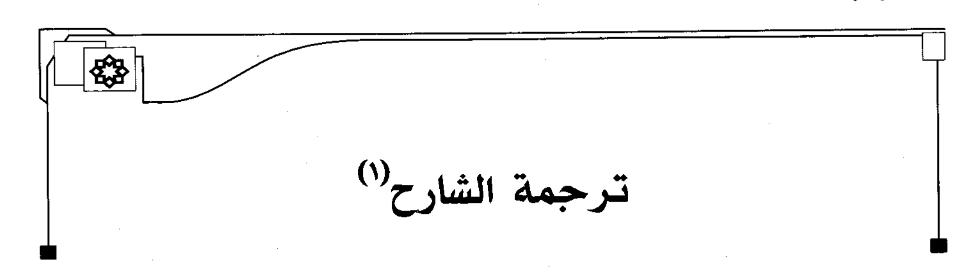
---

(١) منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر ص٥٤، بواسطة قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح الحماسة، للشعلان ص٢٢.

(٢) شرح الحماسة ١/٩٣.

٦ ـ شرح مشكلات ديوان أبي تمام. طُبِع بتحقيق الدكتور عبد الله الجربوع، وصدر عن مكتبة التراث بمكة المكرمة ١٤٠٧هـ.

٧ ـ ألفاظ العموم والشمول. مطبوع بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن ١٤٠٨هـ.



ترجمة الشارح[1]

أسرة آل عاشور:

أسرةٌ اشتهرت بالعلم والفضل في تونس، وطار صيتها في العالم الإسلامي؛ لكثرة من برع فيهم من العلماء والجلة.

وهذه الأسرة أندلسية الأصل، ولد مؤسسها ـ الجد الأعلى ـ محمد (قرابة سنة ١٠٣٠هـ) في مدينة سلا بالمغرب، بعد هجرة والده من الأندلس إلى المغرب خوفاً على دينه، ثم استقر في تونس سنة ١٠٦٠هـ وانحدرت منه الأسرة الكريمة.

صاحب الترجمة:

نسبه وولادته:

العلامة الكبير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور. وأُمُّهُ فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور.

---

(١) **مصادر ترجمته**: الأعلام ٦/ ١٧٤؛ مشاهير القرن العشرين، للأستاذ محمد بوذينة؛ مشاهير التونسيين للأستاذ محمد بوذينة ص٥٣٥؛ تونس وجامع الزيتونة، للعلّامة محمد الخضر حسين؛ عنوان الأريب، لمحمد النيفر؛ تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ ٣/ ٣٠٤، أعلام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، للأستاذ الدكتور محمد العزيز ابن عاشور، دائرة المعارف التونسية، الكرّاس الأول ص٤٠، ٤٦، شيخ الإسلام محمد الطاهر ابن عاشور، للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ١/ ١٥١ وهو من أجلّ ما كتب عنه.

ولد الشيخ ابن عاشور بقصر جدِّه للأم بالمرسى في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ.

ونشأ برعاية والده الشيخ محمد، الزيتوني التعليم والتأهيل ورئيس دائرة الأوقاف، كما كان لجده للأم محمد العزيز بوعتور الأثر الكبير في سلوكه وتعلمه وتربيته.

طلبه للعلم:

في تلك البيئة العلمية الأصيلة أقبل الفتى منذ السنة السادسة من عمره على مسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس، فحفظ القرآن الكريم ورتّله على الشيخ المقرئ محمد الخياري، وحفظ مجموعةً من المتون العلمية كابن عاشر، والرسالة، والقطر، ونحوها مما كان يُعنى المؤدبون بتلقينه لتلامذتهم الصغار. ودرَس في المسجد نفسِه شرحَ الشيخ خالد الأزهري على الآجُرُّوميَّة[(١)]. وفي سنة ١٣١٠هـ التحق الشاب محمد الطاهر ابن عاشور بجامع الزيتونة لطلب العلم، وكانت المواد التي تدرّس بهذا المعهد الديني متنوعة بين مقاصد ووسائل. وعلى هذا الأساس درس علوم الوسائل من النحو، والصرف، والبلاغة، وأصول الفقه، والمنطق، وعلوم المقاصد كتفسير القرآن، والقراءات، والحديث ومصطلحه، والعقيدة، والفقه وغيرها[(٢)].

شيوخه:

تخرج ابن عاشور على طائفةٍ من المشايخ، منهم:

الشيخ عبد القادر التميمي في تجويد القرآن وعلم القراءات.

والشيخ محمد النخلي، درس عليه القطر، والمكودي على ألفية

(١) تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ ٣/ ٣٠٤.

(٢) شيخ الإسلام ابن عاشور، للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ١/ ١٥٤ بتصرف يسير.

ابن مالك، ومختصر السعد في البلاغة، والتهذيب في المنطق، ودرس عليه الحطّاب على الورقات، والتنقيح للقَرَافي في أصول الفقه، وكتاب ميارة على المرشد، وكفاية الطالب على الرسالة في الفقه المالكي.

وقرأ على الشيخ محمد الشريف كتاب الشيخ خالد الأزهري، والقَطْر لابن هشام، والسُّلَّم في المنطق، ومختصر السعد على العقائد النسفية، والتاودي على التحفة في الفقه.

وأخذ عن الشيخ عمر ابن عاشور لاميَّةَ الأفعال وشروحها في الصرف، وتعليق الدَّمَاميني على مغني اللبيب لابن هشام في النحو، والدَّرْدِير في الفقه، والدُّرَّة في الفرائض.

وأعاد على الشيخ محمد النجار الشريف بعض ما أخذ من الكتب، وكذا كتاب المواقف في علم الكلام، والبَيْقونيَّة في مصطلح الحديث.

وتلقّى من الشيخ محمد طاهر جعفر شرحَ المحلِّي على جمع الجوامع في أصول الفقه، والشهاب الخَفَاجي على الشِّفَاء للقاضي عياض في السيرة النبوية[1].

أعماله:

تقلَّد الشيخ ابن عاشور كثيراً من الأعمال الإدارية الكبار، وتقلّب في درجات التدريس[2].

ومن أبرز تلك الأعمال:

عيّن عضواً بمجلس إدارة الجمعية الخلدونية سنة ١٣٢٣هـ.

شارك في اللجنة المكلفة بوضع فهرست للمكتبة الصادقية سنة ١٣٢٣هـ، ثم ترأس اللجنة سنة ١٣٢٧هـ.

---

(١) دفتر دروس الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ص١ ـ ٣٩، بواسطة شيخ الإسلام ابن عاشور، للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ١/ ١٥٥، ١٥٦.

(٢) **ينظر**: شيخ الإسلام ابن عاشور، للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ١/ ١٦٤.

وسمي نائب الدولة لدى النظارة العلمية سنة ١٣٢٥هـ.

وعين عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى سنة ١٣٢٨هـ.

ثم شيخاً للجامع الأعظم سنة ١٣٥١هـ.

وإثر استقلال البلاد عيّن عميداً للجامعة الزيتونية سنة ١٣٧٥هـ.

ومن أعماله الشرعية:

عين قاضياً مالكياً بالمجلس الشرعي سنة ١٣٣٢هـ.

ثم مفتياً في رجب سنة ١٣٤١هـ.

فشيخ الإسلام المالكي سنة ١٣٥١هـ[١].

وقد انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٠م بصفة مراسل، وفي مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٥م، وله مشاركة في الموسوعة الفقهية في الكويت. وشارك في مؤتمر المستشرقين في اصطنبول سنة ١٩٥١م. وله الكثير من المقالات في مجلة الهداية الإسلامية وغيرها.

آثاره العلمية:

- تفسير «التحرير والتنوير» من أهم تصانيفه في ثلاثين مجلداً.
- أليس الصبح بقريب؟
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة.
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا.
- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح. (في الأصول).

---

(١) تراجم المؤلفين التونسيين ٣/ ٣٠٤.

- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم.
- قصة المولد.
- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.
- أصول الإنشاء والخطابة.
- شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلّق.
- موجز البلاغة.
- شرح المقدمة الأدبية (وهو هذا الكتاب).
- تحقيق الواضح في مشكلات شعر المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي.
- شرح ديوان بشار بن برد في أربعة أجزاء.
- شرح ديوان النابغة الذبياني.

ومن آثاره المخطوطة:

- أصول التقدم في الإسلام.
- أمالٍ على دلائل الإعجاز للجرجاني.
- أمالٍ على مختصر خليل.
- قطع من شرح ديوان الحماسة.
- شرح معلقة امرئ القيس.
- تعليقات على المطول وحاشية السيالكوتي.
- تعليقات وتحقيقات على حديث أم زرع.
- تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب للبطليوسي.
- تحقيق وتعليق على الكتاب المنسوب إلى أبي محرز خلف الأحمر (مقدمة في النحو).
- آراء اجتهادية.

- فهرس في التعريف بعلماء أعلام.
- تاريخ العرب.
- شرح ديوان سحيم.
- تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للطبيب ابن زهر.
- مجموعة فتاوى.
- قضايا وأحكام شرعية.
- تحقيق شرح القرشي على ديوان المتنبي.
- مراجعات تتعلق بكتابي (معجز أحمد) و(اللامع العزيزي).
- شرح قلائد العقيان للفتح ابن خاقان، وشرح على شرح ابن زاكور.
- مجموعة مسائل فقهية وعلمية تكثر الحاجة إليها ويعوّل في الأحكام عليها.
- غرائب الاستعمال.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد علة يسيرة ألمت به، حيث أدى صلاة العصر، والتحق بجوار ربه قبل صلاة المغرب من يوم الأحد ٣ رجب ١٣٩٣هـ[١].

ثناء العلماء عليه:

قال صديقه العلامة محمد الخضر حسين: «وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوةِ النظر، صفاءَ الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق،

---

(١) لمحة من حياة سماحة الأستاذ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، لابنه عبد الملك ص٩، نقلاً عن ابن عاشور ومنهجه في التفسير، لعبد الله الريس ص١٠٥.

وسريرة نقية من كل خاطر سيئ، وهمة طمّاحة إلى المعالي، وجداً في العمل لا يمسه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم». وقال: «هو من رجال العلم الذين لا تجود بهم الأيام إلا قليلاً»(١).

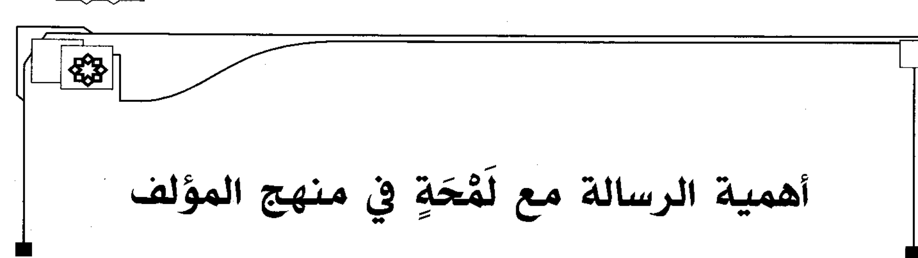
ويضم ديوان (خواطر الحياة) للشيخ محمد الخضر حسين، مقطوعاتٍ وقصائدَ خصَّ بها صديقه الشيخ ابن عاشور، **فمن ذلك قوله:**

أحببته ملء الفؤاد وإنما ... أحببت من ملأ الفؤادُ ودادَه
فظفرت منه بصاحبٍ إن يدر ما ... أشكوه جافى ما شكوت رقادَه
ودريت منه كما درى مني فتىً ... عرف الوفاءُ نجادَه ووهادَه(٢)

وقال العلامة الكبير محمد البشير الإبراهيمي: «علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره؛ فهو إمامٌ متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها. أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقاتٌ ممتازة في التحقيق العلمي.

وهذه لمحات دالَّة في الجملة على منزلته العلمية، وخلاصتها أنه إمام في العلميات لا ينازعه أحد»(٣).

(١) تونس وجامع الزيتونة، للخضر حسين ص١٢٥.
(٢) ديوان خواطر الحياة ص٩٠، **وينظر**: ص٦٠، ٦٥، ٩٣، ٢٢٦، ٢٣١.
(٣) آثار الإمام الإبراهيمي (عيون البصائر) ٣/ ٥٤٩.



أهمية الرسالة مع لَمْحَةٍ في منهج المؤلف

هذه الرسالة شرحٌ لمقدمة المرزوقي على شرحه لحماسة أبي تمام، ويمكن معرفة أهميتها بمعرفة أهمية «المقدمة»، فتلك المقدمة تُعدُّ وثيقةً هامّةً في تاريخ النقد الأدبي، وهي ـ كما قال الدكتور إحسان عباس ـ: «مقالةٌ يعز نظيرها، تنم عن ذكاء فذ، وفكر منظم»[(١)]. فقد ناقشت قضايا نقدية شائكة، قال الأستاذ أحمد أمين: «ووجدت له مقدمة في النقد لم أر مثلها في اللغة العربية، فكم كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن «عمود الشعر» ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها، حتى شرحها المرزوقي شرحاً دقيقاً وافياً، وكم له من حسنات أخرى غير هذه»[(٢)].

ويبدو أن المرزوقي اطلع على آراء النقاد قبله، مثل: ابن قتيبة، وابن طباطبا، وقدامة بن جعفر، والقاضي الجرجاني، والآمدي، وابن فارس، وغيرهم، وقد صرح بالأخذ عن ابن طباطبا. وهو يعرض كل ذلك عرضاً منظماً، مضيفاً فهمَه وتصوُّرَه.

وحين نريد أن نتلمس القضايا النقدية التي تعرض لها المرزوقي، نجدها تتمثل في:

عمود الشعر وهو أبرز ما حرَّره، واللفظ والمعنى، والصدق والكذب، وقضية اختيار الشعر والعلاقة بين عمل الأديب واختياره، والمطبوع والمصنوع، والموازنة بين النظم والنثر أيهما أشرف قدراً، ثم

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص٤٠٥.

(٢) مقدمة محقق شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ص٤.

الحديث عن منزلة الشاعر والكاتب، والعلة في كثرة الشعراء وقلّة النثّار. في قضايا أخر حررها رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

أما الشارح ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه أتى على ذلك كلِّه بالبيان والتفصيل، وضرب الأمثال، لكنه يحجم عن بيان ما يرى أن المرزوقي قد أجلاه غاية الجلاء[٢]، كما أنه ينقل عن كبار علماء البلاغة والأدب والنقد فيما يعرض له، مستعيناً بفهمه الثاقب. وقد اعتنى ببيان معاني المفردات اللغوية بياناً مقتضباً، وربما استرسل ليستدل على المعنى بنصٍّ من نصوص الوحيَيْن أو بيتٍ من الشعر، وكذلك فهو يحرص على نسبة الأبيات إلى أصحابها، والترجمة للمغمورين من الأعلام مع الإحالة إلى المراجع.

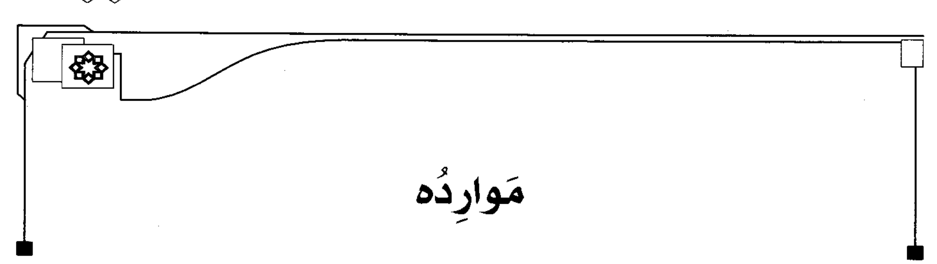
وقد يخرج ـ إذا سنحت فرصة ـ إلى بعض العلوم فتراه يعالج قضية نحْوية أو مسألة في الصرف أو في المنطق أو في أصول الفقه ـ وهذا أمرٌ مفروضٌ على ذوي الاطلاع الواسع، وفيه منافع وقد لا يُستحسن إذا كثر، بل اشتكى منه ابن عاشور في تدريسه[٣] ـ. ومما يُذكر للشارح فيُشكر مقارنته أحياناً بين النسخ عند اختلافها، والترجيح لما يراه صواباً.

---

(١) **ينظر**: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص٤٠٦، حماسة أبي تمام وشروحها ص١١٨.

(٢) **ينظر**: ص١٥٢ من الرسالة.

(٣) **ينظر**: أليس الصبح بقريب؟ لابن عاشور ص١٠.



مَوارِدُه

ابن عاشور عالمٌ موسوعي، وقد توفر له مكتبة خاصة ضخمة في داره بالمرسى، وتُعد من المكتبات المتميزة، لا في تونس وحدها، بل خارجها أيضاً، وقد تجلَّى ذلك في مصنفاته، ومنها هذه الرسالة، حيث آب إلى مصادر كثيرة، وصرّح بها، فمن ذلك:

١ ـ دلائل الإعجاز، للجُرْجَاني.

٢ ـ أسرار البلاغة، للجرجاني.

٣ ـ البيان والتبيين، للجاحظ.

٤ ـ نقد الشِّعر، لقدامة بن جعفر.

٥ ـ المثَل السَّائر، لابن الأثير.

٦ ـ الجامع الكبير، لابن الأثير.

٧ ـ صُبْح الأعْشَى في صناعةِ الإنشا، للقَلْقَشَنْدي.

٨ ـ مِفتاح العُلوم، للسَّكَّاكي.

٩ ـ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني.

١٠ ـ العُمْدَة في صناعةِ الشِّعرِ ونَقْدِهِ، لابن رشيق القَيْرَواني.

١١ ـ مُعْجَم الأُدَبَاء، لياقوت الحَمَوي.

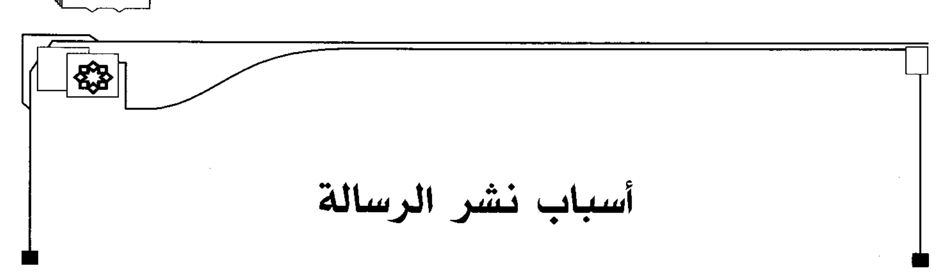
١٢ ـ الموازَنة بين أبي تمام والبُحتري، للآمِدِي.

١٣ ـ لسان العرب، لابن منظور.

إلى غير ذلك من المصادر المهمة المختلفة[١]، فهو في أكثر المسائل يحيلك إلى كتاب، وإذا قرأت هذه الرسالة ألفيت أنك تطوف بمكتبةٍ عامرةٍ تأخذ منها وتدع، وفي ذلك كمال الفائدة والإمتاع.

---

(١) **ينظر**: فِهرِس الكتب.



أسباب نشر الرسالة

طَبع المؤلف هذه الرسالة في مجلة مجمع اللغة بدمشق في سبعة أعداد من المجلدات التاسع والعشرين، والثلاثين، والحادي والثلاثين من شهر شوال عام ١٣٧٣هـ إلى جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ، ثم طبعها مفردةً في دار الكتب الشرقية بتونس سنة ١٣٧٧هـ، ثم أُعِيد صفّها في الدار العربية سنة ١٣٩٨هـ، بَيْدَ أني أعدت نشرها لأمورٍ منها:

١ ـ ندرتها وقدم العهد بها، حتى إن طائفةً كبيرةً من المتخصِّصين لا يعلمون عنها شيئاً.

٢ ـ الحاجة إلى التعليق على نصوصها، لتقريبها للشَّادين في الأدب والشعر.

٣ ـ أن الطبعات السابقة لا تليق بالرسالة ـ إضافةً إلى نفادها ـ فهي خلْوٌ من تخريج الآيات والأحاديث والشعر، ومن توثيق النُّقُولِ في أكثر المواطن، مُعرِضةٌ عن تبيين المُجْمَل وضَبْطِ المُشْكِل، مكدَّرةٌ بالتصحيف والتحريف، مجرَّدةٌ عن الفهارس، في أمورٍ أُخَر يتبيَّنُها من طالعها وطالع هذه الطبعة.

٤ ـ توثيق نصوصها من الطبعات المتداولة المحققة؛ فإن الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتمد في العزو على طبعاتٍ قديمة؛ كطبعات بولاق والجوائب وغيرها، بل مخطوطاتٍ تحتفظُ بها الخِزانةُ العَاشوريَّة.

هذا وقد اعتمد المؤلف في نشرته على طبعة الدكتور شكري فيصل

لمقدمة المرزوقي[١]، ثم ذكر أنه رأى طبعة لجنة التأليف بمصر، بين ذلك في مقدمة شرحه (طبعة مجمع اللغة).

منهج التحقيق:

سلكتُ في تحقيق الرسالة الخطوات الآتية:

١ - عزو الآيات القرآنية إلى سُوَرها، مُثْبَتَةً بالرَّسْمِ العُثماني، وذكر أرقامها في الصلب.

٢ - تخريج الأحاديث النبوية، مع نقل الأحكام عليها.

٣ - نسبة الأبيات الشعرية إلى أصحابها.

٤ - كتابة النص وَفق القواعد الإملائية الحديثة، وضبط ما يُشْكِل.

٥ - رَجْعُ النصوص التي استقاها المؤلِّفُ عن غيره من العلماء إلى أصولها، مبيِّناً مواضعها، وإن أحال المؤلِّف إلى مخطوطةٍ أو طبعةٍ قديمة، ذيَّلتُ ذلك بعزو النقل إلى الطبعة المحقَّقةِ المُتداولَة.

٦ - الترجمة للأعلام ترجمةً موجزة.

٧ - تتميم كلام المؤلِّفِ في بعض المواضع، مما لا بد منه أو ما يحتاجه القارئ، وكذا الإحالة على نظائر لكلام المؤلف من أقوال أهل العلم.

٨ - التعليق على كلام المؤلف إن اقتضى الأمر ذلك.

٩ - إثبات الحواشي التي وضعها المؤلف كما هي، وختْمُها بلفظة **(المؤلف)**. وإذا أردت الإضافة صدَّرْتُ الكلام بقولي **(قلت)**.

١٠ - مقابلة مقدمة المرزوقي على طبعة الأستاذ عبد السَّلام هارون، وإثبات الفرق - إن كان مهمّاً - في الحاشية، وربما تُجعَل في

---

(١) نُشرت المقدمة بتحقيق الدكتور شكري فيصل، في الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين من مجلة المجمع العلمي بدمشق.

المتن إن كان المثبت في الأصل خطأً خالصاً، مع التنبيه على ذلك في الحاشية. ورمزت لهذه النسخة بالحرف (س).

١١ ـ اعتمدت في النشرة التي بين يديك طبعةَ دار الكتب الشرقية، وأشرت إليها بـ**(الأصل)** أو **(المطبوع)**، وذلك لأنها تشتمل على زياداتٍ كثيرة ونقولاتٍ عن العلماء خلت منها طبعة مجلة مجمع اللغة بدمشق، أضافها المؤلف فيما بعد، شأن كل مؤلِّف حين يعيد طبع كتابه، كما أن طبعة دار الكتب الشرقية طبعها المؤلف بعد نشرها في المجلة بسنتين؛ فتعتبر ناسخةً لها، بيد أن نسخة المجلة تفضُل هذه بذكر الفروق بين النسخ من مقدمة المرزوقي، ويبدو أن الشارح أهملها أخيراً لقلّة جدواها، مكتفياً بذكر المهم. ومع هذا فقد استفدت من طبعة المجلة في تصحيح تصحيف، أو استدراك سقط، أو زيادة فائدة فألحقها في الأصل منبهاً عليها في الهامش، وأشرت إلى الفروق المهمة بين الطبعتين، وقد رمزت لنشرة المجلة بالحرف (ج).

١٢ ـ عرض جميع النصوص المنقولة على مصادرها، وإثبات الفرق ـ إن كان ذا بالٍ ـ.

١٣ ـ التَّمييز بين مقدمة المرزوقيِّ وشرحِها؛ بجَعْلِ المُقَدِّمةِ بخطٍّ غليظ. وقد صدرتُ الرسالة بمقدمة المرزوقي دون الشرح والحواشي؛ فإن «علىٰ الدارس أن يقرأ المقدمة أولاً مجرّدةً عن الشرح، ليتصور أغراضها ويحدد عناصرها، ثم يتبع بذلك النظر في شرحها ليجد فيها طلبته، ويبلغ بها حاجته»[1].

١٤ ـ شرح الاصطلاحاتِ وغرائبِ المفردات ـ شرحاً وجيزاً.

١٥ ـ صنع فهارس متنوعةً للكتاب.

---

(١) شيخ الإسلام ابن عاشور، للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ١/ ٦٥٠.

وختاماً وقد منَّ الله عليَّ بإتمام هذا العمل، فإني معترفٌ بتقصيري، وعَذِيري أنني مجتهد، فإن أصبت فمن لطف الله وعونه، وإن أخطأت فأستغفر الله تعالى. ثم لا يسعني إلا أن أنوّه بفضل من دلّني على هذه الرسالة وشجعني على نشرها، من كَثُرت لديَّ فضائلُه وفواضلُه شيخنا المِفَنّ أبي عبد الملك عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، فقد منحني من وقته في قراءة الرسالة والتعليق عليها، ولا سفر لي مهما يكن قاصداً دون الاهتداء بنجمه، فأحسن الله إليه وأثابه.

شكرتُ جميلَ صُنْعِكُمُ بدمعي ... ودمعُ العينِ مِقياسُ الشُّعُورِ
لأوَّلِ مَرَّةٍ قد ذاقَ جَفْني ... على ما ذاقَهُ ـ دَمْعَ السُّرُورِ[(١)]

وقبل أن أَثنِي القلم، أختم بقَوْلَةِ ابنِ عبدوس النيسابوري: «إني لا أعلم في الدنيا كتاباً سلم إلى مؤلِّفهِ فيه، ولم يتعقَّبْهُ بالتتبُّع من يليه»[(٢)]. وكما قال أبو محمد ابن حزم في جوابه لبعض خصومِه: «ولعَمْري إننا لنجهل كثيراً مما عَلِمَهُ غيرُنا، وهكذا الناس، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم»[(٣)].

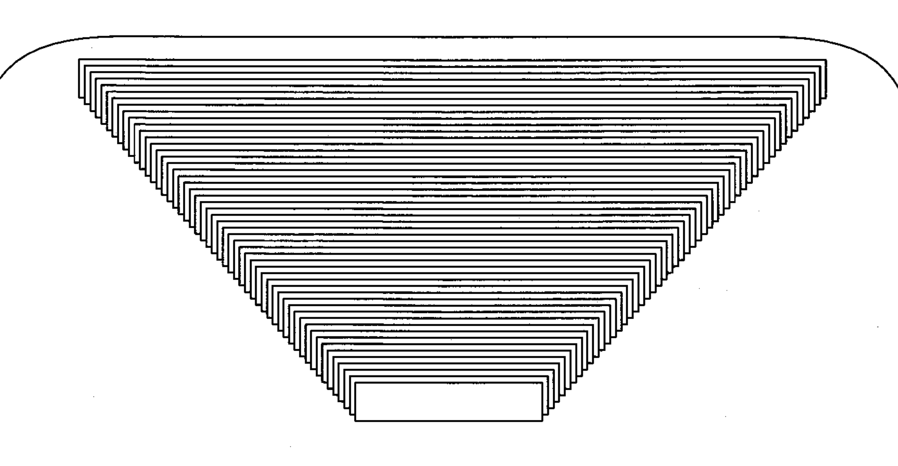
والحمد لله أوَّلاً وآخراً، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب
ياسر بن حامد المطيري
الرياض في ١٦ رجب ١٤٢٨هـ

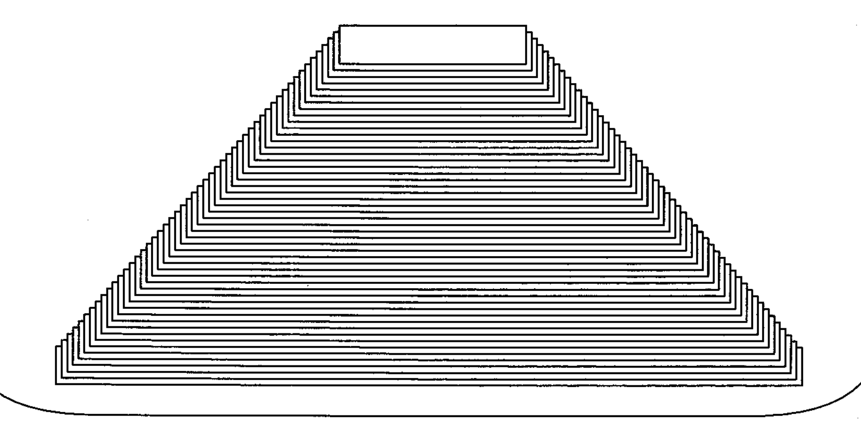
yh1131@hotmail.com

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ص١٩١.
(٢) شرح المواهب، للزرقاني ١/ ٣، شرح ديباجة القاموس، للهوريني ١/ ٣٨.
(٣) رسالة في الرد على الهاتف من بُعد، ضمن رسائل ابن حزم ٣/ ١٢١.

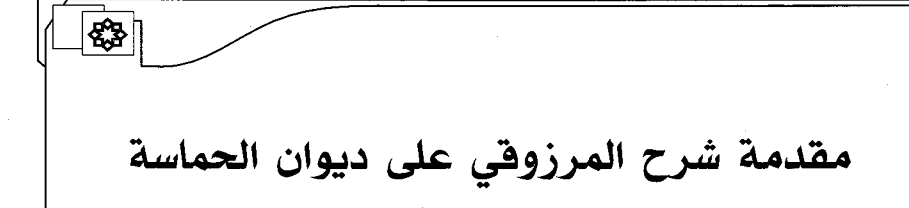


مقدمة شرح المرزوقي
على
ديوان الحماسة









مقدمة شرح المرزوقي على ديوان الحماسة

قال المرزوقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبعدُ فإنك جاريتَني ـ أطال الله بقاءكَ في أشملِ سعادةٍ وأكملِ سلامة، لمَّا وجدتني أقصُرُ ما أستفضلهُ من وقتي، وأستخلصه من وَكْدِي، على عمل شرحِ الاختيار المنسوب إلى أبي تمامٍ حبيب بن أوس الطائي، المعروف بكتاب الحماسة ـ أمرَ الشعرِ وفنونِه، وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به، إذ كان الله أقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم فهو مستودَع آدابها، ومستحفَظ أنسابها، ونظام فخَارها يوم النِّفَار، وديوان حِجَاجها عند الخصام.

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه، وعما يتميَّزُ به النظم عن النثر، وما يُحمد أو يُذمُّ من الغلو فيه أو القصد، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصيرَ جوانبها محفوظةً من الوهن، وأركانُها محروسةً من الوهي، إذ كان لا يُحكم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها، وتأمُّل مأخذه منها، ومدى شأوه فيها، وتمييز المصنوع مما يحوكُه من المطبوع، والأتيُّ المستسهل من الأبي المستنكر.

وقضيتَ العجَبَ كيف وقع الإجماعُ من النقاد على أنه لم يَتَّفق في اختيار المقطوعات أنْقَى مما جمعه، ولا في اختيار المقصَّدات أوْفَى مما دوّنه المفضَّل ونقَدَه.

وقلت: إن أبا تمام معروفُ المذهب فيما يقرِضُه، مألوف المسلك

فيما ينظمه، نازعٌ في الإبداع إلى كل غاية، حاملٌ في الاستعارات كلَّ مشقة، متوصِّلٌ إلى الظفر بمطلوبه من الصّنعة أين اعتَسَف وبماذا عَثَر، متغلغِلٌ إلى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنَّى تأتَّى له وقَدَر. وهو عادلٌ فيما انتخبَه في هذا المجموع عن سلوك معاطف مَيْدانه، ومرتض ما لم يكن فيما يصوغه في أمره وشانه، فقد فلَيْتُه فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوبَ إلا اليسير. ومعلومٌ أن طبع كل امرئٍ ـ إذا ملك زِمام الاختيار ـ يجذبُه إلى ما يستلذُّه ويهواه، ويصرِفه عما ينفر منه فلا يرضاه.

وزعمت بعد ذلك أجمع أنك مع طول مجالستك لجهابذة الشعر والعلماء بمعانيه، والمبرِّزين في انتقاده، لم تقف من جهتهم على حَدٍّ يؤديك إلى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديئه، حتى تُجَرِّدَ الشهادة في شيء منه، وتَبُتَّ الحكم عليه أوْ لَه، آمناً من المجاذِبين والمدافِعين. بل تعتقد أن كثيراً مما يستجيزه زيد، يجوز أن لا يطابقَه عليه عمرو، وأنه قد يُسْتحسَن البيتُ ويُثنَى عليه، ثم يُستهجَنُ نظيُره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة فيعرضُ عنه؛ إذ كان ذلك موقوفاً على استحلاء المُسْتَحلي، واجْتواء المجتوي، وأنه كما يُرزق الواحد في مجالس الكبراء من الإصغاء إليه والإقبال عليه، ما يُحرَم صِنْوُه وشبيهُه، مع أنه لا فضيلة لذلك ولا نقيصة لهذا، إلا ما فاز به من الجَدِّ عند الاصطفاء والقَسْم.

وقلتَ أيضاً: إني أتمنى أن أعرفَ السببَ في تأخر الشعراء عن رُتْبة الكُتَّاب البلغاء، والعذرَ في قلةِ المترسِّلين وكثرةِ المُفْلِقين، والعِلَّةَ في نباهةِ أولئك وخمُول هؤلاءِ، ولماذا كان أكثرُ المترسِّلين لا يُفْلِقُون في قَرْضِ الشعر؟ وأكثرُ الشعراء لا يَبْرَعُون في إنشاء الكتب؟ حتى خُصَّ بالذكر عدد يسيرٌ منهم، مثل: إبراهيم بن العباس الصُّولي، وأبي عليٍّ البصير، والعَتَّابي، في جمعهم بين الفنَّين، واغترازهم رِكاب الظهرين، ونظام البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور.

وأَنَا إنْ شاء الله وبه الحولُ والقوة، أُورِدُ في كلّ فَصْلٍ من هذه الفُصُول ما يحتمِله هذا الموضع، ويمكِنُ الاكتفاء به؛ إذ كان لتقصِّي المقالِ فيه موضِعٌ آخر، من غير أن أنْصُبَ لما تُصَوِّرُهُ النعوتُ الأمثلةَ، تفادياً من الإطالة، لأنه إذا وَضَح السبيلُ، وقَعَتِ الهدايةُ بأيسرِ دليل. والله ﷻ الموفِّق للصواب، وهو حسبنا ونعمَ الوكيل.

اعلم أن مذاهبَ نُقَّادِ الكلامِ في شرائطِ الاختيار مختلفةٌ، وطرائقَ ذوي المعارف بأعطافِها وأردافِها مُفترِقةٌ، وذلك لتفاوت أقدار منادِحِها على اتِّساعها، وتنازُحِ أقطار مظانِّها ومعالِمها، ولأن تصاريفَ المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيفَ المعاني التي هي كالأمتعة في المنثور، اتَّسع مجالُ الطبع فيها ومسْرَحُه، وتشعَّبَ مُراد الفِكْر لها ومطْرَحُه.

فمن البلغاء من يقول: فِقَرُ الألفاظِ وغُرَرُهَا، كجواهرِ العُقُودِ ودُرَرِهَا، فإذا وُسِمَ أغفالُها بتحسين نُظُومها، وحُلِّيَ أعطالُها بتركيب شُذُورِها، فَرَاق مسمُوعُها ومضبوطُها، وزان مفهومُها ومحفوظُها، وجاء ما حُرِّرَ منها مُصَفى من كَدَرِ العِيِّ والخَطَل، مقوَّماً من أَوَدِ اللَّحْنِ والخطأ، سالِماً من جَنَفِ التأليف، موزوناً بميزان الصواب، يموجُ في حواشيه رَوْنَقُ الصَّفاء لفظاً وتركيباً، قَبِلَه الفهم والتذَّ به السَّمع. وإذا وَرَد على ضِدِّ هذه الصفة صَدِئَ الفهمُ منه وتأذَّى السمعُ به تأذِّي الحواسِّ بما يُخَالِفُها.

ومنهم من لم يرضَ بالوقوفِ على هذا الحدِّ فتجاوزَه، والتزم من الزيادة عليه تتميمَ المقطع، وتلطيفَ المطلع، وعَطْفَ الأواخرِ على الأوائل، ودِلالة الموارد على المصادر، وتناسبَ الفصول والوصول، وتعادلَ الأقسام والأوزان والكشفَ عن قِنَاع المعنى بلفظٍ هو في الاختيار أَوْلَى، حتى يطابق المعنى اللفظَ، ويسابق فيه الفهمُ السمعَ.

ومنهم من ترقَّى إلى ما هو أشقُّ وأصعبُ فلم تقنِعْه هذه التكاليفُ

في البلاغة، حتى طلب البديعَ: من الترصيع والتسجيع، والتطبيقِ والتجنيس، وعكسِ البناء في النظم وتوشيحِ العبارة بألفاظٍ مستعارة، إلى وجوهٍ أُخَرَ تَنطق بها الكتبُ المؤلَّفة في البديع، فإني لم أذكُرْ هذا القَدْرَ إلا دلائلَ على أمثالها. ولكلٍّ مما ذكرتُه ومِمَّا لم أذكره رسمٌ من النفوذ والاعتلاء، بإزائه ما يضادُّه فيُسَلم للنُّكوص والاستفال. فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ؛ إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارِض للجواري، فأرادوا أن يَلْتَذَّ السمعُ بما يُدْرِك منه ولا يَمُجَّه، ويَتَلقَّاهُ بالإصغاءِ والإذْن له فلا يحجُبَه.

وقد قال أبو الحسنِ ابنُ طَبَاطَبَا في الشعر: هو ما إن عري من معنى بديع، لم يَعْرَ من حُسْنِ الديباجة، وما خالف هذا فليس بشعر.

ومن البُلَغاء من قصد فيما جَاشَ به خاطِرُه إلى أن تكون استفادةُ المتأمِّلِ لهُ، والباحِثِ عن مكنونِهِ من آثار عقله أكثرَ من استفادتِهِ من آثار قولِهِ أو مُثُلِه، وهم أصحاب المعاني. فطلبوا المعاني المُعْجِبَةَ من خواصِّ أماكنها، وانتزعوها جَزْلَةً عَذْبَةً حكيمةً طريفةً، أو رائقةً بارعةً، فاضلةً كاملةً، أو لطيفةً شريفةً زاهرةً فاخرة، وجعلوا وسومَها أن تكون قريبةَ التشبيه، لائقةَ الاستعارة، صادقةَ الأوصافِ، لائحةَ الأوضاح، خَلّابةً في الاستعطاف، عَطَّافة لدى الاستنفار، مستوفية لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض، والإطناب والتقصير، والجِدِّ والهَزْل، والخُشونة واللَّيان، والإباء والإسماح. من غير تفاوُتٍ يظهر في خِلال أطباقها، ولاقصورٍ ينبَع من أثناء أعماقها، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف، محتجِبةً في غموض الصِّيان لدى الامتهان، تعطيك مُرادك إن رفقت بها، وتمنعك جانبَها إن عنُفت معها. فهذه مَناسب المعاني لطلابها، وتلك مناصب الألفاظ لأربابها.

ومتى اعترفَ اللفظُ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقول فتعانقا، وتلابسا

متظاهرين في الاشتراف وتوافقا، فهناك يلتقي ثريا البلاغةِ فيُمطِر روضُها، ويُنشَر وشيُها، ويتجلى البيان فصيحَ اللسان نجيحَ البرهان، وترى رائدَي الفهم والطبع متباشرين لهما من المسموع والمعقول، بالمَسْرحِ الخِصْب، والمكْرَعِ العذب. فإذا كان النثر ـ بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم ـ اتسع نطاقُ الاختيار فيه على مابيَّنَّاه بحسب اتساع جوانبها وموادها، وتكاثر أسبابها ومواتِّها؛ وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه، ثم تفرَّد عنه وتميَّز بأنْ كان حَدُّه «لفظ موزون مُقَفًّى يدل على معنى»، فازدادت صفاته التي أحاط الحد بها بما انضمَّ من الوزن والتقفية إليها، ازدادت الكُلَف في شرائط الاختيار فيه، لأن للوزن والتقفية أحكاماً تماثلُ ماكانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب. وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد مثلَ ماتقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفِّح، لئلا يختلَّ لهما أصلٌ من أصولهما، أو يعتَلَّ فَرْعٌ من فروعهما.

وإذا كان الأمر على هذا، فالواجب أن يُتَبَيَّنَ ما هو عمودُ الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نِظام القريض من الحديث، ولتعرفَ مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه، ومَراسمُ أقلام المزيّفين على ما زيَّفوه، ويعلمَ أيضاً فرقُ مابين المصنوع والمطبوع، فنقول وبالله التوفيق:

إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجَزالَةَ اللَّفظِ واستقامَتَه، والإصابةَ في الوصف ـ ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة، كثُرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات ـ والمقاربةَ في التشبيه، والتحامَ أجزاء النظم والتئامَها، على تخيُّرٍ من لذيذ الوزنِ، ومناسبةَ المستعارِ منه للمستعارِ له، ومُشَاكلةَ اللفظ للمعنى، وشدةَ اقتضائهما للقافية حتى لامنافرة بينهما. فهذه سبعةُ أبوابٍ هي عَمُود الشعر، ولكلِّ بَابٍ منها مِعْيَار.

فعِيَارُ المعنى أن يُعرض على العقل الصَّحيحِ، والفَهْمِ الثَّاقِبِ، فإذا

انعطف عليه جَنْبَتَا القَبُولِ والاصطفاء، مستأنِسَاً بقرائنِهِ، خرج وافياً، وإلا انتقص بمقدار شَوْبِهِ ووحْشَتِهِ.

وعِيَارُ اللفظِ الطبعُ والرِّواية والاستعمال، فما سلمَ مِمَّا يُهَجِّنُهُ عند العَرضِ عليها فهو المختار المستقيم. وهذا في مفرداته وجُمَله مراعىً؛ لأن اللفظةَ تُسْتَكْرَهُ بانفرادها، فإذا ضَامَّهَا مالا يوافِقُها عادت الجملَةُ هَجِينَا.

وعيار الإصابة في الوصف الذكاءُ وحسنُ التمييز، فما وجَدَاه صادقاً في العُلُوق ممازجاً في اللُّصوق، يتعسَّر الخروج عنه والتبرُّؤ منه فذلك سِيما الإصابة فيه. ويُروى عن عمرَ رضي الله عنه أنه قال في زهير: «كان لا يمدح الرجلَ إلا بما يكون للرجال». فتأمل هذا فإن تفسيرَه ما ذكرناه.

وعيار المقاربة في التشبيه الفطنةُ وحسنُ التقدير، فأصدقُه مالا ينتقضُ عند العكس، وأحسنه ما أُوقِعَ بين شيئين اشتراكُهُما في الصفات أكثر من انفرادهما ليَبِينَ وجهُ التشبيه بلا كُلْفَة، إلا أن يكون المطلوبُ من التشبيه أشهرَ صفات المشبه به، وأملكَها له، لأنه حينئذٍ يدلُّ على نفسهِ، ويحميه من الغموض والالتباس. وقد قيل: «أقسام الشعر ثلاثة: مثلٌ سائرٌ، وتشبيهٌ نادرٌ، واستعارةٌ قريبةٌ».

وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن، الطبعُ واللسانُ، فمَا لم يتعثَّرِ الطَّبْعُ بأبِيِّهِ وعُقُودِهِ، ولم يَتَحبَّس اللِّسانُ في فُصُوله ووصوله، بل استمرّا فيه واسْتَسْهَلاه بلا مَلَالٍ ولا كَلَالٍ، فذلك يُوشِكُ أن تكون القصيدةُ منه كالبيتِ، والبيتُ كالكلمة تشابُهاً لأجزائهِ وتقارُنَا، وألا يكون كما قيل فيه:

وشعرٍ كبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بينَهُ ... لِسَانُ دَعِيٍّ في القَرِيضِ دَخِيلِ

وكما قال خلف:

وبعضُ قريضِ الشعرِ أولادُ عَلَّةٍ ... يكُدُّ لسانَ الناطق المتحفِّظِ

وكما قال رُؤْبَةُ لابنه عُقْبَة، وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال:

قـد قـلـتَ لـو كـان لـه قِـرَانُ

وإنما قلنا: «على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن» لأن لذيذَهُ يَطرَبُ الطَّبْعُ لإيقاعِهِ، ويُمَازِجُهُ بصَفَائِهِ، كما يطرَبُ الفهمُ لصواب تركيبِه، واعتدالِ نُظُومِهِ. ولذلك قال حسَّان رضي الله عنه:

تَغَنَّ في كُلِّ شِعْرٍ أنت قَائِلُهُ   إنَّ الغِنَاءَ لهذا الشِّعْرِ مِضْمَارُ

وعيار الاستعارة الذِّهن والفطنة، ومِلاكُ الأمر تقريبُ التشبيه في الأصل حتى يتناسبَ المشبَّهُ والمشبَّهُ به، ثم يُكتفى منه بالاسم المستعار؛ لأنه المنقولُ عَمَّا كان له في الوضع إلى المستعار له.

وعيارُ مشاكلةِ اللفظ للمعنى وشدةِ اقتضائهما للقافية، طولُ الدُّرْبَة ودوامُ المدارسة، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض، لا جَفَاءَ في خِلَالِها ولا نُبُوّ، ولا زيادة فيه ولا قصور، وكان اللفظُ مقسوماً على رُتَبِ المعاني، قد جُعِل الأخَصُّ للأخَصِّ والأخَسُّ للأخَسِّ، فهو البريءُ من العيب. وأما القافيةُ فيجبُ أن تكون كالموعودِ به المنتظَر، يتشوَّقُها المعنى بحقِّه، واللفظ بقِسْطِه، وإلا كانت قَلِقَةً في مَقَرِّهَا، مجتَلَبَةً لمُسْتَغْنٍ عنها.

فهذه الخصالُ عَمُودُ الشِّعْرِ عند العرب، فمن لَزِمَهَا بحقِّها وبَنَى شعره عليها، فهو عندهم المُفْلِق المعظَّم والمحسِنُ المقدَّم، ومن لم يجمعها كلَّها فبقدر سُهْمَتِهِ منها يكون نصيبُه من التقدم والإحسان، وهذا إجماعٌ مأخوذٌ به، ومتَّبَعٌ نهجُه حتى الآن.

واعلم أن لهذه الخصالِ وسائطَ وأطرافاً، فيها ظهر صدقُ الواصف، وغُلُوُّ الغَالي، واقتصادُ المقتَصِد، وقد اقتَفَرها اختيارُ النَّاقدين؛ فمنهم من قال: «أحسنُ الشعر أصدَقُه»، قال: لأن تجويدَ قائلِهِ فيه مع كونِه في إسَارِ الصدْقِ، يدلُّ على الاقتدار والحِذْق. ومنهم من اختار الغُلُوَّ حتى قيل:

«أحسن الشعر أكذبه»؛ لأن قائلَه إذا أسقط عن نفسِه تقابُلَ الوصْفِ والموصوف، امتَدَّ فيما يأتيه إلى أعلى الرُّتْبَة، وظهرت قُوَّتُه في الصِّيَاغة، وتمهُّرهُ في الصِّناعة، واتَّسعت موالِجُه ومخَارجُه، فتصرَّفَ في الوصف كيف شاء، لأنَّ العَمَلَ عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصادقة والتحقيق، وعلى هذا أكثرُ العلماء بالشعر، والقائلين له. وبعضُهم قال: «أحسَنُ الشعر أقصَدُه»؛ لأن على الشاعر أن يُبَالِغَ فيما يصير به القولُ شعراً فقط، فما استوفى أقسامَ البراعَةِ والتَّجْويدِ أو جُلَّها، من غير غُلُوٍّ في القول ولا إحالةٍ في المعنى، ولم يُخرِجِ الموصوفَ إلى أن لا يُؤْمَنَ بشيءٍ من أوصافه، لظهور السَّرَفِ في آياتِه، وشُمُولِ التَّزَيُّدِ لأقواله، ـ كان بالإيثارِ والانتخابِ أولى.

ويتبع الاختلافَ مَيْلُ بعضِهم إلى المطبوع وبعضِهم إلى المصنوع. والفرقُ بينهما أن الدَّواعي إذا قامت في النفوس، وحَرَّكت القرائح، أَعْمَلت القلوبَ، فإذا جاشت العقولُ بمكنون ودائعِها، وتظاهرت مكتَسَباتُ العُلُومِ وضروريَّاتُها، نبعت المعاني ودَرَّتْ أخلافُهَا، وافتقرت خفيَّات الخواطِرِ إلى جليَّات الألفاظ، فمتى رُفِضَ التكلُّف والتعَمُّل، وخُلِّيَ الطبع المهذَّبُ بالراوية، المدرَّب في الدِّراسة لاختياره، فاسترسل غيرَ محمولٍ عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه ـ أَدَّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ، ما يكون صَفْواً بلا كَدَر وعَفْواً بلا جَهدٍ، وذلك هو الذي يسمَّى «المطبوع». ومتى جُعلَ زِمامُ الاختيار بيدِ التَّعَمُّلِ والتكلُّف، عاد الطبع مستخدَماً متملَّكاً، وأقبلتِ الأفكارُ تستحمِلُهُ أثقالهَا، وتردِّدُهُ في قَبُول ما يؤدّيه إليها، مُطَالِبةً له بالإغرابِ في الصنعة، وتجاوزِ المألوفِ إلى البِدْعَة، فجاء مؤدَّاهُ وأثَرُ التكلُّف يلوح على صفحاته، وذلك هو «المصنوع».

وقد كان يتَّفقُ في أبيات قصائدهم ـ من غير قَصْدٍ منهم إليه ـ اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قَرْضُ الشعر إلى المُحْدَثِين، ورأوا استغرابَ الناس للبديع

على افتنانهم فيه، أُولِعُوا بتَوَرُّدِهِ إظهاراً للاقتدار، وذهاباً على الإغراب. فمن مُفْرِطٍ ومقتَصِد، ومحمود فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نُهوض الطبع بما يُحَمَّلُ، ومَدَى قُوَاهُ فيما يُطلَبُ منه ويُكَلَّف. فمن مال إلى الأوَّلِ فلأنه أشبه بطرائق الأعراب، لسلامته في السَّبْكِ، واستوائه عند الفَحْص، ومن مال إلى الثاني فلدِلالتِهِ على كمال البراعة، والالتذاذ بالغرابة.

وأما تعجُّبُكَ من أبي تمام في اختيار هذا المجموع، وخروجه عن مَيْدَانِ شعره، ومفارقتِهِ مايهواهُ لنفسه، وإجماعِ نُقَّادِ الشعر بعدَه على ما صَحِبَه من التوفيق في قصدِه، فالقولُ فيه أن أبا تمامٍ كان يختار ما يختارُه لجودَتِهِ لا غير، ويقول ما يقولُه من الشعر بشَهْوتِهِ. والفرقُ بين ما يُشتَهَى وبين ما يُستَجَاد ظاهرٌ، بدلالة أنَّ العارفَ بالبَزِّ قد يشتهي لُبْسَ مالا يستجيدُه، ويستجيدُ ما لا يشتهي لُبْسَه، وعلى ذلك حالُ جميعِ أعْراضِ الدنيا مع العقلاءِ، العارفين بها في الاستجادةِ والاشتهاء. وهذا الرجل لم يعمِدْ من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتَرَدِّدِ في الأفواه، والمجيبِ لكلِّ داعٍ، فكان أمرُه أقرب، بل اعتَسَفَ في دواوينِ الشعراء جاهليِّهم ومخَضْرَمِهِم، وإسلامِيِّهم ومولَّدِهِم، فاختطَفَ منها الأرواحَ دون الأشْبَاح، واخْتَرَفَ الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يُوَافِقُ نظمَهُ ويخالِفُه؛ لأن ضُرُوبَ الاختيار لم تخْفَ عليه، وطُرُقَ الإحسانِ والاستحسان لم تَسْتَتِرْ عنه، حتى إنَّك تراه ينتهي إلى البيت الجَيِّد فيه لفظة تَشِينُه، فيَجْبُرَ نقيصَتَهُ من عنده، ويُبدِّل الكلمة بأُختها في نقده. وهذا يَبِينُ لمن رَجَع إلى دواوينهم، فقابَلَ ما في اختياره بها. ولو أن نَقْدَ الشعر كان يُدْرَكُ بقولِه، لكان مَنْ يقولُ الشعر من العلماءِ أشعر الناس. ويكشف هذا أنه قد يُمَيِّزُ الشعر من لا يقولُه، ويقولُ الشعر الجَيِّدَ من لا يعرِفُ نقدَه. على ذلك كان البُحْتُرِيّ؛ لأنه فيما حُكِيَ عنه كان لا يُعجَبُ من الشعر إلا بما يُوافِقُ طَبْعَهُ ومعنَاهُ ولفظَه.

وحَكَى الصُّوليُّ أنه سمِع المبرِّد يقول: «سمعت الحَسَن بنَ رجَاءٍ يقول: «مارأيتُ أحداً قطُّ أعلمَ بجيِّدِ الشعر قديمِهِ وحديثِهِ من أبي تمام». وحُكِيَ عنه أنه مَرَّ بشعرِ ابنِ أبي عُيَيْنَةَ فيما كان يختارُهُ من شعر المُحْدَثِين فقال: «وهذا كُلُّه مختار». هذا وشعرُهُ أبعدُ الأشياء من شعره». وهذا واضح.

وأمَّا مَا غلب على ظنك من أنَّ اختيار الشعراء موقوفٌ على الشهوات؛ إذا ما كان يختارُه زيد يجوز أن يُزَيِّفَهُ عمرو، وأنَّ سبيلها سبيلُ الصُّوَرِ في العيون، إلى غير ذلك مما ذكرتَه فليس الأمر كذلك؛ لأنَّ من عرف مستورَ المعنى ومكشوفَه، ومرفوضَ اللفظِ ومألوفَه، وميَّزَ البديعَ الذي لم تقْتَسِمْهُ المعارِض، ولم تعتَسِفْهُ الخواطر، ونَظَرَ وتَبَحَّر، ودار في أساليب الأدب فتخيَّر، وطالت مجاذَبَتُه في التَّذاكُرِ والابتحاث، والتداوُلِ والابتعاث، وبان له القليلُ النائبُ عن الكثير، واللَّحْظُ الدالُّ على الضمير، ودرى تراتيبَ الكلام وأسرارَها، كما درى تعاليقَ المعاني وأسبابَها، إلى غيرِ ذلك مما يكمِّلُ الآلةَ، ويَشْحَذُ القريحة ـ تراه لا ينظرُ إلا بعيْنِ البصيرة، ولا يسمعُ إلا بأُذُن النَّصَفَة، ولا ينتقدُ إلا بيد المَعْدِلَة، فحكمُهُ الحكمُ الذي لا يُبَدَّل، ونقدُهُ النقدُ الذي لا يُغَيَّر.

واعلم أنه قد يعرِفُ الجيِّد من يجهلُ الرديء، والواجب أن تَعرِفَ المقابحَ المتسخَّطة، كما عَرَفتَ المحاسِنَ المرتضاة، وجِمَاعُها إذا أُجْمِلَتْ أنها أضداد ما بَيَّنَّاهُ من عَمَد البلاغة، وخِصَالِ البراعة في النَّظْمِ والنثر. وفي التفصيلِ كأن يكون اللفظُ وحشِيّاً، أو غيرَ مستقيم، أو لا يكونُ مستعملاً في المعنى المطلوب، فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير: «لا يتتبَّعُ الوحشي، ولا يُعاظِلُ الكلام». أو يكونَ فيه زيادةٌ تُفسِدُ المعنى أو نقصانٌ، أو لا يكونَ بين أجزاء البيت التئامٌ، أو تكونَ القافيةُ قَلِقَةً في مَقَرِّهَا، أو

مَعِيبَةً في نفسِهَا، أو يكونَ في القَسْمِ أو التَّقَابُلِ أو في التفسيرِ فَسَادٌ، أو في المعنى تناقضٌ، أو خروجٌ إلى ما ليس في العادة أو الطبع، أو يكونَ الوصفُ غيرَ لائقٍ بالموصوف، أو يكونَ في البيتِ حِشْوٌ لا طَائِلَ فيه، إلى غير ذلك مما يحصِّلُهُ لك تأمُّلُكَ جُمَلَ المحاسِنِ وتفصيلَهَا، وتتبُّعُكَ ما يضادُّها وينافيها، وهذا هيِّنٌ قريب.

وإنما قلتُ هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق، قد يتفق فيه ما لو سُئِلَ عن سبب اختياره إياه، وعن الدلالة عليه، لم يمكِّنْهُ الجواب إلا أن يقول: هكذا قضيَّةُ طبعي، أو ارجع إلى غيري ممن له الدُّرْبة والعلم بمثله، فإنه يحكم بمثل حكمي، وليس كذلك ما يَسْتَرذِلُهُ النقد أو ينفيه الاختيار، لأنَّهُ لاشيء من ذلك إلا ويمكن التنبيهُ على الخلل فيه، وإقامةُ البرهان على رداءته فاعلمْه.

وأما تمنيك معرفةَ السَّببِ في تأخُّرِ الشعراء عن مرتبة الكُتَّاب البُلَغَاء، والعُذْرِ في قِلَّةِ المترسِّلين وكثرة المُفْلِقِين، والعِلَّةَ في نَبَاهَةِ أولئك وخُمُولِ هؤلاء، ولماذا كان أكثرُ المفلِقِين لايَبْرَعُون في إنشاء الكتب؟، وأكثرُ المترسِّلين لا يُفْلِقُون في قَرْضِ الشعر؟، فإني أقول في كل فَصْلٍ من ذلك بما يحضر، والله وليُّ توفيقي، وهو حسبي وعليه توكُّلِي.

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء، موجَبُهُ تأخُّرُ المنظوم عن رُتْبَةِ المنثور عند العرب لأمرين:

أحدهما: أن ملوكَهُم قبل الإسلام وبعدَه كانوا يتبجَّحُون بالخَطَابةِ والافتتان فيها ويعدُّونها أكملَ أسبابِ الرِّيَاسة، وأفضلَ آلاتِ الزَّعَامة. فإذا وَقَفَ أحدُهم بين السِّمَاطَيْنِ لحُصُولِ تنافرٍ أو تضاغنٍ أو تظالمٍ أو تشاجر، فأحسن الاقتضابَ عند البُدَاهَة، وأنجَعَ في الإسْهَاب وقتَ الإطالة، أو اعتلى في ذِرْوَةِ منبرٍ فتصَرَّفَ في ضُرُوبٍ من تخشِين القول وتليينِه، داعياً

إلى طاعةٍ، أو مستَصْلِحاً لرعيَّةٍ، أو غير ذلك مما تدعو الحاجةُ إليه، ـ كان ذلك أبلغَ عندهم من إنفاقِ مالٍ عظيم، وتجهيزِ جيشٍ كبير. وكانوا يأنَفُون من الاشتهار بقَرْضِ الشعر، ويعُدُّهُ ملُوكُهم دَنَاءة. وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجْر بن عمرو، حين تَعَاطى قولَ الشعرِ فنهاه عنه وقتاً بعد وقت، وحالاً بعد حال، ما أخرجه إلى أن أَمَرَ بقتله. وقِصَّتُه مشهورةٌ. فهذا واحد.

والثاني: أنهم اتخذوا الشعرَ مكسِبَةٍ وتجارة وتوصَّلوا به إلى السُّوَق، كما توصَّلوا به إلى العِلْية، وتعَرَّضُوا لأعراضِ الناس، فوصفوا اللَّئِيمَ عند الطَّمعِ فيه بوَصْفِ الكريم، والكريمَ عند تأخُّرِ صِلَتِهِ بصفةِ اللئيم، حتى قيل: «الشعرُ أدنى مُروءة السَّرِيِّ، وأَسْرَى مروءة الدَّنِيِّ». فهذا البابُ أمرُهُ ظاهر. وإذا كان شرفُ الصَّانِعِ بمقدار شرفِ صناعتِهِ، وكان النَّظْمُ متأخِّراً عن رُتْبَةِ النثر، وجب أن يكون الشاعرُ أيضاً متخلِّفاً عن غَايةِ البليغ.

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم، أن الإعجازَ من الله تعالى جَدُّهُ، والتحدي من الرسولِ ﷺ، وقعا فيه دون النَّظْمِ، يكشف ذلك أن معجزاتِ الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم، كانت من جنس ما كانت أُمَمُهُم يُولَعُون به في حينهم، ويغلِبُ على طبائعِهِم، وبأشرف ذلك الجنس. على ذلك كانت مُعْجِزَةُ موسى عليه السلام؛ لأنها ظَهَرت عليه وزمَنُهُ زَمَنُ السِّحْرِ والسَّحَرَةِ، فصارت من ذلك الجنسِ وبأشرفه. وكذلك كان حالُ عيسى عليه السلام، لأن زمنَه كان زمنَ الطِّبِّ فكانت معجزتُه، وهي إحياءُ الموتى، من ذلك الجنس وبأشرفه. فلما كان زمنُ النبي ﷺ زمنَ الفصاحة والبيان، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يُولَعون به وبأشرفه، فتحدَّاهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً.

وقد قال الله ﷻ في تنزيهِ النبي ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. وقال أيضاً: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦].

ولما كان الأمر على ما بَيَّنّاه، وجب أن يكون النثرُ أرفع شأناً، وأعلى سَمْكاً وبِنَاءً من النَّظْمِ، وأن يكون مُزاوِلُهُ كذلك، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها.

وأما السببُ في قِلَّةِ المُتَرَسِّلين وكثرة المُفلِقِين، وعِزٍّ من جَمعَ بين النَّوعين مُبَرِّزاً فيهما، فهو أن مبنى «التَّرَسُّلِ» على أن يكونَ واضِحَ المنْهَجِ، سَهْلَ المعنى، ممتدَّ الباع، واسع النِّطَاق، تدلُّ لوائِحُهُ على حقَائقِهِ، وظواهِرُهُ على بواطِنِه؛ إذ كان موردُهُ على أسماعٍ مفتَرِقَةٍ: من خاصِّيٍّ وعامِّيٍّ، وأفهام مختلفةٍ: من ذكِيٍّ وغبيٍّ. فمتى كان متسَهِّلاً متسَاوِقاً، ومتَسَلْسِلاً متجَاوباً، تساوت الآذانُ في تلقِّيه، والأفهامُ في دِرَايتِهِ، والألسُنُ في روايته، فيُسْمِحُ شَارِدُهُ إذا استُدْعِي، ويتعجل وافِدُهُ إذا استُدْنِي، وإن تطاولَ أنفاسُ فصُولِهِ، وتباعدَ أطرافُ حُزُونِهِ وسُهُولِه. ومبنى «الشعر» على العكسِ من جميع ذلك؛ لأنه بُنِيَ على أوزانٍ مُقَدَّرَةٍ، وحدودٍ مقَسَّمَةٍ، وقوافٍ يُسَاقُ ما قبلَهَا إليها مهَيَّأَةٍ، وعلى أن يقومَ كلُّ بيتٍ بنفسهِ غيرَ مفتَقِرٍ إلى غيرِهِ، إلا أن يكونَ مُضَمَّناً بأخيه، وهو عيبٌ فيه. فلمَّا كان مداهُ لا يمتَدُّ بأكثرَ مِنْ مِقْدَارِ عَرُوضِهِ وضَرْبِهِ، وكلاهما قليل، وكان الشاعرُ يعمل قصيدتَهُ بيتاً بيتاً، وكُلُّ بيتٍ يتقَاضَاهُ بالاتِّحَاد، وجَبَ أن يكونَ الفضلُ في أكثرِ الأحوال في المعنى، وأن يبلغَ الشاعرُ في تلطيفِهِ والأخذِ من حواشيه، حتى يتَّسِعَ له اللفظُ، فيؤدِّيهِ على غُمُوضِهِ وخفَائِهِ ـ حَدّاً يصيرُ المُدرِكُ له، والمشرِفُ عليه، كالفائِزِ بذخيرةٍ اغتَنَمَها، والظَّافِرِ بدفينَةٍ استَخْرَجَهَا. وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر، وتباطؤُ المطلوب على المنتظِر، فكلُّ ما يُحمَدُ في التَّرَسُّلِ ويُختَار، يُذَمُّ في الشعر ويُرفَض.

فلما اختلف المَبْنَيَانِ كما بَيَّنَّا، وكان المتولِّي لكلِّ واحِدٍ منهما يختارُ أبعدَ الغاياتِ لنفسِهِ فيه، اختلفت فيهما الإصابتان، لتبايُنِ طرفيْهِما، وتفاوُتِ قُطْرَيهِمَا، فبَعُدَ على القَرائِحِ الجمعُ بينهما. يكشف ذلك أنَّ الرَّجَزَ وإنْ خالفَ القصيدَ مخالفةً قريبةً ترجعُ إلى تقطيع شَأْو اللَّفْظِ فيه، وتزاحُم السَّجْعِ عليه، قَلَّ عددُ الجامعين بينهما، لتقاصُرِ الطِّبَاع عن الإحاطة بهما. فإذا كان الرَّجَزُ والقصيد مع أنهما من وادٍ واحدٍ، أفضت الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلتُ على خلافٍ يسير بينهما ـ فالنثر والنظم وهما في طرفين ضِدَّيْنِ، وعلى حالتين متباينتين ـ أَوْلَى وأخصُّ.

وأمَّا السببُ في قلة البلغاء وكثرة الشعراء، ونباهَةِ أولئك وخُمولِ هؤلاء، فهو أن المترسِّلَ محتاجٌ إلى مُراعَاةِ أُمُورٍ كثيرةٍ، إن أهملَها أو أهمل شيئاً منها رَجعَت النَّقِيصَةُ إليه، وتوجَّهَت اللائِمَةُ عليه.

منها تبيُّنُ مقادير من يكتب عنه وإليه، حتى لا يرفع وضيعا.

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملُها في تصاريفه، حتى تجيءَ لائقةً بمن يخاطَب بها، مفخَّمَةً لحضرة سلطانه التي يصدُرُ عنها.

ومنها أن يعرفَ أحوالَ الزمان، وعَوَارِضَ الحدَثَان، فيتصرَّف معها على مقاديرها في النَّقْض والإبرام، والبَسْط والانقباض.

ومنها أن يعلمَ أوقات الإسهابِ والتطويل، والإيجاز والتخفيف، فقد يتَّفِق ما يحتاج فيه إلى الإكثار، حتى يستغرقَ في الرسالة الواحدةِ أقدارَ القصائدِ الطويلة، ويتفقَ أيضاً ما تغني فيه الإشارة، وما يجري مَجْرَى الوَحْيِ في الدِّلالة.

ومنها أن يعرفَ من أحكام الشريعة ما يقف به على سَوَاء السَّبيل؛ فلا يَشتطَّ في الحكومة، ولا يعدِل فيما يخُطُّ عن المحجّة. فهو إنما يترسَّلُ في عُهُود الوُلَاة والقضاة، وتأكيد البَيْعَةِ والأيمان، وعِمَارة البُلدان، وإصلاحِ

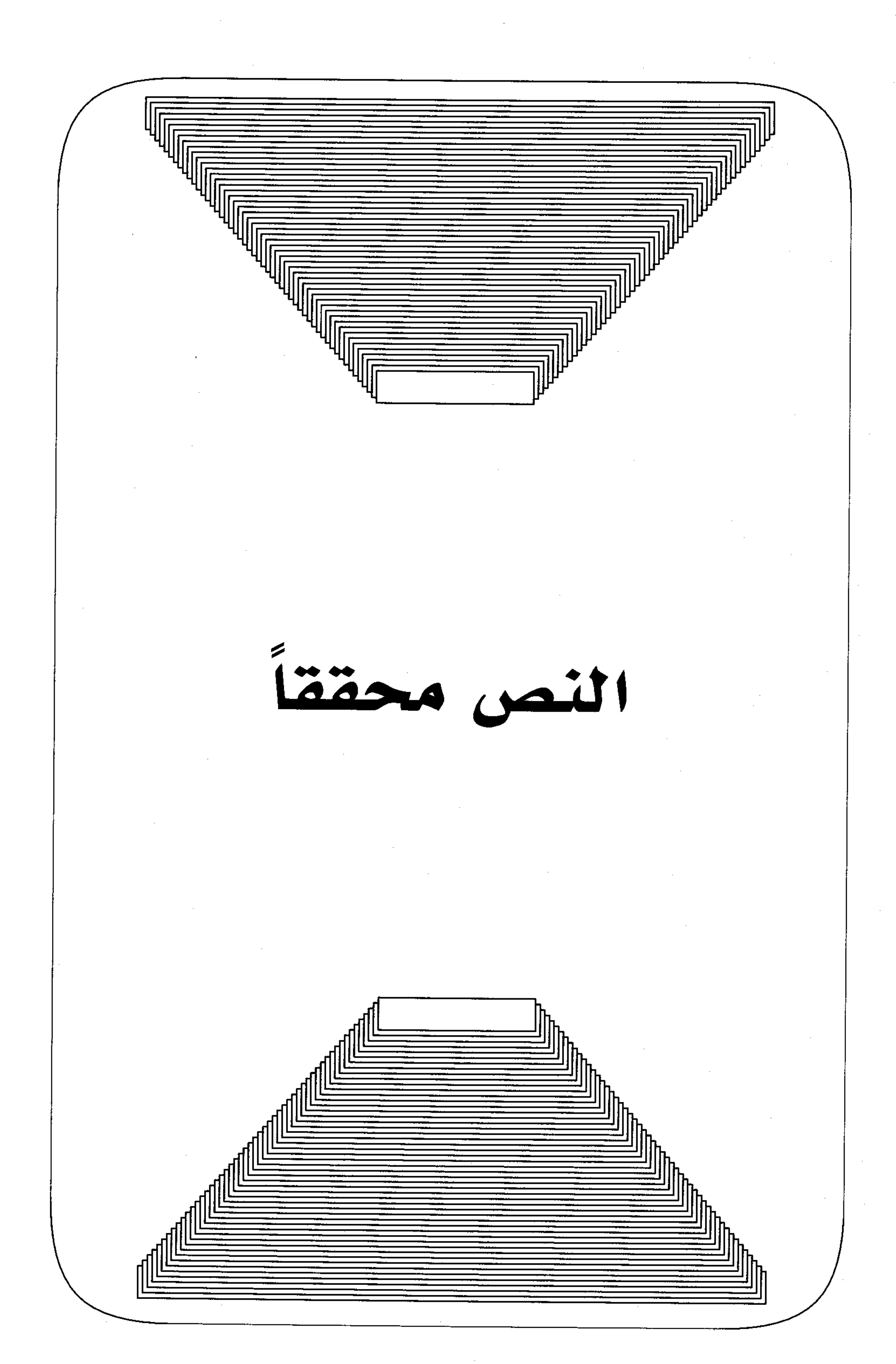
فسادٍ، وتحريضٍ على الجهاد، وسَدِّ ثُغُورٍ، ورَتْقِ فُتُوقٍ، واحتجاجٍ على فِئَةٍ، أو مجادلةٍ لمِلَّةٍ، أو دُعَاءٍ إلى أُلْفَةٍ، أو نهيٍ عن فُرْقَةٍ، أو تهنِئَةٍ بعطيَّةٍ، أو تعزيةٍ برزيَّةٍ، أو ما شاكلَ ذلك من جلائِلِ الخُطُوب، وعظائمِ الشئون التي يُحتاج فيها إلى أدواتٍ كثيرةٍ، ومعرفةٍ مفتنَّة.

فلما كان الأمرُ على هذا، صار وجودُ المُضْطَلِعِين بجودة النثر أعزَّ، وعدَدُهم أنزَر. وقد وسَمَتْهُم الكتابةُ بشرفها، وبَوَّأَتهم منزلةَ رياسَتِها، فأخطارُهم عالية بحسب عُلوِّ صناعتهم، ومعاقدِ رياسَتهِم، وشِدَّةِ الفاقةِ إلى كِفَايَتِهِم.

والشعراء إنما أغراضُهُم التي يُسَدِّدُون نحوَها، وغاياتهم التي ينزِعُون إليها، وصفُ الدِّيَار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان، والتَّشْبيبُ بالنساء، والتَّلْطِيف في الاجتداء، والتَّفَنُّن في المديح والهجاء، والمبالغةُ في التشبيه والأوصاف. فإذا كان كذلك لم يتدانَو في المِضْمَار، ولا تقاربوا في الأقدار.

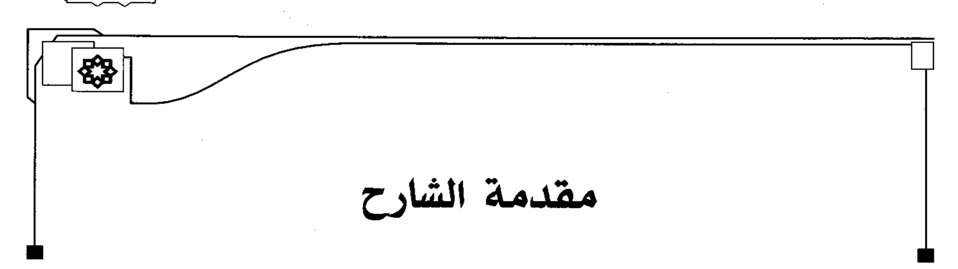
وإذ قد أتينا بما أردنا، ووفينا بما وعدنا، فإنا نشتغل بما هو القَصْدُ من شرح الاختيار، والله الموفِّقُ للصواب، والصلاةُ والسلام على رسوله وآله الأخيار.





النص محققاً





مقدمة الشارح

إن المقدمةَ التي دبَّجَها الإمامُ المرزوقيُّ[١] لشرحه على ديوان الحماسةِ اختيارِ أبي تمام، تُعتَبر[٢] خيرَ رائدٍ لمنتجِعِ[٣] رَوْضِ الفصاحة، وأبصر مُقَدِّمةٍ لِجَحْفَلِ البلاغة، تفتح لمقتَفِيها ما استعصت به خَفَايا النُّكَتِ من الصيَّاصي[٤]، وتُمكِّنُ بيد مُتْقِنِهَا من جياد السَّبْقِ أجْفلَ النواصي، إذ كانت أحاطت بمعاقد الأدب، وتعاطت بِمحْجَنِها[٥] أفنانه[٦] فتدلَّى يانِعُ ثمره واقترب، وقد كنت اهتممت بتدبُّرها فقدرت قدرها، وتَبَيَّنْتُ نَفَاستها في صِنَاعَةِ الأدبِ وخطرَها، ثم طَواها الذِّهْنُ بِبَسْطِ مسائلَ أخرى، وثَنَى عِنَان طَرْفِهِ فأطلقَ له في ميادين فسيحة وأجرى، وكانت غير متداولة بأيدي الأدبا، وكان الشَّرْحُ كلُّه قد انزوى في الخزائن واختبا،

(١) هو: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصبهاني، توفي في ذي الحجة سنة ٤٢١هـ، ترجمه ياقوت في إرشاد الأريب، وقال: إنه أخذ عن أبي علي الفارسي، وذكر له كتباً، منها: شرح الحماسة، قال: وهو يتفاصح في تصانيفه كابن جني، وكان معلم أولاد بني بويه بأصبهان، قلت: لم أقف على وجه نسبة المرزوقي. (المؤلف).
قلت: في «ج» زيادة: (لم أقف على وجه نسبة المرزوقي وأحسب أنها نسبةٌ لأحد أجداده، وهو معدود من أئمة الأدب وبلاغة العربية، ولسعد الدين التفتازاني عناية بنقل كلامه في كتبه في بحث البلاغة مثل شرح المفتاح والمطول ويحليه بالإمام المرزوقي).

(٢) الأفصح: تُعَدُّ، ولا مكان للاعتبار هنا.

(٣) هكذا في «ج»، وفي الأصل: (لمنتهج). وانتجع: طلب الكلأ في موضعه.

(٤) الصياصي: الحصون، وكل ما يتحصن به يقال له: صِيصَة.

(٥) المحجن: العصا المعوجة.

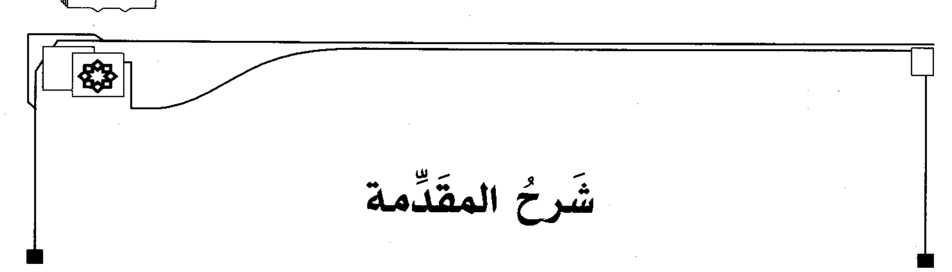
(٦) الأفنان: الغصون، جمع فَنَن.

فلما نُشِر الشرح مكلَّلاً بجواهرها، وآن أن يتشوقوا لاستجلاء مخابرها، هَزَّ ذلك من عِطفي وحرَّكَ سواكني إلى مراجعةِ عَهْدٍ مضى، فأَصْدق عزماً قديماً وغرضاً، هو العزم على أن أعلِّق على هذه المقدمة القيِّمَة وأسرِّحَ إليها جواد الذهن وأسومَه.

فإنها جديرةٌ بشرحٍ ينشرُ مطاويها الوفيرة الأغراض، ويصدّق شَيْم[1] من اتبع صوب بروقها المتكررة الإيماض، إذ هي من قبيل اللَّمحة الدالَّة، والخريدة[2] الملتحفة غير المتجالَّة، فهي خليقةٌ بفَسْر كثير من معانيها إذ كانت مفرَغةً في دقة صياغة، ولو أخذت على غِرِّها لم يُدرِك غَوْرَها سوى الراسخين في البلاغة، فعُنيت بتوضيح دقائقها واكتفيت في بعض المواضع بالحَوالة على كتب الأدب. وإني حين حللت بالأسِتانة في أواخر عام ١٣٧٠هـ، ورأيت خزائن كتبها الثرية، كان مما لفت نظري نسخةٌ تامة من شرح المرزوقي من مكتبة كوبريلِّي باشا، تحت عدد ١٣٠٨، وهي نسخةٌ عتيقةٌ، نُسِخَت سنة ٦٧٦هـ بها ورقات ٤٢٠ في القالب الرُّبُعي. وقد حصلت منها على شريط فتغرافي، ولم يكن عندنا بخزائن تونس إلا نسختان من جزءٍ أولَ منه، وهو تجزِئة خمسة، حوتهما مكتبة الجامع الأعظم عدد ٤٥٣٤ وعدد ٤٥٣٥. وإليك تعليقنا على هذه المقدمة؛ بتفسير غريبها وتبيين مقاصدها وتقريبها.

(١) الشيم: النظر إلى البرق أين يقصد وأين يمطر.

(٢) الخريدة: البكر التي لم تمسس.



شَرحُ المقدِّمة

❁ قال الإمام المرزوقي:

(وبعدُ[١] فإنك جاريتَني ـ أطال الله بقاءكَ في أشملِ سعادةٍ وأكملِ سلامة، لمَّا وجدتني أقصُرُ ما أستفضلهُ من وقتي، وأستخلصه من وَكْدِي، على عمل شرحِ الاختيار المنسوب إلى أبي تمامٍ حبيب بن أوس الطائي، المعروف بكتابِ الحماسة ـ أمرَ الشعرِ وفنونِه).

الخطاب لمن سأله تحقيق ما تضمنته هذه المقدمة، ويظهر أن هذا المخاطب هو أيضاً قد سأله شرح اختيار أبي تمام، أو أنه حرضه على إتمامه؛ لأن المؤلف [قال][٢] في خاتمة الشرح[٣]: «قد سهل الله وله الحمد تعالى جَدُّهُ بلوغَ المنتظر من تتميم شرح هذا الاختيار، والله بمنِّه وطَوْله ينفعك وإيانا به[٤]، ....

---

(١) هذا خلاف السُّنّة، وخلاف الفصيح، قال الزرقاني: وما أدري وجه اقتصار كثيرين على ذلك، ولا يكفي الاعتذار بأن المدار عليه أو رَوْماً للاختصار، فالمدار على ما جاءت به السُّنّة. شرح المواهب اللدنية ١/ ١٢. **وينظر**: التراتيب الإدارية ١/ ١٤١ ـ ١٤٢، إتحاف الألباب ص١١١.

هذا والسُّنة أن يقال: أما بعد. وقد عقد البخاري في صحيحه (باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد). قال ابن حجر: «ظاهر الأحاديث مواظبة النبي على ذلك». فتح الباري ٢/ ٥٢١. **وينظر**: شرح صحيح مسلم، للنووي ٦/ ٣٩٤، إرواء الغليل ١/ ٣٦، غذاء الألباب ١/ ٣٢، الزاهر ١/ ٣٨٢، خزانة الأدب ١٠/ ٣٦٩، التحرير والتنوير ١١/ ٢٢٩.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوع، والسياق يقتضيه.

(٣) عن نسخة الأستانة. (المؤلف).

(٤) السُّنة أن يبدأ الداعي بنفسه؛ وفي القرآن: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾، ولحديث أُبيّ بن كعب =

ويعينك على تفهمه[(١)] . . . إلخ». وفيما حكاه المرزوقي عن هذا المخاطب من السؤال، ما يدل على أنه من الممارسين للأدب، الواقفين على جياده، ولكنه لم يبلغ مبلغ أئمة علم الأدب والنقد، فلذلك أوى إلى المرزوقي في كشف حقائقها، إذ كان المرزوقي يلقب بالإمام.

وقوله: **(جاريتني)** هكذا ثبت في جميع النسخ. ومعناه: حادثتني فيه. قال في لسان العرب: «وجاراه الحديث وتجاروا فيه»[(٢)].اهـ. فاستعيرت المجاراة تمثيلاً لحال المتحادثَيْن، بحال الفارسَين يجريان، ومن هذا القبيل قولهم: «تساجلا الشعر وتسايرا المجادلة»، وقد أعاد المؤلف هذا اللفظ في خاتمة الشرح إذ قال: «فإني لم أدركْه إلا بمجاراةٍ لشيوخ الصناعة فيه»[(٣)].

وقول المؤلف: **(أَقصرُ)** بهمزة مفتوحة وقاف وبضم الصاد؛ أي: أرد وأحبس، يتعلق به قوله: **(على عمل شرح)**.

و**(الوَكْد)** بفتح الواو وسكون الكاف: هو الهم والقصد.

وقوله: **(أمرَ الشعر)** كذلك ثبت في أكثر النسخ، وفي نسخة ذكرها الناشر: «في أمر الشعر» وهي الأَوْلى، وعلى ما في معظم بقية النسخ، يكون (أمرَ الشعر) منصوباً على نزع الخافض.

و**(أبو تمام)**[(٤)] من شعراء الدولة العباسية في خلافة المعتصم

= قال: «كان النبي ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه». رواه الإمام أحمد ٥/ ١٢١، وأبو داود (٣٩٦٥)، والترمذي (٣٣٨٥)، وقال: حسن غريب؛ وصححه ابن مفلح في الآداب الشرعية ١/ ٤٤٧، والألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٧٢٠). **وينظر**: شرح صحيح مسلم، للنووي ١٥/ ١٤٠، شرح المشكاة، للقاري ٥/ ٢٩، فيض القدير، للمُناوي ٥/ ١٣٢.

(١) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ٤/ ١٨٨٥.

(٢) اللسان: (جرا).

(٣) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ٤/ ١٨٨٦.

(٤) حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام (١٨٨ ـ ٢٣١هـ)، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة =

والمتوكل، امتاز بطريقة ابتكرها في الشعر، وهي طريقة تدقيق المعاني وتكثيرها، ولو أداه ذلك إلى شيء من الخفاء في استفادتها من اللفظ، وأخذ عنه البحتري، وتوفي بالموصل سنة ٢٢٨هـ، وقيل: سنة ٢٣١هـ وقيل: سنة ٢٣٢هـ، وديوانه مشهور. وجمع ديوانه الحماسة، وهو واضح الشهرة في الأدب العربي، اشتمل على عشرة أبواب من فنون الشعر، أولها باب الحماسة وهو الذي دُعي به، جمع فيه قطعاً للشعراء غير المشهورين، وله اختيارٌ ترجمه بالقبائلي، اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل[١]، وله الاختيار القبائلي الأكبر، اختار منه من كل قصيدة[١][٢]، وله اختيار الشعراء الفحول[١]، واختيارٌ على طريقة الحماسة صدَّره بباب الغزل[١].

قال المؤلف:

(وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به).

ترتيب هذه الفِقْرات في أكثر النسخ كما رأيت هنا، وفي نسخة واحدة من النسختين بتونس مغَايرةٌ لهذا، إذ وقعت فِقْرة: **(من الرفعة به)**، عقب فقرة: **(وما نال الشعراء)**، وذلك أحسن مما في النسخ الأخرى، ووقع قوله: **(وفي أوائل)**، في إحدى نسختي تونس، مجرداً عن واو العطف، وهو أحسن؛ إذ يكون قوله: **(أوائل الدولتين)**، بدلاً من قوله: **(وما بعدها)**؛ أي: بعد الجاهلية، فيكون عصر النبوة، وعصر

= من أراجيز العرب، غير القصائد، من شعراء العربية الكبار، صاحب صنعة في شعره، وفيه قوة وجزالة. سير أعلام النبلاء ١١/٦٣، الأعلام ٢/١٦٥.

(١) **ينظر**: الموازنة، للآمدي ١/٥٨، ٥٩، الفهرست ص٢٠١. ولم يصلنا من اختيارات أبي تمام سوى كتاب الحماسة، والوحشيات أو الحماسة الصغرى.

(٢) في الموازنة: اختار فيه من كل قبيلة قصيدة.

الخلفاء الأربعة، غيرَ داخل[١]. وأما النسخ التي فيها إثبات الواو، فهي تقتضي أن يكون المرادُ بما بعد الجاهلية، مدةَ زمنِ صدر الإسلام، وليس للشعراء في صدر الإسلام رفعة، بل كان الشعراء قد هجروا الشعر، مثل: لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، إلا أن يكون المقصود الشعراء الذين ذبوا عن رسول الله ﷺ، مثل: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما.

وقوله: **(وأواخرها)**، وقع في إحدى النسختين التونسيتين: (وأواخرهما) بالتثنية، والمراد: وآخر مجموعهما؛ أي: أواخر الثانية منهما.

۞ **(إذ كان الله أقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم)**.

أراد بالكتب: كتب العلوم والتاريخ؛ لأن العرب أمة أميَّة، امتازت بالفطنة في السجية[٢]، فكان شعرها ترجمان ذكائها، وديوان آرائها.

۞ **(فهو مستودَع آدابها[٣]، ومستحفَظ أنسابها، ونظام فخَارها يوم النِّفَار)**.

(النِّفار) بكسر النون، مصدر نافر غيره، إذا خاصمه في الشرف والفخر، فتحاكما في ذلك إلى حكم.

۞ **(وديوان حِجَاجها عند الخصام، ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه، وعما يتميَّز به النظم عن النثر، وما يُحمد أو يُذمُّ من الغلو فيه أو**

---

(١) فتكون العبارة: (وما نال الشعراء من الرفعة به في الجاهلية وما بعدها، في أوائل..).

(٢) وهذا أحد وجوه تفضيل العرب على غيرهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ذلك لأن الفضل إما بالعلم النافع، أو بالعمل الصالح. والعلم له مبدأٌ وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمامٌ وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب أفهم من غيرهم وأحفظ». اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤٤٧. **وينظر**: جامع الرسائل ١/٢٨٩، بلوغ الأرب، للألوسي ١/١٨ وما بعدها.

(٣) في الأصل: (أدبها)، والمثبت أنسب، لقوله بعدها: (أنسابها)، وكذا ورد في «س» و«ج».

القصد، وعن[١] قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها).

وفي إحدى نسختي تونس: (لها وعليها)، وهما أظهر.

۞ **(حتى تصيرَ جوانبها محفوظةً من الوهن، وأركانُها محروسةً من الوهي، إذ كان لا يُحكم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها، وتأمُّل مأخذه منها[٢]، ومدى شأوه فيها).**

(**المدى**): الغاية.

و(**الشأو**): السبق؛ أي: منتهى ما سبق فيه شاعرٌ غيرَه من الشعراء.

۞ **(وتمييز المصنوع مما يحوكُه من المطبوع، والأتيُّ المستسهل من الأبي المستنكر).**

سيأتي للمؤلف ذكر المصنوع والمطبوع، بعد ذكر الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر، ونشرحه هنالك.

و(**الأتي**): ما يطلبه الساقي إلى أرضه من السيل أو النهر، بأن يحفر له حفيراً يجري فيه الماء، **قال النابغة** يذكر جاريةً ضربت في الأرض حَفِيراً بالمِسْحَاة لصرف الماء عن بيت أهلها:

خَلَّت سبيلَ أَتِيٍّ كان يحبسُه ... ورفَّعَتْهُ إلى السِّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[٣]

والمؤلف أراد بـ(الأتي): السهل، استعار إليه لفظ «الأتي»، لمشابهته في أنه يأتي بدون معالجة، ولذلك أتبعه بوصف (**المستسهل**) وصفاً كاشفاً، وقد أتبعه فيما يأتي بوصف (السمح).

و(**الأبي**) فعيل، من أمثلة المبالغة، وأصله: الرجل المتعاصي غيرُ المطواع، وقد استعاره المؤلف للكلام الذي يبدو عليه التكلف، ولذلك

---

(١) في الأصل: (من)، والمثبت هو الصواب كما في «س» و«ج».

(٢) في الأصل: (منا)، ولعله سهو، وما أثبت موافق لنسخة «س».

(٣) ديوانه ص١٠. والسجفين: واحدها: سِجْف، وهو ستار يوضع عند مدخل البيت. والنضد: المتاع ونحوه.

أتبعه بوصف «المستنكر» و«المستكره»، وأتبعه فيما يأتي بوصف «الصعب».

۞ (وقضيتَ العجَبَ كيف وقع الإجماعُ من النقاد على أنه لم يَتَّفق في اختيار المقطوعات[١] أنْقَى مما جمعه، ولا في اختيار المقصَّدات أوْفَى مما دوّنه المفضَّل ونقَدَه.

وقلت: إن أبا تمام معروفُ المذهب فيما يقرِضُه، مألوف المسلك فيما ينظمه، نازعٌ في الإبداع إلى كل غاية، حاملٌ في الاستعارات كلَّ مشقة، متوصِّلٌ إلى الظفر بمطلوبه من الصّنعة أين اعتَسَف وبماذا عَثَر، متغلغِلٌ إلى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنَّى تأتَّى له وقَدَر. وهو عادلٌ فيما انتخبَه في هذا المجموع عن سلوك معاطف[٢] مَيْدانه، ومرتض ما لم يكن فيما[٣] يصوغه في أمره وشأنه، فقد فلَيْتُه فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوبَ إلا اليسير. ومعلومٌ أن طبع كل امرئٍ ـ إذا ملك زِمام الاختيار ـ يجذبُه إلى ما يستلذُّه ويهواه، ويصرِفه عما ينفر منه فلا يرضاه).

(قضيتَ العجب): كلمة جرت مجرى المثل، معناه: تعجبت العجب القوي؛ لأنه إذا تعجب عجباً قوياً فكأنه قضاه؛ أي: أدَّاه وأتمَّه، ومنه: قضى وطراً، قال الحريريُّ[٤] في المقامة[٥]: «وقضيت العجب[٦] مما رأيت».

---

(١) «س»: (المقطَّعات)، وهي أنسب، لقوله بعدها: (المقصَّدات).

(٢) في الأصل: (معاطب)، والمثبت من «س» و«ج».

(٣) في الأصل: (بما)، والمثبت من «س» و«ج».

(٤) القاسم بن علي بن محمد أبو محمد الحريري البصري (٤٤٦ ـ ٥١٦هـ)، الأديب الكبير، صاحب المقامات الشهيرة. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٠٢، الأعلام ٥/ ١٧٧.

(٥) الأولى: الصنعانية ص١٣.

(٦) خطَّأ ابنُ الخشَّاب الحريريَّ في هذا الأسلوب، ونقل عن الأصمعيِّ إنكاره. قال ابن الخشاب: والصواب: ما كدت أقضي العجب؛ لأنهم يريدون طول التعجب. . .، وردَّ هذا الاعتراض: ابنُ برِّي، فقال: بل يصح أن يُقال: قضيت العجب، =

و(**المقطوعات**): القطع من الشعر المختارة من قصائد، أو التي من أول الأمر قطعاً قصيرةً من الشعر، وتُسمَّى: مقاطيع جمع مقطوع، وتسمى: قطعاً جمع قطعة، وهي ما كان من الشعر أقل من ستةَ عشرَ بيتاً. ووصف ديوان الحماسة بذلك باعتبار غالبه، وإن كان قد يوجد فيه ما يزيد على ستة عشر بيتاً من قصائد كاملة أو بعضها.

و(**المقصَّدات**): جمع المقصدة، وهي القصيدة وجمعها قصائد، واسم الجمع قصيد، وقد يطلق القصيد على القصيدة باعتبار الجنس، والقصيدة: طائفة من الشعر زائدة على خمسة عشر بيتاً[1]، وهذه الأسماء مشتقةٌ من القصد[2]؛ لأن قائلها قصدها واعتمدها، فأما المقصدة فإن الشاعر جعلها قصيدة، وما دون القصيدة يُسمى قطعة.

والذي (**دوَّنه المفضَّل**): هو الديوان المعروف بالمفضَّليَّات، يشتمل على مائة وأربع وعشرين قصيدة[3]، اختارها إجابة لرغبة أبي جعفر المنصور[4] لفائدة ابنه المهدي[5]، وجامعها هو المفضل[6] بن محمد بن

= على معنى: انقضى عجبي.
الاعتراض، لابن الخشاب، ومعه الانتصار، لابن بري ص١٠. **وينظر**: شرح المقامات، للشريشي ١/ ٢٣.

(١) **ينظر**: اللسان: (قصد).

(٢) **ينظر**: العمدة ١/ ٢٩٢، نضرة الإغريض ص٩، اللسان: (قصد).

(٣) في طبعة الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون: مائة وثلاثون قصيدة.

(٤) عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، أبو جعفر المنصور (٩٥ ـ ١٥٨هـ)، ثاني خلفاء بني العباس، كان شجاعاً مهيباً، وهو أول من عني بالعلوم من الخلفاء. سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، الأعلام ٤/ ١١٧.

(٥) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد العباسي، أبو عبد الله المهدي (١٢٧ ـ ١٦٩هـ)، تولى الخلافة بعد أبيه وبعهد منه. قال الذهبي: كان قصَّاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم. سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠، الأعلام ٦/ ٢٢١.

(٦) قال محققا المفضليات: «نستطيع أن نجزم أنها ليست كلها من اختيار المفضل الضبي، بل إنه ليس له من الاختيار إلا القليل...». ثم دلَّلا على ذلك بإسهاب. مقدمة المفضليات ص١٠ ـ ٢٣.

يعلى الضَّبِّي الكوفي الراوية اللغوي، توفي سنة ١٦٨هـ. وعلى المفضليات شرحٌ للمرزوقي، ذكره ياقوت[١][٢].

وقوله: **(إلى كل غاية)**؛ أي: إلى غايات كثيرة، فإن كلمة «كل» تُستعمل في الكثرة للمبالغة دون قصد الشمول؛ **كقول النابغة:**

بها كل ذَيَّالٍ وخَنْسَاءَ تَرْعَوي إلى كلِّ رجَّافٍ من الرَّمل فَارِدِ[٣]

وفي القرآن: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢].

ووقع في نسخة الأستانة: «أكمل» عوض «كل» وهي ظاهرة.

وقوله: **(فقد فليته)**: وقع في إحدى النسختين التونسيتين: «قلَّبته» بقاف ثم لام مشددة ثم موحدة، وهي أحسن استعارة من «فليته»؛ لأن الفلي هو البحث عن القمل في الرأس، فهو كلمة مرذولة ينبو الأدباء عن استعارتها، كما سيأتي. والتاء المضمومة وهي تاء التكلم، حكاية لقول المخاطب المحكي آنفاً بقوله: «وقلتَ: إن أبا تمام...» إلخ.

(والأُسلوب) بضم الهمزة الطريق، وهو في الاصطلاح: منقولٌ للطريقة المخصوصة من الكلام البليغ[٤]؛ كقولهم في الالتفات: إنه انتقالٌ من أسلوب إلى أسلوب[٥]؛ أي: من طريقة الخطاب إلى طريقة

(١) في معجم الأدباء ٦/ ٢٧١٠، وذكره أيضاً السيوطي في بغية الوعاة ١/ ٣٦٥، وحاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٠٤٣، والكتاب لا يزال مخطوطاً، منه نسخة في مكتبة برلين برقم (٧٤٤٦).

(٢) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ)، مؤرخ ثقة، ومن العلماء باللغة والأدب، صاحب معجم الأدباء، ومعجم البلدان. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٢، الأعلام ٨/ ١٣١.

(٣) ديوانه ص٣٩. وذيال: نعت البقر الوحشي بطول ذنبه. رجَّاف: كثير الحركة. فارد: منفرد.

(٤) نص الخفاجي على أن إطلاق الأسلوب على الكلام استعارة. حاشية الدرة ص٣٩٦.

(٥) مفتاح العلوم ص٩٥، المثل السائر ٢/ ١٨١، المطول ص١٣٠.

الغَيْبة مثلاً، وقولهم: الأسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب[١].

❁ **(وزعمت بعد ذلك أجمع أنك مع طول مجالستك لجهابذة الشعر والعلماء بمعانيه، والمبرِّزين في انتقاده، لم تقف من جهتهم على حَدٍّ يؤديك إلى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديئه، حتى تُجَرِّدَ الشهادة في شيء منه، وتَبُتَّ الحكم عليه أوْ لَه، آمناً من المجاذِبين والمدافِعين)**.

(المجاذبون): أصحاب المجاذبة، وهي مفاعلة من الجذب للشيء؛ أي: إدنائه باليد لأخذه، فالمجاذبة أن يجذب كلا الشخصين شيئاً واحداً، كلاهما يطلب أخذه لنفسه، والمراد بها هنا تمثيل للمحاجَّة والاستدلال، فكلٌّ يُظْهِرُ أن الحق في جانبه، وهي من شعار أهل العلم في محادثاتِهم ومناظراتِهم. قال الزمخشريُّ[٢] في دِيباجَةِ الكشّاف، في صفة من يستأهل[٣] أن يفسرَ القرآن: «قد رجع زماناً ورُجِع إليه، ورَدَّ ورُدَّ عليه»[٤].

وأما **(المدافعة)** فهي مفاعلة أيضاً، وهو إبعادك الشيء عن جهةٍ ما؛ فالمدافعة مراد بها إبطال دليل الخصم عند المناظرة، فمن المدافعة المنع المجرد والمنع بالسند في قواعد الجدل وبقية الاعتراضات على الأدلة وكلها راجعةٌ إلى المَنْع[٥]. واعلم أن المؤلف قد بين المجاذبة في آخر هذا الشرح بقوله: «لا أنسى مجاذباتي فيهما متى كان في القول

---

(١) مفتاح العلوم ص١٥٥، الإيضاح ٢/ ١٩٤، المطول ص١٣٥.

(٢) محمود بن عمر بن محمد الزمخشري جار الله أبو القاسم (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ)، عالم كبير، من رؤوس المعتزلة. معجم الأدباء ٦/ ٢٦٨٧، الأعلام ٧/ ١٧٨.

(٣) أنكر (استأهل) بعضُ اللغويين. **ينظر**: الصحاح: (أهل)، أدب الكاتب ص٤١٢، درة الغواص ص٨٣، تصحيح التصحيف ص٥٥٦. ونصَّ الأزهري على أنها فصيحة. **ينظر**: تهذيب اللغة ٦/ ٤١٩، اللسان وأساس البلاغة والقاموس: (أهل)، حاشية الخفاجي على الدرة ص٨٣.

(٤) الكشاف ١/ ٧.

(٥) آداب البحث والمناظرة ٢/ ٢٠٣.

إمكان، وللتحصيل إرصاد، ولسهم النضال تسديد، وفي قوس الرمي مِنْزَعٌ»[(١)].

۞ **(بل تعتقد أن كثيراً مما يستجيزه زيد، يجوز أن لا يطابقَه عليه عمرو).**

الذي في النسختين التونسيتين ونسخة الأستانة: (يستجيده) بدال، عوض الزاي، وهي أحسن معنى ولفظاً.

ومعنى **(لا يطابقه)**: لا يوافقه، مأخوذ من الإطباق، وهذه المادة تؤذِن بالمساواة، ومنه الطبق، وهو غطاء الإناء؛ لأنه يُجعَل بمقداره، ومنه أيضاً الانطباق.

۞ **(وأنه قد يُسْتحسَن البيتُ ويُثنَى عليه، ثم يُستهجَنُ نظيرُه في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة فيعرضُ عنه؛ إذ كان ذلك موقوفاً على استحلاء المُسْتَحلي، واجْتواء المجتوي).**

(الاجتواء): «بالجيم» افتعال من الجوى، وهو الداء الباطني، والمراد بالاجتواء هنا الكراهة ونفور الطبع، وأصله عدم ملائمة الجو للساكن فيه، وفي حديث النفر من عُكَل وعُرَينة: «**أنهم اجتووا المدينة**»[(٢)]؛ أي: استوخموا جوَّها؛ إذ كانوا من أهل بادية، وصيغة الافتعال هنا للمطاوعة.

۞ **(وأنه كما يُرزق الواحد في مجالس الكبراء من الإصغاء إليه والإقبال عليه، ما يُحرَم صِنْوُه وشبيهُه، مع أنه لا فضيلة لذلك ولا نقيصة لهذا، إلا ما فاز به من الجَدِّ عند الاصطفاء والقَسْم).**

أي: وأن ذلك يشبه ما يُرزق الشخص من الإصغاء إليه.

وقوله: **(ما يحرم صنوه)**، كذا في جميع النسخ وهو من حذف عائد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ٤/١٨٨٦.

(٢) رواه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (٤٣٣٠)، من حديث أنس ﷺ.

صلة الموصول، إذ كان منصوباً بفعلٍ، وهو كثيرٌ، فالتقدير: ما يُحْرَمُه.

و(**الجَد**) بفتح الجيم: الحظُّ والبَخْت[١].

و(**القَسْم**) بفتح القاف وسكون السين: مصدر بمعنى اسم المفعول، وهو ما يُقسَم للمعطَى ـ بفتح الطاء ـ من العطاء. **قال الأعشى**[٢]:

ويَقسِمُ أمرَ الناسِ يوماً وليلةً[٣]

(والقسم) في كلام المؤلف، معطوفٌ على الاصطفاء، والمعنى: أنك تتوهم أن سببَ التفاضل بين البلغاء، تابعٌ لِمَيْلِ الأعيانِ إلى بعض البلغاء دون بعض؛ بسبب اجْتباءِ المائلِ المُمَالَ إليه اجتباءً ناشئاً عمَّا للمُمَالِ إليه من البَخْت الذي قدَّره اللهُ له[٤].

۞ **(وقلتَ أيضاً: إني أتمنى أن أعرفَ السببَ في تأخر الشعراء عن رُتْبة الكُتَّاب البلغاء، والعذرَ في قلةِ المترسِّلِين وكثرةِ المُفْلِقين، والعِلَّةَ في نباهةِ أولئك وخُمول هؤلاءِ، ولماذا كان أكثرُ المترسِّلين لا يُفْلِقُون في قَرْضِ الشعر؟ وأكثرُ الشعراء لا يَبْرَعُون في إنشاء الكتب؟ حتى خُصَّ بالذكر عدد يسيرٌ منهم، مثل: إبراهيم بن العباس الصُّولي، وأبي عليٍّ البصير، والعَتَّابي، في جمعهم بين الفنَّين[٥]، واغترازهم رِكاب الظهرين،**

---

(١) البخت: بمعنى الجَد ليس فصيحاً، قيل: معرب، أو مولد، أو أعجمي. **ينظر**: الجمهرة ١/ ١٩٣، الصحاح واللسان والقاموس: (بخت).

(٢) ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير (٠٠٠ ـ ٧هـ)، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، يسمى: صَنَّاجة العرب. الشعر والشعراء ١/ ٢٥٠، الأعلام ٧/ ٣٤١.

(٣) ديوانه ص١١٩ وهذا صدر بيت عجزه: وهم ساكتون والمنية تنطقُ.

(٤) «ج» زيادة: (والمقصود من كلام المؤلف إبطال أن يكون التفاضل خلياً عن أسباب حقيقية، وأنه ليس لأسباب وهمية وإنما احتاج إلى إبطال هذا الوهم؛ لأنه جاش في نفس المخاطب، ولأنه شاع بين ضعفاء العقول وقاصري الصناعة إذا خانتهم المقدرة أن يعتلوا لخيبتهم بأنهم حُرموا البخت وأن تفوق من سواهم عليهم لأجل أن المتفوق مبخوت. ومن هذا القبيل حال المشركين حين عجزوا عن معارضة القرآن فإنهم قالوا: هو سحر).

(٥) في الأصل: (الفئتين)، والمثبت أصوب كما في «س» و«ج».

ونظام[1] البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور).

هذا تمام مجاراة المخاطبة المحكِيَّة في قول المؤلف: «فإنكَ جاريَتَني»، وقوله: «فإنك سألتني»، وقولهِ: «وقلتَ»، وقولهِ: «وزعمتَ»، ثم قال: «وقلتَ».

ووقع في كلام المؤلف: **(والعذرَ في قلةِ المُتَرسِّلِين، وكثرةِ المُفْلِقِين)**.

(فالمترسِّلون): هم أصحابُ الترسلِ، وهو صناعة إنشاء الكلامِ النثريِّ، فإن الإنشاءَ: يُطلَق عليه اسمُ الترسُّلِ إطلاقاً شائعاً، وقد سمَّى شهابُ الدين محمودٌ الحلبيُّ[2] كتابَه في صناعة الإنشاءِ: «حسن التوسُّل إلى صناعة التّرسُّل»[3].

(والمُفْلِقُون) بضم الميم وكسر اللام: هم فحولُ الشعراءِ، يُقال: أفْلَقَ الشاعرُ، إذا نبغ في الشعر، وهذا اللفظ مشتقٌّ من الفِلْق بكسر الفاء وسكون اللام، وهو الشيء العجيب، وهذا اللفظ من الكلمات التي ذَهَل عن إثباتها صاحبُ الصِّحاح وصاحبُ القاموس[4].

وذكر المؤلفُ ثلاثةً ممن خُصَّ بالذكر من شُعَراء الكُتَّاب، وقد بوَّبَ ابنُ رشيقٍ[5] في العمدة[6] باباً لأشعار الكُتَّاب، فذكر الصوليَّ

---

(١) «س»: (هذا ونظامٌ..).

(٢) محمود بن سلمان بن فهد الحنبلي الحلبي، أبو الثناء شهاب الدين (٦٤٤ ـ ٧٢٥هـ)، أديب كبير، استمر في دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً، وهو شاعر مكثر. الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٤، الأعلام ٧/ ١٧٢.

(٣) مطبوع بتحقيق الدكتور أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٤٠٠هـ.

(٤) يمكن أن يجاب عن الجوهري والفيروزآبادي أنهما لم يريدا استقصاء اللغة.

(٥) الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي (٣٩٠ ـ ٤٦٣هـ)، أديب، نقَّاد، مشهور، صاحب الكتاب المشهور: العمدة في صناعة الشعر ونقده. معجم الأدباء ٢/ ٨٦١، الأعلام ٢/ ١٩١.

(٦) العمدة ٢/ ٧٥٧ ـ ٧٦٨.

وبعضاً من جيِّد شعره، وذكر أيضاً محمدَ بنَ عبد الملك الزيات[١]، والحسنَ بن وهب[٢]، وسعيدَ بن حُميْدٍ الكاتب[٣]، وذكر الوزيرَ أبا الحسن بن الخلال المهدوي[٤] وزير بني عُبيد. وأَزِيدُ من شعراء الكتاب: لسانَ الدين ابن الخطيب السّلماني الأندلسي[٥].

و(**الصُّولي**)[٦] منسوبٌ إلى صول[٧] بضم الصاد: ضيْعةٌ من جَرْجَان، وهو تركيُّ الأصلِ، نشأ في الدولة العباسية في مدة المعتصم، واتصل بالوزير الفضل[٨] بن سهل، وتوفي سنة ٢٤٣، له نثرٌ بليغٌ، وشعر رقيق غير طويل. ترجمه ياقوت في «إرشاد الأريب»[٩].

---

(١) محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات، أبو جعفر (١٧٣ ـ ٢٣٣هـ)، وزير المعتصم والواثق العبَّاسِيِّيْن، وعالم باللغة والأدب، من بلغاء الكتّاب والشعراء. سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٢، الأعلام ٦/ ٢٤٨.

(٢) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي، أبو عثمان (٠٠٠ ـ ٢٥٠هـ)، كاتب من الشعراء، وكان وجيهاً، مدحه أبو تمام. معجم الأدباء ٣/ ١٠١٩، الأعلام ٢/ ٢٢٦.

(٣) سعيد بن حميد بن سعيد، أبو عثمان (٠٠٠ ـ ٢٥٠هـ)، كاتب من الشعراء، وكان وجيهاً، مدحه أبو تمام. معجم الأدباء ٣/ ١٠١٩، الأعلام ٢/ ٢٢٦.

(٤) لم أجد ذكره في العمدة، لابن رشيق.

(٥) محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله (٧١٣ ـ ٧٧٦هـ) الشهير بـ: لسان الدين ابن الخطيب، وزير، مؤرخ، أديب، يلقب بذي الوزارتين. الدرر الكامنة ٣/ ٤٧١، الأعلام ٦/ ٢٣٥.

(٦) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق (١٧٦ ـ ٢٤٣هـ)، كاتب العراق في عصره، وكان إذا قال شعراً اختاره، وأسقط رذله، وأثبت نخبته، وجمع ديوانه العلّامة الميمني ضمن الطرائف الأدبية. معجم الأدباء ١/ ٧٠، الأعلام ١/ ٤٥.

(٧) قال ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٤٩٤: «إن الصولي منسوب إلى رجل كان من ملوك طبرستان، أسلم على يد يزيد بن المهلب، وانتسب إلى ولائه». **وينظر**: مراصد الاطلاع ٢/ ٨٥٧.

(٨) في الأصل: (المفضَّل) وهو تحريف، والمثبت هو الصواب كما في معجم الأدباء ١/ ٧٢، والنسخة «ج». والفضل هو ابن سهل السرخسي (١٥٤ ـ ٢٠٢هـ)، أبو العباس، وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده، وكان مجوسياً، يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة). تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٩، الأعلام ٥/ ١٤٩.

(٩) ١/ ٧٠ وهو نفسه معجم الأدباء. **ينظر**: تحقيق الدكتور إحسان عباس لمعجم الأدباء ٧/ ٢٩٢٠.

و(**أبو علي البصير**) هو الفضل بن جعفر النَّخَعي الكوفي الضرير، سكن بغداد في خلافة المعتصم، شاعرٌ وكاتب، توفي سنة ٢٥٥هـ. ترجمه الصَّفَدِي[١].

و(**العَتَّابي**) بعين مفتوحة ومثناة فوقية مشددة[٢]: هو كلثوم بن عمرو العتَّابي، منسوب إلى بني عتَّاب من بطون تغلب، وُلِد بالشام، وسَكَن بغداد، واختَصَّ بالبَرامِكَة، ومدح الرشيد. وهو شاعرٌ مُجيد وكاتبٌ حَسَنُ التَّرَسُّلِ، توفي سنة ٢٢٠هـ. ترجمَهُ في «إرشاد الأريب»[٣].

ونظيرُ ما ذَكَرَ فيمن جمع الشِّعرَ والترسُّل: ما ذكره الجاحظُ[٤] فيمن جمع الشعر والخطابة، وعدَّ منهم بضعةَ عشرَ في كتاب «البيان والتبيين»[٥].

وذكر المؤلفُ لفظَ (**الخُمول**) وهو بضم الخاء المعجمة، مصدر خَمَل؛ أي: سقط، وهو مستعارٌ لعدم الشهرة.

۞ (وأنَا إنْ شاء الله وبه الحولُ والقوة، أُورِدُ في كلّ فَصْلٍ من هذه الفُصُول ما يحتمِله هذا الموضع، ويمكِنُ الاكتفاء به؛ إذ كانَ لتقصِّي المقالِ فيه موضِعٌ آخر، من غير أن أنْصُبَ لما تُصَوِّرُهُ النعوتُ الأمثلةَ، تفادياً من الإطالة؛ لأنه إذا وَضَح السبيلُ، وقَعَتِ الهدايةُ بأيسرِ دليل. والله ﷻ الموفِّق للصواب، وهو حسبنا ونعمَ الوكيل).

(**أنصُب**) بضم الصاد: مضارع نصبَ الشيء إذا رفعه وأظهره، ومنه

---

(١) نكت الهميان ص٢٢٥.
(٢) **ينظر**: وفيات الأعيان ١/ ٥١٩.
(٣) ٥/ ٢٢٤٣.
(٤) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، أبو عثمان (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ)، الشهير بالجاحظ، من كبار الأدباء، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. معجم الأدباء ٥/ ٢١٠١، الأعلام ٥/ ٢٣١.
(٥) ص٥، جزء طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ عبد السلام هارون ١/ ٤٥ ـ ٥٣.

سمي التّمثال من الحجر: نَصْباً تسمية بالمصدر، واستعار المؤلف هذا الفعل لمعنى أذكر وأبيِّن.

(**النعوت**) فاعل تصوره.

(**الأمثلة**) مفعول أنصب، ومراده بالنعوت: التوصيفات الموضِحة للحقائق، والقواعد التي توضَع لطُرق النقد والاختيار.

و(**التفادي**) التجنُّب والتَّحامي.

۞ **(اعلم أن مذاهبَ نُقَّادِ الكلامِ في شرائطِ الاختيار مختلفةٌ، وطرائقَ ذوي المعارف بأعطافِها وأردافِها مُفترِقةٌ، وذلك لتفاوت أقدار منادِحِها على اتِّساعها، وتنازُحِ أقطار مظانِّها ومعالِمها، ولأن تصاريفَ المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيفَ المعاني التي [هي]**[1] **كالأمتعة في المنثور، اتَّسع مجالُ الطبع فيها [ومسْرَحُه، وتشعَّبَ مُراد الفِكْر لها ومطْرَحُه)]**[2].

[(**المذاهب**) أصلها جمع مذهب، وهو][2] مكان الذهاب؛ أي: الطريق، وتُطْلَقُ كثيراً على الآراءِ والأفكارِ، وإنَّما سَمَّوها مذاهب؛ لأنها كالطرائق يذهب فيها الفكر، فمثَّلوا حركة الفكر في معلومات خاصة بمشي الماشي في طرائقَ معيَّنة. فهذا الإطلاق استعارة، ثم شاع عند أهل العلوم، فصار حقيقةً عُرْفِيَّةً عِلمية، في مجموع المسائل العلمية النظرية، التي أخذ بها طائفةٌ من علماءِ علمٍ ما؛ فيقال: مذهب مالك، ومذهب أبي حنيفة، ويقال: مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين من النحاة.

و(**الأعطاف**) بفتح الهمزة: جمع عِطْف، بكسر العين وسكون الطاء

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوع، مستدرك من «س».

(٢) ما بين المعقوفين ليس في الأصل، والسياق يقتضيه، وأثبته في «ج».

وهو قارعة الطريق. و(**الأرداف**) بفتح الهمزة: جمعُ رِدْف، بكسر الراء وسكون الدال، وهو التابع الموالي، وكأنه أراد بها أردافَ الأعطافِ؛ أي: الطرقَ المتفرِّعةَ عنها، فصار ذانك اللفظان استعارتين لأصول أساليب الإنشاء، ولِما يتْبَعُ تلك الأصولَ من المحسِّنات، كما سيُشِير إليه قولُه الآتي: «ومنهم من لم يرْضَ بالوقوف على هذا الحد»، وقولُه: «ومنهم من ترقَّى إلى ما هو أشق». قال السَّكَّاكِيُّ[١] في «مفتاح العلوم» ـ عند انتهاءِ كلامِه على محسناتِ البديع ـ: «وأصلُ الحُسْن في جميع ذلك أن تكون الألفاظُ توابعَ للمعاني، أعني أن لا تكون متكلَّفة»[٢].

و(**المَنادِح**) بفتح الميم: جمع مندوحة، وهي الأرض المُتَّسِعة.

و(**التنازح**) مصدرٌ بمعنى: التباعد، مشتقٌّ من نَزَح عن المكان، إذا بَعُد.

و(**الأقطار**) جمع قُطْر، بضم القاف وسكون الطاء، وهو الناحية المعينة من الأرض والبلدان.

و(**المظان**) جمع مَظِنَّة بفتح الميم وكسر الظاء، على خلاف القياس في بناء اسم المفعلة[٣]؛ أي: المكان الذي يُظن وجودُ شيءٍ فيه.

و(**المعالم**) جمع معلَم بفتح اللام، وهو اسم المكان الذي يُعلم أنه

---

(١) يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب (٥٥٥ ـ ٦٢٦هـ)، عالمٌ بالعربية ومتفننٌ في عدة علوم. صنّف «مفتاح العلوم» في اثني عشر علماً، وأحسن فيه كل الإحسان. معجم الأدباء ٦/٢٨٤٦، الأعلام ٨/٢٢٢.

(٢) مفتاح العلوم ص٢٠٤.

(٣) فالقياس في (ظن) الفتح؛ لأنه فعل ثلاثي متصرف من باب (نصر)، ومع هذا لم يأت إلّا بالكسر شذوذاً. وقد نصَّ ابن مالك على ذلك في لاميّة الأفعال ص٢٠٩ بقوله:

والكسر أفْرِدْ لِمرْفِقٍ ومَعْصِيةٍ ... ومسجِدٍ مَكْبِرٍ مأْوٍ حوى الإبلا
من اثْوِ واغفرْ وعُذْرٍ واحْمَ مفْعِلةٍ ... ومن رزا واعرفْ اظْنُنْ مَنْبِتٍ وصلا

كان منزل قوم، ومعالِمُ القوم: منازلُهم التي بها آثارهم، وهي مشتقةٌ من العِلْم، فلذلك حَسُن جمعُ المؤلف بينها وبين المظانِّ، إيماءً إلى مراتب المعرفة بين علم وظن[1]، فأراد بالمظان: القواعد النظرية التي أنتجها الظن. وبالمعالم: القواعد القطعيَّة التي هي قواعد الفن، الناشئة عن استقراء الأدب العربي.

و(**على**) من قوله: «على اتساعها»، هي بمعنى: «مع»، وهو معنى يعرِض كثيراً لحرف «على»[2]، يعني: أن تفاوت الأقدار تابعٌ لاتساعِ أساليبِ الأدب، ولمقدار إحاطة الأديب بتلك الأساليب؛ وذلك أن حق «مع» أن تدخلَ على المتبوع، فكذلك «على» التي هي بمعناها.

و(**التصاريف**) جمعُ تصريف، وهو التغيير؛ أي: تغييرُ المُتكلِّمِ كلامَه من أسلوبٍ إلى أسلوب، ومن كيفيةٍ إلى أخرى، بحسب اختلاف مواقعه، فالمراد تغيير طريقة الكلام التي يسلكها، بأن يسلَك مرة طريقة وأخرى طريقة غيرها، لا تغيير الكلام الواحد وتبديله. وعرَّف عبدُ القاهر[3] الأسلوبَ بقوله: «والأسلوبُ الضربُ من النظم والطريقة فيه»[4] وإطلاق التصريف على ذلك، من إطلاق المصدر على اسم المفعول؛ كالخَلْق بمعنى[5] المخلوق.

---

(١) **ينظر في مراتب المعرفة**: جمع الجوامع مع حاشية المحلِّي ١/١٥٢، ١٥٤، نشر البنود على مراقي السعود ١/٦٢، ٦٣.

(٢) **ينظر**: مغني اللبيب ١/١٤٣، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عظيمة ٢/١٦١.

(٣) عبد القاهر بن عبد الرحمٰن بن محمد الجرجاني، أبو بكر (٠٠٠ ـ ٤٧١هـ)، واضع أصول البلاغة، ومن أئمة أهل اللغة، له شعر رقيق. بغية الوعاة ٢/١٠٦، الأعلام ٤/٤٨.

(٤) ص٣٣٧، دلائل الإعجاز، طبع مطبعة المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٤٦٩.

(٥) في الأصل: (يعني)، والمثبت من «ج».

و(**التضاعيف**) جمع تضعيف، وهو تكرير الشيء، وأراد بها الفنون الكثيرة، فجمعها لأنَّ كلَّ فنٍّ في الكلام، هو تكريرٌ[(١)] للجنس الأعلى، أعني جنس الخصُوصِيَّات البلاغية؛ فإنه تكرير مظاهر لا تكرير شيء معين.

وقوله: «اتسع مجال الطبع. . .» إلخ، هو خبر عن قوله: «ولأنَّ تصاريفَ المباني. . .» إلخ.

و(**الطبع**)[(٢)]: الوجْدان الذهني، والمراد به هنا وجْدان البليغِ وطبعه، وهو المسمَّى عندهم بالذوق، وهو الذي يَحصُل للبليغ من ممارسة كلام البلغاء، ومن تطبيق القواعد والضوابط التي يتلقَّاها في تعلم الصناعة، حتى تحصلَ له ملكةٌ تتميز بها عنده أصناف الكلام في الجودة والرفعة ودونها، بحيث يحكم بأن هذا الكلام حسن، وهذا أحسن، وهذا دون ذلك. قال الجاحظ: «والإنسانُ بالتَّعلُّم، وبطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسةِ كتب الحكماء؛ يجودُ لفظُه، ويحْسُنُ أدبُه، وهو لا يحتاج في فساد البيان إلى أكثر من ترك التخيُّر»[(٣)].

وقال السكَّاكِيُّ: «ليس من واجب في صناعةٍ أن يكونَ الدَّخيلُ فيها كالنَّاشِئِ عليها في استفادة الذوق[(٤)] منها، فكيف إذا كانت الصِّناعةُ

---

(١) في الأصل: (كتكرير)، والمثبت من «ج».

(٢) قال الجرجاني: «ولست أعني بهذا كل طبع، بل المهذب الذي صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلّته الفطنة، وأُلهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة الحسن والقبح». الوساطة ص٢٥. **وينظر**: منهاج البلغاء ص٢٦.

(٣) في البيان والتبيين ص٧٤ ـ ٧٥ جزء أول، طبع المطبعة الرحمانية بمصر. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ عبد السلام هارون ١/٨٦.

(٤) قال الدسوقي: «الذوق: قوة يدرك بها لطائف الكلام ووجوه تحسينه». وقال الجرجاني: «الذوق: حالة إدراكية تشبه ذوق الطعوم اللذيذة كأنها عيان بعد برهان». وقال ابن خلدون: «هو حصول ملكة البلاغة في اللسان». حاشية الدسوقي ١/ ٨٠ ضمن شروح التلخيص، شرح الجرجاني على المفتاح ص٥٧، مقدمة ابن خلدون ص١٠٨٥.

مستَنِدة إلى تَحكُّماتٍ وضْعِيَّةٍ واعْتِبَاراتٍ إلْفِيَّة»[١]. ثم قال: «وقد كان شيخُنا الحَاتِمِيُّ[٢] ـ ذلك الإمام الذي لن تسمحَ بمثله الأدوار، ما دار الفلك الدوَّار ـ يحيلنا ـ بحُسْنِ كثيرٍ من محسِّنَات الكلام إذا راجعناه فيها ـ على الذوق، ونحن حينَئذٍ مِمَّن نبَغَ في عِدَّةِ شُعَبٍ من علمِ الأدب». اهـ. وبهذا يتَّضِحُ أنَّ الذوقَ والطَّبْعَ مُتَرادِفَان، ولذلك تسمع أئِمَّةَ الأدبِ يقولون: «هذا يشهد به الذوقُ السليمُ، والطبعُ المستقيم» ونَحْوَ هذهِ العِبارة.

و(**المجال**): مكان الجَوَلان، وهو الطواف.

و(**المَسْرحُ**): مكانُ السُّروح، وهو انطلاق الأنْعامِ في المَرْعَى[٣].

وأراد المؤلِّفُ بهذينِ مواضيعَ المعاني البَلاغِيَّةِ التي يعْمَلُ فيها الفِكْرُ لاسْتِخرَاجِ دقَائِقِهَا.

و(المُراد) بضم الميم: موضعُ رِيادِ الإبل، وهي تَنَقُّلُهَا في المَرْعَى مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً.

---

(١) في القسم الثالث من المفتاح في القانون الأول من الفصل الأول منه. (المؤلف).
قلت: ص١٦٩، ١٧٠، طبعة نعيم زرزور.

(٢) الحاتمي هذا لم أقف من ترجمته على سوى أنه يلقب بشرف الدين، وأنه تلميذ عبد القاهر الجرجاني، وأنه شيخ السكاكي، وقد ذكره السكاكي في المفتاح غير مرة، وهو غير الحاتمي عصري المتنبي الذي ألَّف كتاب نقد المتنبي. (المؤلف).
قلت: رجَّح الدكتور أحمد مطلوب أن الحاتمي هو: سديد الدين بن محمد الخيَّاطي. البلاغة عند السكاكي ص٥٣.

(٣) هاهنا عبارةٌ مقحَمة، وهو خطأ طباعي تكرر في المطبوعات الثلاث، وهذا نصها: (وقد أشار المؤلفُ إلى جِهَةِ الاخْتِلافِ الأولى، إذ قال: «وذلك لتَفَاوتِ أقْدَارِ مَنَادِحها على اتِّساعها، وتنازُحِ أقْطَارِ مظَانِّهَا ومعالِمِهَا». وأشار إلى معذرتهم في التحيُّر في تعيين مدخل الاستحسان وضده بقوله: «ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة...»، إلى قوله: «ومطرحه»). وليس هذا محلها، بل مكانها ما سيأتيك قريباً.

و**(المَطْرَحْ)**: مكان الطَّرْح؛ أي: البُعْد. وكلُّ هذهِ تفنُّنَاتٌ من المؤلِّفِ في التعبير.

وقوله: **(في المنثُور)** يتنازعه «تصاريف» و«تضاعيف»، وإنما قيَّد موضوعَ بحثِه هذا بالكلامِ المنْثورِ؛ لأنَّه سيخُصُّ الشِّعْرَ ببحث آخرَ يجيءُ عند قوله: «وكانَ الشِّعرُ قَد سَاواه».

ومعنى كلام الإمام المرزوقي: أنَّ تنوُّعَ كيْفِيَّاتِ مواقعِ الكلامِ البليغ مع دِلالته[1] على المعاني التي يقْصِدُ إليها البُلَغاء قد كان تنوُّعاً يتجَاذبُهُ اعتبارُ ألفاظِ الكلامِ واعتبارُ المعاني التي قصدها البلغاء من صناعتهم في البلاغة، وأنه الذي كان سبباً في اختلاف أذواقِ علماءِ الأدب في شروط محاسن إيقاعها، اختلافاً ناشِئاً عن اختلاف أمْيَالِ الناقدين والمختارين، بحسب ما أَلِفُوهُ من ممارسة ما يُعجَبُون به ويَروقُ لديهم من نتائجِ أهل اللِّسان. وهم مع ذلك متحيِّرون في تعيين سببِ مدْخلِ الاسْتِحْسَان أو ضِدِّه إلى أذواقهم، سواء من جهة اللفظِ أم هو من جهة المعنى. ويوضِّحُه قولُه: «فمن البلغاء...» إلخ.

وقد أشار المؤلف إلى جهة الاختلاف الأولى؛ إذ قال: «وذلك لتفاوت أقدار منادِحِها على اتِّساعها، وتنازُحِ أقطار مظانِّها ومعَالِمِهَا».

وأشار إلى معذِرَتهم عن التحيُّرِ في تعيينِ مدْخَلِ الاستحسان وضدِّهِ بقوله: «ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة». إلى قوله: «ومطْرَحُه».

وليس مرادُ أصحابِ هذا المذهب إهمالَ الالتفاتِ إلى جانب المعاني، ولكنهم جعلوا الاهتمام بالألفاظ في الدرجة الأولى، فأول ما يُقْصَد من اهتمام البليغ عند أهل هذا المذهب، هو الكلام الذي هو

---

(١) مثلثة الدال كما في القاموس: (دلل). قال الفاسي: والكسر أفصح ثم الفتح. فيض نشر الانشراح ١/ ٢٩٣.

قوالبُ للمعاني، كما أفصح عنه المرزوقي في آخر كلامِه بقوله: «فأكثرُ هذه الأبوابِ لأصحابِ الألفاظِ؛ إذْ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري، فأرادوا أن يلتذَّ السمعُ بما يدرك منه ولا يمجُّه، ويتلقَّاه بالإصغاءِ إليه والإذن له فلا يحجبه». ثم بقوله: «من البلغاء من قصد فيما جاشَ به خاطِرُه. . .» إلخ. وحاصلُ ما أشار إليه المؤلِّفُ اختلافُ أئمة النَّقد في تعيين النَّاحيةِ للكلام التي منها يكون فضله أو ضده، وبها يستحق اختيارُهُ أو رَدُّهُ.

وسببُ هذا الاختلافِ في مرجعِ التَّفضيلِ؛ أنَّ أهلَ النقد والاختيار وجدُوا في أنفسهم إدراكاً للتفاضل بين كلاماتِ البُلَغاء تفاضلاً توافقوا عليه في الغالب، واختلفوا فيه تاراتٍ بين مُختارٍ ومُنْتقدٍ، فأيقنوا أنَّهم ما اتفقوا على الكلام الذي اتفقوا على تفضيله، إلا لِخصالٍ اشْتملَ عليها موجِبةٍ لتفضيله، متساويةٍ في الثُّبوت عندهم، وأنهم ما اختلفوا في الكلام الذي اختلفوا فيه إلا لخصالٍ تُخالِف الخصال التي اعتادت نفوس أهل الاختيار استحسانها، وتوافق[1] الخصال التي اعتادت نفوس أهل النقد كراهتها، فأيقنوا أن من خِصَال الكلام ما هو حقيق بأن يكون مناط اختيار وضدِّه، فكان ذلك الإدراكُ في اتفاقهم واختلافهم حافزاً لهم للبحث عن جوامع تلك الخصالِ ومقوماتِها.

وعلموا أن إدراكهم وفاقاً وخلافاً يرجع إلى معتادِهم من مزاولةِ مختلِف أحوال كلام البلغاء في مراتبه، أعلاها وأدناها، فبعثهم على وصف ما يصفونه بحسن أو بدونه.

وكان لكل كلام بليغ مبان؛ أي: ألفاظٌ بني عليها في حسن التئام وانتظام، ومعانٍ لها صورٌ في العقل يستجيدها السامع ويغتبط بها.

وكان ذلك الإدراك انفعالاً ذِهْنِياً يؤُول بالدُّرْبة إلى ملكاتٍ ذوقية،

---

(١) في الأصل: (موافقة)، والمثبت من «ج».

فلما حاولوا أن يستدلوا عليه عند المجادلين، أو أن يصفوه للمتعلمين عند المُدارسة، ضاقت الأفكار عن الإحاطة بأسبابه، والعباراتُ عن الدّلالة على منابعه، فاحتاروا في أن مثار ذلك الإدراكِ الحاصل لهم من أين نشأ؟ أهو من جانب مباني الألفاظ وانتظامها أم من جانب المعاني وصورها؟. ثم احتاروا في شرح أسباب حصول ذلك في أحد الجانبين أو في كليهما، فاستعان كل واصف على إبانة الأوصاف التي تَعَقَّلها إبانةً بما حضر لديه من التقريب والتشبيه والتمثيل، عسى[1] أن يبلِّغ ما في نفسه إلى نفوس المجاذِبين والمسترشِدِين، فشبهوا المعاني تارة بأحوال الأناسي[2] والحيوان من الجواري والظباء، وأحوال المتاع النفيس من حلي أو نحو ذلك، ثم استتبعوا تلك التشبيهات بالبناء عليها؛ فجعلوا للجواري معارض ومطارف، وجعلوا للحيوان وحشياً وإنسياً، ووصفوا اللفظ المقبول بالنبيه وبالشريف، وضدَّه بالهجين وبالرديء والمستكره. ووصفوا المعنى المقبولَ بالرفيع وبالكريم، وضدَّه بالحقير والفاسد والدنيء والساقط[3].

ثم عزَّزوا ذلك كلَّه بالمقارنات بين منشآت البلغاء والموازنة بينها. وقد تصدى المؤلف إلى تقريب ذلك كله والجمعِ بين مختلِفه بما تفنَّن في أوصافه، مع الحرص على الاختصار، فقال: «اعلم أن مذاهب نُقَّادِ الكلامِ في شرائطِ الاختيار مختلفةٌ، وطرائقَ ذوي المعارف بأعطافِها وأردافِها مُفترِقةٌ، وذلك لتفاوت أقدار منادِحِها على اتِّساعها، وتنازُحِ أقطار مظانِّها ومعالِمها، ولأن تصاريفَ المباني التي هي كالأوعية،

(١) في الأصل: (على) ولا مكان لها، والاستدراك من «ج».
(٢) في الأصل: (الأناس)، والمثبت من «ج».
(٣) ص٧٤، الجزء الأول من البيان والتبيين، للجاحظ، طبع الرحمانية بمصر. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة هارون ١/ ٨٥، ٨٦ بتصرف.

وتضاعيفَ المعاني التي كالأمتعة في المنثور، اتَّسع مجالُ الطبع فيها ومسْرَحُه، وتشعَّبَ مُراد الفِكْر لها ومطْرَحُه». وكان الخائضون في هذا الشأن فريقين، ففريق وهم الأكثرون، هم من أصحاب الذوق والبلغاء من الأدباء، ولكنهم غيرُ متمرِّسين في علوم المعاني والبيان؛ فكانوا إذا وصفوا الكلام البليغ وصفوه بالأساليب التي اعتادوا في منشآتهم، وهي الإبانة عن محاسن الكلام بالتقريب بأساليب التشبيه والمجاز والكناية، فيبرز وصفهم الكلام في صورة إنشاءٍ بليغ أو شعرٍ جيِّد، وهم على ذلك قد أناروا الطريق لسالكيه، ولكنه لا يشفي غليل الطالب ولا يبلغ به الواصف قصده، وهذا كما وصف ابنُ الأثير[1] كلاماً فصيحاً بقوله: «البيان الذي لا يغُضُّ منه نسق الغِرِّيد، ولا يُخْلِقُ نضرةَ لِباسِه الجديد، يستميل سمع الطَّرُوب، ويستحقُّ وقارَ القلوب». وقولِه: «وإنَّ للكلمة طعماً يُعرف مذاقُه من بين الكلام، وخِفَّة الأرواح معلومةٌ من بين ثِقَل الأجسام». وقوله: «ألفاظٌ كخَفْقِ البُنُود أو زأْر الأسود، ومعانٍ تدل

(١) **هو**: الوزير نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر الموصلي، توفي سنة ٦٣٧هـ. وهو من أئمة الأدباء والكُتّاب، له كتابان: «المثل السائر» مشهورٌ مطبوع، وكتاب «الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور»، ذكره صاحب «كشف الظنون»، ويظهر أنه ألّفه بعد «المثل السائر» مع أنه ذكر كتاباً آخر له سماه: «الوشي المرقوم في حل المنظوم»، وهذا «الجامع الكبير» أخص من «المثل» وأقل شواهد، ولكنه قد يكون أكثر منه قواعد، فلعله قصد منه تهذيب الفن والإقلال من انتشاره، وهو يقع في زهاء ثلث حجم «المثل السائر»، وهو عزيز الوجود وفي مكتبتي نسخة منه نسخت سنة ٦٦٨هـ، وهذا الكلام الذي ذكرناه هاهنا من «المثل السائر». (المؤلف).

قلت: **ينظر**: كشف الظنون ١/ ٥٧١، وقد نسبه فيه إلى ابن الأثير (المؤرخ) صاحب «الكامل»، وهو وهمٌ، تبعه فيه الزركلي في الأعلام ٤/ ٣٣١، ثم ذكره على الصواب في ٨/ ٣١. وقد طبع الجامع الكبير بتحقيق الدكتور مصطفى جواد، والدكتور جميل سعيد، في مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٥هـ، والوشي المرقوم في حل المنظوم طبع مراراً.

بوارقها أنها هي السيوف، وأن قلوباً نَمَتْها هي الغُمُود»[١].

وكما وصف البُحْتُرِيُّ[٢] وقارنَ فقال:

في نِظَام من البلاغة ما شَكَّ امرؤٌ أنه نِظَامُ فَرِيدِ
وبديعٌ كأَنَّهُ الزَّهرُ الضَّاحِكُ في رَوْنقِ الربيعِ الجديدِ
مشرقٌ في جوانبِ السَّمْعِ ما يُخْلِقُهُ عَوْدُهُ على المُستعيدِ
ومعانٍ لو فَصَّلَتْها القوافي هَجَّنتْ شِعْرَ «جَرْوَلٍ» و«لَبِيدِ»
حُزْنَ مُسْتعمَلَ الكلامِ اختياراً وتَجنَّبْن ظُلْمَةَ التَّعْقِيد
وركِبْنَ اللَّفْظَ القريبَ فأدْرَكْنَ به غايةَ المُرادِ البعيدِ[٣]

وفريقٌ هم أصحابُ علومِ العربيَّةِ من المعاني والبيان، غير أنهم لم يكمل عندهم ذَوْقُ صناعة البلاغة، وهؤلاء قُصَاراهم بيانُ خصائصِ الكلامِ البليغِ بياناً كُلِّياً، وتمثيلُه بشاهد أو شاهدين مما في تلك الخصوصية، ولا يحفِلون بأن تكون شواهدهم مستكمِلةً شروطَ الجودة بأكثرَ من اشتمالها على ما يحقق القاعدة، مثلُ أحمد بن يحيى ثعلب[٤].

وأحقُّ الناسِ بإطلاق العِنَانِ في هذا الميدان، هم الذين استكملوا عدة الفريقيْنِ، وتكلموا باللِّسانيْنِ، مثلُ: الجاحظِ، والآمِدِيِّ، وعبدِ القاهِرِ الجُرْجَانِيِّ، ويوسفَ السَّكَّاكِيِّ، والمرزوقِيِّ، وابنِ الأثير، وإن كان

---

(١) المثل السائر ١/ ١٩٨ ـ ٢٠٠.

(٢) الوليد بن عبيد الطائي، أبو عبادة البحتري (٢٠٦ ـ ٢٨٤هـ)، شاعر كبير، يُقال لشعره: سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: أبو تمام، والبحتري، والمتنبي. وفيات الأعيان ٦/ ٢١، الأعلام ٨/ ١٢١.

(٣) ديوانه ١/ ٦٣٦، ٦٣٧.

(٤) **ينظر**: كتاب «قواعد الشعر» له.

وثعلب هو: أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء، أبو العباس (٢٠٠ ـ ٢٩١هـ)، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وهو محدث، ثقة، حجة. تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٦، الأعلام ١/ ٢٦٧.

هذا الأخيرُ دونهم ذوقاً[١].

۞ قال المؤلف: (**فمن البلغاء من يقول: فِقَرُ الألفاظِ وغُرَرُهَا؛ كجواهرِ العُقُودِ ودُرَرِهَا، فإذا وُسِمَ أغفالُها بتحسين نُظُومها، وحُلِّيَ أعطالُها بتركيب شُذُورِها، فَرَاق مسمُوعُها ومضبوطُها، وزان مفهومُها ومحفوظُها، وجاء ما حُرِّرَ منها مُصَفى[٢] من كَدَرِ العِيِّ والخَطَل، مقوَّماً من أَوَدِ اللَّحْنِ والخطأ، سالِماً من جَنَفِ[٣] التأليف، موزوناً بميزان الصواب، يموجُ في حواشيه رَوْنَقُ الصَّفاء لفظاً وتركيباً، قَبِلَه الفهم والتذَّ به السَّمع. وإذا وَرَد على ضِدِّ هذه الصفة صِدَئَ الفهمُ منه وتأذَّى السمعُ به تأذِّي الحواسِّ بما يُخَالِفُها**).

أراد بالبُلَغَاء أئِمَّةَ النَّقْدِ وعلماءَ فَنِّ التَّرسُّلِ وقَرْض الشعر والبلاغة، الذين يصرِفون اهتمامَهم إلى العناية بحالةِ الكلام المفيدِ المعاني، وجعْلِهِ مَناطَ الاختيارِ والنَّقد.

وهذا المذهبُ نَسبَهُ الآمِدِيُّ[٤] في كتابِ «الموازنة» إلى الكُتَّابِ وأهلِ البلاغة[٥]، ونَسبَهُ عبد القاهرِ في «دلائلِ الإعجازِ» إلى القدماء[٦]، وعلى حسب اهتمامِهم هذا يجري اختيارُهم فيما يختارون من صنائعِ أهلِ الأدبِ، ويجري تعليمُهم فيما يَلَقِّنُونَ للشَّادِين في مُزَاولَةِ الصِّناعةِ من

---

(١) ستأتي ترجمته عند ورود كلام له. (المؤلف). **قلت**: سبقت ترجمته.

(٢) في الأصل: (مصرفاً)، والمثبت من «س». ومن عيار الشعر، لابن طباطبا ص٢٠ وهو الأقرب.

(٣) «س»: (جور)، وكذا في: عيار الشعر ص٢١.

(٤) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، أبو القاسم (٠٠٠ ـ ٣٧٠هـ)، عالم بالأدب، راوية، من الكُتّاب، له شعر. معجم الأدباء ٢/ ٨٤٧، الأعلام ٢/ ١٨٥.

(٥) الموازنة ١/ ٤٢٠.

(٦) انظر ص١٨٤ من دلائل الإعجاز، سطر٢٠ ـ ٢١، طبع مطبعة المنار. (المؤلف). **قلت**: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٢٥٢.

التَّرَسُّلِ وقَرْضِ الشعر، فَهُمْ يصرِفون الاهتمامَ إلى محاسن الكلام، فلما وجدوا المعاني إنما تظهر من دِلالةِ الكلام عليها، صرفوا أولَ العناية إلى جانب الكلام وألفاظِه، وجعلوا المعاني حاصلةً بالتبع. وعلى عكس هذه الطريقةِ من الاعتبار، جرى الفريقُ الذين قدَّموا النظر إلى جانبِ المعاني.

وهذا المذهبُ هو الذي احتفَلَ به الشيخُ عبدُ القاهرِ في «دلائل الإعجاز»[1] في الفُصُولِ التي تَرْجَمَها بـ: «فصول شَتَّى في أمر اللفظ والنظم»[2]. فظهر أنَّ المقصودَ من صرفِهم الاهتمامَ إلى العنايةِ بحالةِ الكلام اشتراطُهم أن يكونَ كلاماً فصيحاً؛ بفصاحةِ كلماته في حَدِّ ذاتِها، وبفصاحةِ تراكيبِها عند اجتماعِها، ثم بما يُعطِيه نظمُ الكلام عند تركيبه من أساليب في التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفَصْل والوَصْل، والحقيقة والمجاز، من خصائصَ يفوق بها غيره مما هو دونه في ذلك، فذلك كلُّه يرجع إلى اللفظ. فأما فصاحة الكلمات فلأنها أجزاء الكلام، فتعيَّن أن تكونَ الأجزاءُ فصيحةً ليكون مجموعُ الكلامِ فصيحاً.

ومعنى فصاحة الكلمات: سلامتُها من تَنافُرِ الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفةِ قواعد اللغة المستقرأةِ من استعمال العرب، وهذا ما يقتضيه تشبيهُ المؤلفِ الألفاظَ بالجواهرِ والدُّرَرِ؛ إذ لم يختلفْ أئمةُ

(١) ولكنه عاد فاحتفل باللفظ، الدلائل ص٢٥٦ ـ ٢٥٧، فذهب الناس في فهم كلامه طرائق، فقال فريق: إنه من أنصار اللفظ، وقال آخرون: بل هو من أنصار المعنى، وقيل: بل تناقض!، والصحيح أنه لم يتناقض؛ فإنه حين ناصر المعنى على اللفظ، كان همه الرد على اللفظين، الذين قدموا اللفظ ومنحوه كلَّ مزية، وجاروا على المعنى، وحين ناصر اللفظ على المعنى، كان مرماه الرد على من بالغ في فضل المعنى، وعرى اللفظ من كل فضيلة. **ينظر**: حاشية الدسوقي ١/ ١٣٤ ضمن شروح التلخيص؛ عبد القاهر الجرجاني، للدكتور أحمد مطلوب ص١٨٨، ١٨٩، قضية اللفظ والمعنى، للدكتور علي العماري ص٣٥٩ ـ ٣٧٧، المجاز، للمطعني ٢/ ٩٠٢.

(٢) ص١٨٠ من دلائل الإعجاز. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٢٤٩.

البلاغةِ في أنَّ من شرط كون الكلامِ فصيحاً، أن تكون كلماتُه فصيحة، ولم ينكروا أن الألفاظ المفردة تتفاضلُ بمقدار تفاضلها في فصاحتها، ويظهرُ ذلك جلياً في المترادفات[1]، فلا يختلفون في أن لفظة «أسد»، أحسنُ من لفظة «فَدَوْكَسْ».

وقد عابوا استعمال المتنبي[2] ألفاظ القلقلة، في قوله:

وقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاقِلَ هَمٍّ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ[3]

قال الشيخ في «دلائل الإعجاز»[4]: «وقُصَارى تفاضل الكلمتين، لا يكونُ أكثرَ من كَوْنِ إحداهما مألوفةً مستعملةً، والأخرى غريبةً وحشيةً، أو تكون حروفُ هذه أخفَّ، وامتزاجُها أحسنَ، ومما يَكُدُّ اللسانَ أبعدَ».

وقال[5]: «من المعلوم أن لا معنى لعبارات البلاغة والفصاحة

---

(١) الترادف: تعدد الأسمى لمسمى واحد. الطراز ٢/ ١٥٥، التعريفات ص١١٧.
والجمهور على إثبات الترادف، وأنكره ثعلب، وابن فارس، وأبو علي الفارسي، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الترادف في اللغة قليل». **ينظر**: الصاحبي ص١١٤، ١١٥، المزهر ١/ ٤٠٥، مجموع الفتاوى ١٣/ ١٨٣.

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ)، أبو الطيب المتنبي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. قال ابن رشيق: المتنبي ملأ الدنيا وشغل الناس. سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٩، الأعلام ١/ ١١٥.

(٣) ديوانه ٣/ ١٧٦. ورواية الديوان: «قلاقل عيسٍ». والمعنى: قلقل: حرك. قلاقل: جمع قُلْقُل، وهي الناقة. والقلاقل الثانية: جمع قلقلة وهي الحركة. وقد عاب الصاحبُ بن عباد أبا الطيب بهذا البيت، وقال: «ماله قلقل الله أحشاءه، وهذه القافات الباردة». قال الواحدي: «ولا يلزمه من هذا عيب، فقد جرت العادة بذلك». وقال ابن رشيق: «هذه الألفاظ كما قال: كلهن قلاقل»!. شرح الواحدي ص٥٠، العمدة ١/ ٥٥٩.

(٤) دلائل الإعجاز ص٣٦. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة شاكر ص٤٤ بتصرف يسير.

(٥) المصدر نفسه ص٣٥. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة شاكر ص٤٣.

والبيان، ـ التي يُنسب فيها الفضلُ والمزية إلى اللفظ دون المعنى ـ، غيرُ وصفِ الكلام بحسن دِلالته وتمامِها، ثم تَبَرُّجِهَا في صورةٍ هي أبهى وأزينُ وأحقُّ تستوليَ على هوى النفس، وتنالَ الحظَّ الأوفرَ من نَيْلِ[١] القلوب، ولا جهة لاستكمال هذه الخصال، غيرَ أن يؤتىٰ المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديتِهِ، ويُخْتَارَ له اللفظُ الذي هو به أخصُّ وأحرى بأن يُكْسِبه نُبْلاً، ويُظهِرَ فيه مزِّيةً.

وهل يُتَصَوَّرُ أن يكون بين اللفظتين تفاضُلٌ في الدِّلالة، حتى تكونَ هذه أدلَّ على معناها الذي وُضِعت له من دلالة صاحبتها على ما هي موضوعة له، حتى يقال: إن «رجُلاً» أدلُّ من «فرس»؛ فلذا لا تتفاضل الكلمتان المفردتان، إلا بالنظر إلى المكان الذي تقعان فيه من نظم الكلام.

ولا تجد أحداً يقول: «هذه الكلمة فصيحة»، إلا وهو يعتبر مكانَها من النظمِ، وحسنَ ملائمةِ معناها لمعنى جارتها». وقال[٢]: «فإذا تلاقت في النطقِ حروفٌ تَثْقُلُ على اللسان ـ ومَثَّلَهُ بأبيات التَّنافُرِ الشديد والمتوسِّط ـ فذلك وجهٌ من وجوه التفاضل بين كلامٍ على كلام؛ ولكن ليس المقصودُ أن يكونَ ذلك عُمْدَةَ المفاضلة، وهذا لاً ضر به علينا».

ولهذا فالذين لم يتعرضوا إلى محاسن الكلمات المفردة، ما أرادوا عدم الإلفات[٣] إلى شرائطِ حُسْنِهَا، ولكنَّهم استغنوا عنه بحصولِهِ تبعاً

---

(١) في طبعة شاكر: (مَيْل)، وفي «ج»: (قِبَل).

(٢) دلائل الإعجاز ص٤٤. (المؤلف).

قلت: وفي طبعة شاكر ص٥٧، ٥٩ باختصار.

(٣) كذا في المطبوع! ولعلها: (الالتفات)، لأن الفعل ثلاثي: لفت يلفت، ومصدره: (لفْت) لا (إلْفات). **ينظر**: المعاجم: (لفت). شرح فصيح ثعلب، المنسوب للزمخشري ١/ ٨١، تذكرة الكاتب، لأسعد داغر ص٣٣، لجام الأقلام، لأبي تراب الظاهري ص٢٣٥.

لحصولِ شرائطِ فصَاحةِ الكلامِ ومحاسِنِه، ولكنَّ المُتَأخِّرِينَ من عَهْدِ السَّكَّاكِيِّ، رَأَوْا أن لا مَحِيص عن الاعتدادِ بصِفَاتِ الكَلِمةِ المُفْرَدَةِ قبلَ دُخُولِها في نَظْمِ الكلام، فجعلوا الفصاحة مشتركةَ الوقوعِ في المفرد وفي الكلام، لا سِيَّما بعد أن وضحتِ المَحجَّةُ، وزالت الشُّبْهَةُ التي استنكرها عبدُ القاهر، وإن كانوا لا يُنكِرون أنَّ فصاحةَ المُفْرَدِ لا يُهتَمُّ بها، إلا من حيث إنه مُعَرَّضٌ للوقوع في الكلام؛ فآل الخلافُ إلى اللفظ. وقد أشار المؤلف إلى الأمرين في قوله الآتي: «إذ كانت الألفاظُ للمعاني، بمنزلة المعارِضِ للجواري».

وأصحابُ هذا المذهب لا يعبأون بالصنعة، ولا يتكلَّفون للمحسِّنات، ومنهم عبد القاهر، قال في «أسرار البلاغة»[1]: «ولن تجدَ أيمنَ طائراً[2]، وأحسنَ أوَّلاً وآخِراً، من أن تُرسِلَ المعاني على سجيتها، وتدعَها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تُركت وما تريد، لم تكْتَسِ إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض[3] إلا ما يَزِينها، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن تُجَنِّس، أو تَسْجَع بلفظين مخصوصين، فهو الذي أنت منه بعَرَض الاستكراه، وعلى خطرٍ من الخطأِ والوقوعِ في الذم». اهـ.

وإليك تفسير مفرداتٍ من كلام المؤلف:

---

(١) ص١٠، طبع مطبعة المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة شاكر ص١٤.

(٢) أي: أحسنُ حظاً، فالطائر الحظ والنصيب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]؛ أي: حظه ونصيبه، ومنه ما أخرجه البخاري (٣٨٩٤)، ومسلم (٣٤٦٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها حين بنى بها النبي ﷺ، قالت: «فأتتني أمي فأدخلتني الدار، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر»؛ أي: على خير حظ ونصيب. قاله الحافظ ابن حجر، فتح الباري ٧/ ٢٨٠.

(٣) في المطبوع: (العارض) ولا معنى لها، والمثبت من طبعة شاكر و«ج».

(**فِقَر**) بكسر ففتح: اسم جمع فِقْرة، وهي ما انعقد من عِظَام الصُّلب كالعُلبة، وأراد بها المفردات.

و(**الغُرَر**) جمع غُرَّة: وهي دَارَةٌ بيضاءُ في جبهة الفرس، وهي من محاسن الخيل، وأراد بها محاسن الكلمات، والمعنى: أن شروطَ محاسِنِها كشروطِ محاسنِ الجواهرِ في العقود إفراداً وتأليفاً.

و(**الأغْفَال**) جمع غُفْل، بوزن قُفْل: وهو القَدَحُ من قِدَاح المَيْسِر، الذي لم تُجعَل له علامةٌ تدل على نصيب من يخرج له، فصاحبه في الميسر لا نصيب له.

وبذلك يظهر معنى قولِه: «فإذا وُسِم أغفالها»، حيثُ جعَل الكلمةَ غيرَ المنتَخَبة؛ كالقَدَح الذي لا حظ له في القِدَاح.

و(**الأعطال**) جمع عاطِل: وهي المرأة التي لا حلية عليها، جعل الكلمة غير المنتخبة كالمرأة غير الحالية، فإذا انتخبت الكلمة للمعنى كانت كالمرأة الحالية.

و(**الشُّذُور**) جمع شَذْرة، بفتح الشين وسكون الذال المعجمة: وهي اللؤلؤة، أو القطعة من الذهب غيرِ المُشَذَّبة.

و(**العِيّ**) بكسر العين وتشديد الياء: العجزُ عن الكلام في التَّرسُّلِ والإنشاء.

و(**الخَطَل**) بفتحتين: خَطَلُ الرأي، وهو فساد التفكير. أراد به هنا الخطأَ في المعنى.

و(**اللَّحْن**) الخطأ في الألفاظ؛ بإيرادها على خلاف الطريقة العربية من اللغة والإعراب.

و(**الخطأ**) في الكلام: إيراد اللفظ في غير معناه الموضوع له لغة، دون قصد مجاز أو استعارة تدلُّ عليهما قرينة؛ **كقول المُسيَّب بنِ عَلَس**(١) **يصفُ جملَه:**

---

(١) المسيب بن علس بن مالك بن عمرو، من ربيعة بن نزار، شاعر، جاهلي، كان أحدُ =

وقد أتَلافَى الهَمَّ عند احتضارِهِ بنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدِمِ[(١)]

فأخطأ؛ إذ جعل للجمل الصيعرية، و«الصيعرية»: سِمَةٌ توسَم بها النُّوق، ولذلك لما سمعه طَرَفُه قال: «استنوق الجمل»[(٢)]. فسارت مثلاً.

و(**الجَنَف**) بجيم ثم نون مفتوحتين: الخروج عن جادَّة الطريق، وأراد به الخطأ في نظم الكلام على الأساليب العربية في التقديم والتأخير. ووقع في إحدى النسختين التونسيتين «حيف» بحاء مهملة ومثناة تحتية: وهو الظلم؛ أي: ظلم الكلام العربي؛ لعدم إعطائه حقَّه الذي رسَمه له العرب، ولفظ «جنف» أحسن.

و(**الموج**) اضطراب سطح الماء وتحرُّكه، وهو من محاسن منظر الماء.

و(**الحواشي**) الأطراف، وهي للماء شُطُوطُه، وحافَّات سواقيه.

و(**الرَّوْنَق**) الحُسْن واللمَعَان.

۞ قال: (**ومنهم من لم يرضَ بالوقوفِ على هذا الحدِّ فتجاوزَه، والتزم من الزيادة عليه تتميمَ المقطع، وتلطيفَ المطلع، وعَطْفَ الأواخرِ على الأوائل، ودِلالة الموارد على المصادر، وتناسبَ الفصول والوصول، وتعادلَ الأقسام والأوزان**).

أي: من البلغاء فريق لم يقتنعوا لحسن الكلام بحسن ألفاظه وتركيبه؛ بل ارتقى إلى طلب محاسنَ زائدةٍ تتعلق بزيادة في تَنْمِيقِ الكلام ومحاسِنِه، وهي:

= المقلِّين المفضَّلين في الجاهلية. الشعر والشعراء ١/ ١٧٢، الأعلام ٧/ ٢٢٥.

(١) وردت نسبته إليه في الموشح ص٧٦، ٨٧، واللسان: (صعر). ونُسب في الشعر والشعراء ١/ ١٨١، والصناعتين ص٨٥ إلى المتلمس، وهو في ديوانه ص٣١٨، وينسب أيضاً لبشر بن أبي خازم، وهو في ديوانه ص٢٦٣. والمكدم: الغليظ أو الصلب.

(٢) جمهرة الأمثال ١/ ٥٤، المستقصى ١/ ١٥٨، الصحاح: (نوق).

(**تتميم المقطع**)[١] أي: حسن اختتام الرسالة والخطبة والقصيدة، فـ(المقطع) اسم مكان القطع؛ أي: قطع الكلام؛ أي: ختمه وتنهيته، ومعنى تتميمه: جعلُه تامّاً لا يترقَّبُ السامع شيئاً بعده، وهو أن يُؤتى بما يؤذِنُ بانتهاء الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. وقولِه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦].

وأشهر أنواع «براعة المقطع» الدعاء إلا أنه لكثرة وروده في الرسائل سَمُجَ في الأذواق، فكان العُدُول إلى غيره أحسن[٢]، مثل: التوريات بلفظ الكمال والختام، ومثل: ما لا يبقى بعده مترقَّب للازدياد من الخبر؛ كقول الحريريِّ في المقالة «٨٥»[٣]: «فعاهَدني على أن لا أفوه بما اعْتَمد، ما دُمْتُ حِلّاً بهذا البلد، فعاهدتُه معاهدةَ من لا يتأوَّل، ووفَّيتُ له كما وفَّى السَّمَوْأَل». وقولِه في المقامة المائة[٤]: «فمزَّقْتُ

---

(١) ويسمى «الانتهاء» عند الأكثرين. قال ابن رشيق: «وهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه». العمدة ١/ ٣٧٨، **وينظر**: الإيضاح ٦/ ١٥٥، شروح التلخيص ٤/ ٥٤٣، المطول ص٤٨١ ، ويسمى أيضاً: «جودة القطع» البيان والتبيين ١/ ١١٢، و«براعة المقطع» حسن التوسل ص٢٥٥، نهاية الأرب ٧/ ١٣٥.

(٢) الدعاء محبوب عند المؤمنين وقد خُتِمت به سورة البقرة، فليس بِمُسْتَسْمَج، قال ابن عاشور: «اختيار الدعاء في آخر سورة البقرة، تكملة للإيذان بانتهائها». التحرير والتنوير ٣/ ١٣٩. وقال السيوطي: «وخواتم السور كفواتحها في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد وتهليل، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك». ثم قال: «وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة». الإتقان ٣/ ٣٢٠، **وينظر**: البرهان، للزركشي ١/ ١٨٢، الإيضاح ٦/ ١٥٥، أنوار الربيع ٦/ ٣٢٤.

(٣) عدة مقامات الحريري أربعون! ولا أدري ما المقصود بـ(المقالة)!. وهذه الجملة في المقامة الثالثة والعشرين «الشعرية» ص١٧٨. ووردت على الصواب في «ج».

(٤) المقامة العاشرة «الرحبية» ص٧٦.

رُقْعَته شَذَرَ مَذَر[١]، ولم أُبَالِ أعذل أم عَذَر». وهذا الشرط الذي ذكره المؤلفُ من استحسان المولدين، لم يكن مرعِيّاً عند بُلَغاءِ العرب[٢].

قال: **(وتلطيف المطلع)** أي: جعله لطيفاً؛ أي رقيقاً حسناً أنيقاً؛ لأن مطْلَع الرسالةِ أو القصيدةِ أولُ ما يقرَعُ فَهْمَ السَّامِعِ أو المُطَالِع، فإذا كان حَسَناً بديعَاً استجلبه للإقبال على بقيته بالنظر أو الإصغاء. قال ابن الأثير في «الجامع الكبير»[٣]: «وقد كان بعض علماء البيان يقول: أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءات، فإنهن دلائلُ البيان». ومن أَهَمِّ ذلك الاحتراسُ من ألفاظٍ تُسْتَكْرَهُ عند السَّامع، وللعَوائِدِ أثرٌ في هذا الشأن؛ ولذلك قد ترى المولَّدِين ينتقدون بعضَ فَواتِحِ القَصَائد بما قد كان مثلُه شَائِعاً عند العربِ، مثل ذكر البَيْن والبِلَى. وأحسن مطالع القصائد ما كان يلفِتُ نظر السامعِ إلى ما بعدَه؛ بأن لا يكون من المطالعِ المعتادِ تكَرُّرُها، فينبغي أن يكونَ المطلعُ عزيزاً غيرَ مطروق، وذلك في الألفاظ المفتَتَحِ بها، فإذا انضمَّ إليها عِزَّةُ المعنى فقد استوفى المطلع الحسن، فإن من المعاني المطروقة بكاءَ الديار، الذي ابتكره امرؤُ القيس[٤]، ومع ذلك تجدُ مطالعَ للنَّابغةِ في هذا المعنى لطيفةً. ومن أحسن المطالع **قول عنترة:**

هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ[٥]

---

(١) **ينظر**: الإتباع، لأبي الطيب اللغوي ص٨٧، ٨٨، شرح المفصل، لابن يعيش ٤/ ١١٩.

(٢) فيه نظر، فإن المعلَّقات وغيرها فيها حسن ختام، وإن كان المراد كثرة عناية المولدين به فحق.

(٣) مخطوط بمكتبتي في ورقة ١٠٠ وهو شبيهٌ بكتابه المثل السائر. (المؤلف).
قلت: وفي المطبوع ص١٨٧.

(٤) ليس هو الذي ابتكره، وقد يكون هو الذي شهره، **لقوله (ديوانه ص١١٤)**:
عوجا على الطلل المحيل لعلنا ... نبك الديار كما بكى ابن حذامِ

(٥) ديوانه ص١٢. وهذا صدر بيت، عجزه: أم هل عرفت الدار بعد توهُّمِ.

وعُرف بإجادة المطالع أبو تمام، والبحتري، والمتنبي. وكذلك الأمر في الرسائل، مثلُ الرسالة «الرَّقْطاء» للحريري[١].

أما فواتح سور القرآن فقد وردت على أكمل الوجوه[٢]، بخلاف مطالعِ رسائلِ بديعِ الزمان الهَمَذانِيّ[٣]، وأبي بكر الخُوَارَزْمِي[٤]؛ إذ التزما غالباً افتتاحَها بكلمة: «كتابي»، ولعلها جرت بها عادةُ الكُتَّابِ في بلادهم.

(وعطفَ الأواخرِ على الأوائل) أراد به ما يُسمَّى عند المتأخرين: «رد العَجُز على الصدر»[٥]، ويسمى عند المتقدمين: «التصدير»[٦]، وأمثلته كثير. ولفظ (عطف) في كلامه هو بالمعنى اللغوي، وهو الرجوع والمَيْل، وليس المراد المعنى النَّحْوي.

(ودلالة الموارد على المصادر) أراد بها «براعَة الاستهلال»، وهي

---

(١) في المقامة السادسة والعشرين «الرقطاء» ص١٩٣. والمراد بالرقطاء: أحد حروفها معجم والثاني مهمل.

(٢) **ينظر**: تحرير التحبير ص١٧٢، الإتقان ١/٣١٨، نفحات الأزهار ص٣٤١.

(٣) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل (٣٥٨ ـ ٣٩٨هـ)، أحد أئمة الكُتّاب، صاحب المقامات. معجم الأدباء ١/٢٣٤، الأعلام ١/١١٥.

(٤) محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر (٣٢٣ ـ ٣٨٣هـ)، من أئمة الكُتّاب، وأحد الشعراء العلماء، كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. معجم الأدباء ٦/٢٥٤٣، الأعلام ٦/١٨٣.

(٥) قال المدني: «رد العجز على الصدر، وسماه بعضهم: بالتصدير، والأول أوْلى لأنه مطابق لمسماه، وخير الأسماء ما طابق المسمى». أنوار الربيع ٣/٩٤.

(٦) الذي وجدته أن المتقدمين يسمونه «رد العجز على الصدر» ويسميه المتأخرون «التصدير» بل جزم بذلك ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير ص١١٦، وابن حجة في الخزانة ص١١٤.

ينظر: البديع ص٤٧، تحرير التحبير ص١١٦، شرح الكافية البديعية ص٨٢، الطراز ٢/٣٩١، معاهد التنصيص ٣/٢٤٢، نهاية الأرب ٧/١٠٩.

وينظر: العمدة ١/٥٦٠، البديع في نقد الشعر ص٨٥، نضرة الإغريض ص١٠٤، المنزع البديع ص٤٠٦.

أن يؤتى في أولِ الكلام بمعانٍ فيها إيماءٌ إلى الغرض المقصودِ منه[١]، فكأن المتكلمَ في أول كلامه واردٌ للماء، وكأنه في آخر كلامِه صادِرٌ عن الماء، وهذا قسم من «براعة المطلع»، التي سماها المؤلف آنفاً: «تلطيف المطلع».

و(**الموارد**) جمع مَوْرِد: وهو مكانُ ورودِ المُسْتَقِينَ؛ أي مجيئهم إلى الماء. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

و(**المصادر**) جمع مَصْدر: وهو المكان الذي يصدُر المستَقُون منه عن الماء بعد السقي. قال تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص: ٢٣]. **قال قُسُّ بنُ سَاعِدَة**[٢]:

لَمَّا رأيتُ مَوارِداً ... للموتِ ليس لها مَصَادِرْ[٣]

والاختلاف بين الموارد والمصادر، باعتبار اختلاف حال المستقي، أما المكان فواحد.

(**وتناسب الفصول والوصول**) الفصول جمع فصل، والوصول بالواو جمع وصل، وكلاهما لقبٌ من الألقاب المصطلح عليها عند علماء

---

(١) الإيضاح ٦/ ١٥١، شروح التلخيص ٤/ ٥٣٣، المطول ص٤٧٩.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو (.... ـ نحو ٢٣ق هـ) من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية. البيان والتبيين ١/ ٢٧، الأعلام ٥/ ١٩٦.

(٣) تمام المقطوعة:

ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابر والأصاغر

أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر

البيان والتبيين ١/ ٣٠٨، ٣٠٩، العقد الفريد ٤/ ١٢٨، الأغاني ٩/ ٨٧.

تنبيه: تُروى هذه المقطوعة في خبر مرفوع إلى النبي ﷺ، رواه الطبراني في الكبير (١٢٥٦١) وغيره، وأتى على طرقه ابن القيم في كتابه «فوائد في الكلام على حديث الغمامة وغيره» ص١٠١؛ وابنُ درستويْه في حديث قس بن ساعدة، مطبوع ضمن تسع رسائل أخرى بتحقيق محمد عزير شمس ص٦١؛ وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢١٤.

المعاني من أهل البلاغة؛ فالفصل ترك عطفِ جملة على جملة قبلَها، بأن يُؤتى بالثانية غيرَ مقترنةٍ بحرف عطف. والوصل عطفُ إحدى الجمل على الأخرى[(١)]؛ ولكن من الفصل والوصل مواقعُ بعضها تتعيَّن مراعاتُه وبعضها تحسن مراعاته، وقد عُقِدَ لهما بابٌ واسعٌ في «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر، وفي «المفتاح» للسَّكَّاكِي[(٢)]. وأتى المؤلفُ بصِيغتي الجمع في الفصول والوصول، باعتبار تعدُّدِ مسائلِ كُلٍّ وصورِها. والمؤلفُ حَشر هذا النوعَ في عِداد الصناعة اللفظية، نظراً إلى كونِ الإتيان بالعاطف وعدمِه لا يغيِّرُ معنى الجملةِ غالباً، وإنما هو وسيلةٌ من وسائلِ الإيضاح والإفصاح في العربية، فهو بمنزلة الإعراب[(٣)]، فآل إلى حاجةٍ لفظيةٍ في نظم الكلام، وإن كانت مراعاةً ترتبط بمراعاة موقع معنى الجملة من معنى التي قبلها، فملاحظةُ موقعِ الجملة شرطٌ في مراعاة الفصل أو الوصل، ولا يوجِب اختلافاً للمعنى الذي تشتمل عليه الجملة. وأما عَدُّ الفصل والوصل في علم المعاني[(٤)]، فلأن مسائلَه ليس لها شائبةُ اندراجٍ في مسائلِ علم البيان[(٥)]، ولا في مسائل علم

(١) الإيضاح ٣/ ٩٧، شروح التلخيص ٣/ ٢، المطول ص٢٤٧.

(٢) دلائل الإعجاز ص٢٢٢ ـ ٢٤٥، مفتاح العلوم ص١٢٠.

(٣) نبهت بهذا على أن الإعراب ليس ما يتوقف عليه معنى الكلام، بل تتوقف عليه سرعة الفهم، وهو مبدأ لفصاحة الكلام العربي، وقد أخطأ من قال من المتأخرين ـ يزعم عدم الحاجة لعلم النحو ـ:

وقالوا قام زيد ثم ظنوا ... بدون الرفع زيداً لن يقوما

ولم أرَ من سبقني إلى التنبيه على هذه الخصوصية لعلم النحو. (المؤلف).

قلت: ما ذكره المؤلف هو الغالب، وإلّا فهنالك من الكلام ما يتوقف فهمه على معرفة النحو، نحو: «ضرب موسى عيسى». **وينظر**: أليس الصبح بقريب ص٢٢٠.

(٤) **هو**: علم يُعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال. الإيضاح ١/ ٥٢، شروح التلخيص ١/ ١٥١، المطول ص٣٣.

(٥) **هو**: علم يُعرف به إيراد المعنىٰ الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة عليه. الإيضاح ٤/ ٤، شروح التلخيص ٣/ ٢٥٦، المطول ص٣٠٠.

البديع[1]، فكان علمُ المعاني أولى بضمِّها، وهي بالفصاحة أعلق، فينبغي أن يُنتبَه لهذا الصنيع الذي صنَعه المرزوقيُّ بتدقيقهِ. وسيأتي ذِكْرُ «الفصول والوصول» في عيار[2] التحام أجزاء النَّظم.

(وتَعادُلَ الأقسَام) يريد بتعادل الأقسام ما يسمى عند الأدباء بـ«صحة التقسيم»[3]، ثم مقابلة كل قسم من المعاني المتحدَّثِ عنها بقسمه، وعدمِ الغفلةِ عن ذلك، ولا التخليطِ فيه. وقد قال المؤلفُ في ذكر المقابح: «أو يكون في القسم أو التقابل أو التفسير فساد».

واعلم أنَّ هذا مبحثٌ عظيمٌ من مباحث علمِ الخَطابة تَكْثُرُ الحَاجَةُ إليه فيها، ومنزعٌ دقيقٌ من منازعِ صِناعَةِ التَّرسُّل وصناعة الشعر. وتفصيله في كتب البديع ونقد الشعر.

و(التعادل) التكافؤ؛ أي: أن لا يكون بعضها أوفر في الذكر.

و**(تعادل[4] الأوزان)** ظاهرٌ أن ليس مرادُه بالأوزان أوزانَ الشعر؛ لأن كلامَه هنا على شرائط الاختيار في الكلام المنثور، ولأن حقيقةَ الشعر مشروطةٌ بتعادل الأوزان، وسيجيءُ كلامه على ذلك بالنسبة للشعر، في ذكر الباب الخامس من الأبواب السبعة التي جعلها عمودَ الشعر، ولذلك لم يَعُدَّ هناك تعادلَ الأوزان، وإنما ذَكرَ إتمام أجزاء النظم.

وإنما أراد بـ«تعادل الأوزان» هنا، تَساوي سُمُوط الأسْجَاع، وهي المسَّماةُ بـ«القرائن» التي تُنَزَّلُ من الكلام المسجُوع منزلةَ المصاريعِ للشعر فتعادلُها؛ بأن تكون متساويةَ المقدار في النُّطْقِ معتدلةً فيه، وذلك أصلُ

---

(١) هو: علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة. الإيضاح ٦/ ٤، شروح التلخيص ١/ ٢٨٢، المطول ص٤١٦.

(٢) في الأصل: (عداد)، والمثبت من «ج» وهو الصواب.

(٣) هو: ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين. الإيضاح ٦/ ٤٧، شروح التلخيص ٤/ ٣٣٦، المطول ص٤٢٨.

(٤) «س»: (والأوزان).

السجع، وبمقدار تساويه تتفاوتُ أقدار الكُتَّاب. مثال المعتدل التام قولُ الحريري في المقامة «٣»: «وأوْدى بي الناطق والصامت، ورثى لي الحاسد والشامت»[١]، ومن هذا القَبِيل قولُ المؤلف في صدر هذه المقدّمة حسْبما في النسخة التونسية: «وهو مستودَع آدابها، ومستحفَظُ أنسابها، ونِظَامُ فخارها عند النِّفار، وديوان حِجَاجِها عند الخصام».

وقد يكون بينها تفاوت قليل؛ كقول الحريري في المقامة «٢٩»: «ألجَأني حكمُ دهرٍ قاسط، إلى أرض واسط»[٢]. ولا يجوز التفاوت الكثير بين القرينَتَيْن، وبالخصوص إذا كانت الأولى أطولَ من الثانية. ومما يندرج في «تعادل الأوزان» أن تقابَل زِنَةُ اللفظ بمثلها في صيغة الاشتقاق من فعلٍ أو وصف؛ كقولهِ تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [سبأ: ٥٠]. فقوبل «ضللت» بـ«اهتديت» وهما فعلان ماضيان، وقوبل «أضل» بـ«يوحي» وهما فعلان مضارعان. ومن تعادل الأوزان قولُ الحريري في المقامة الأولى[٣]: «وهو يَطبعُ الأسْجَاع بجواهر لفظِه، ويقرعُ الأسماعَ بزواجر وعظِه». وكلُّ هذا معدودٌ من المحسنات اللفظية، فلا يصير البليغ إليه إلا حيثُ لا يوجد ما يقتضي خلافَه من جهة المعنى البلاغيِّ، ويُراعى قريب منه في سُموطِ الترسلِ غيرِ المسجوع.

وإنما حَشر المؤلف هذا في عِداد الخصائص العائدةِ إلى الألفاظ؛ لأن الكاتب يُغَيِّرُ ترتيب المعاني في سجعه تغييراً يهيئُ لموافقة[٤] هذا الأسلوب اللفظي، فكان بسبب ذلك عملاً لأجل دقائق من حسن اللفظ يدل على قوة المنشِئِ في سجعه، وكذا القول في الترسُّل.

---

(١) المقامة الدينارية ص٢١.
(٢) المقامة الواسطية ص٢٢٠.
(٣) المقامة الصنعانية ص٩.
(٤) في الأصل: (ليوافقه)، والمثبت من «ج».

۞ **(والكشفَ عن قِنَاع المعنى بلفظٍ هو في الاختيار أَوْلَى، حتىٰ يطابق المعنى اللفظَ، ويسابق فيه الفهمُ السمعَ)**(١) . قال عبد القاهر في «دلائل الإعجاز»(٢): «ويختارُ للمعنى اللفظَ الذي هو به أخصُّ وأحْرَى بأن يكسِبَه نُبلاً ويُظِهَر فيه مزِّية».

۞ **(ومنهم من ترقَّى إلى ما هو أشقُّ وأصعبُ فلم تقنِعْه هذه التكاليفُ في البلاغة، حتى طلب البديعَ: من الترصيع والتسجيع، والتطبيقِ والتجنيس)**.

هذه ألقاب لأنواع من البديع، لا تعسُر على الناظر بمراجعة مباحثِها، [من علم البديع](٣) .

(وعكسِ البناء في النظم).

يريد بالنظم انتظامَ الكلام، لا المقابلَ النثرِ، كما لا يخفى. وهذا النوعُ المحسِّنُ البديعي المسمَّى: «ما لا يستحيل بالانعكاس»(٤) كقول

---

(١) «س»: (قال: ولا غاية وراء هذا).

(٢) ص٣٥، طبع المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٤٣ بتصرف يسير.

(٣) ما بين العاقفتين من «ج»، وفي الأصل: (فالترصيع)، ولا معنى لها. وإليك تعاريف ما أشار إليه المؤلف:
الترصيع: أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز. نهاية الإيجاز ص٣٥، مفتاح العلوم ص٢٠٣، العمدة ص٢٧٧.
التسجيع: تواطؤ الفواصل من النثر على حرفٍ واحد. الإيضاح ١٠٦/٦، شروح التلخيص ص٤٤٥، المطول ص٤٥٤.
التطبيق: الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة. الإيضاح ٧/٦، شروح التلخيص ٢٨٦/٤، المطول ص٤١٧.
التجنيس: تشابه الكلمتين في اللفظ. مفتاح العلوم ص٢٠٢، شروح التلخيص ٤/ ٤١٢، المطول ص٤٤٥.

(٤) قال ابن عاشور: «ومنه قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]. وهذا النوع سمّاه الحريري: «ما لا يستحيل بالانعكاس» وبنى عليه المقامة السادسة عشرة ووضع أمثلة نثراً ونظماً، وفي معظم ما وضعه من الأمثلة تنافر وغرابة، وكذلك ما وضعه غيره =

العماد الكاتب[١] للقاضي الفاضل[٢] وقد انصرف من عنده راكباً فرساً: «سِرْ فلا كبابك الفرس»، فأجابه الفاضل وقد فَطِن لما في كلامه من البديع قائلاً «دام عُلا العماد»[٣]. ومن أحسنه في الشعر قولُ **الأرَّجانيّ**[٤]:

مــودَّتُــه تــدومُ لــكــلِّ هَــوْلٍ ... وهَــل كُــلُّ مــودَّتُــهُ تــدُومُ[٥]

فهذا البيت يُقرأ من آخره بحسب ترتيب الحروف كما يُقرأ من أوَّله. ومن أحسنه رسالةُ البديع الهَمَذاني المثبتةُ في مجموعةِ مراسلاته[٦].

(وتوشيحِ العبارة بألفاظٍ مستعارة).

غلَّب المؤلفُ جانب الحسنِ اللفظي هنا علىٰ الخصوصيَّةِ المعنوية، فعَدَّ هذا في المحاسن اللفظية جَرْياً على طريقة كثيرٍ من الأدباءِ وأهل

= ـ على تفاوتها في ذلك ـ، وكلما زادت طولاً زادت ثقلاً. ولم يذكروا شيئاً وقع منه في كلام العرب فهو من مبتكرات القرآن». التحرير والتنوير ٨/ ٦١ ـ ٦٢.

(١) محمد بن محمد بن حامد، المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني (٥١٩ ـ ٥٩٧هـ)، مؤرخ عالم بالأدب، من كبار الكُتّاب. معجم الأدباء ٦/ ٢٦٢٣، الأعلام ٧/ ٢٦.

(٢) في الأصل: (للصاحب بن عباد) وهو وهمٌ، والصواب: القاضي الفاضل، كما في «ج»، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٦٢٦، والإيضاح ٦/ ١١٣، وشروح التلخيص ٤/ ٤٥٩، وشرح عقود الجمان ص١٥٣، وأنوار الربيع ٥/ ٢٨٨ وغيرها. فالصاحب ابن عباد قد توفي سنة ٣٨٥هـ! والعماد الكاتب ولد سنة ٥١٩هـ! فبينهما أكثر من قرن من الزمان!.

(٣) الإيضاح ٦/ ١١٣، شروح التلخيص ٤/ ٤٥٩، شرح عقود الجمان ص١٥٣، أنوار الربيع ٥/ ٢٨٨.

(٤) أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر (٤٦٠ ـ ٥٤٤هـ)، شاعر في شعره رقة وحكمة. وفيات الأعيان ١/ ١٥١، الأعلام ١/ ٢١٥.

(٥) ديوانه ٣/ ١٢٣٤، **وينظر**: معاهد التنصيص ٢/ ١٠١، وفيات الأعيان ١/ ١٥٤، نهاية الأرب ٧/ ١٧١.

(٦) طبع مطبعة الجوايب بالأستانة ص٣٨. (المؤلف).
قلت: وفي الطبعة المشروحة ص٧٨، ٧٩ وفيها تكلفٌ ظاهر. واستحسان المؤلف لها يعود إلى إعجابه بقدرة منشئها.

البديع، وهي طريقةُ المتقَدِّمِين من الأدباء الذين دوَّنُوا أصول الأدب قبل أن يُمَيَّزَ علم البلاغة بالتدوين، بعناية الشيخين: عبدِ القاهر، والسَّكَّاكِيِّ، وإلى هذا أشار الخطيبُ القَزْويني[١] في قوله: «وبعضُهُم يسمِّي العلوم الثلاثة علمَ البديع»[٢].

و(**التوشيح**) التزيين، وأصل التوشيح إلباسُ الوِشَاح، وهو من حِلْية النِّساء. وقد لمح إلى الاستعارة ومثالِها عِزُّ الدين المَوْصِلِيُّ[٣] في بديعيته **بقوله**:

دَعِ المعاصي فشَيْبُ الرأسِ مُشْتَعِلٌ ... بالاستِعَارةِ من أزواجِهَا العُقُمِ[٤]

۞ **(إلى وجوهٍ أُخَرَ تَنطق بها الكتبُ المؤلَّفة في البديع، فإني لم أذكُرْ هذا القَدْرَ إلا دلائلَ على أمثالها. ولكلٍّ مما ذكرتُه ومِمَّا لم أذكره رسمٌ من النفوذ والاعتلاء، بإزائه ما يضادُّه فيُسَلم للنُّكوص والاستفال).**

أي: بحيث يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول بمقدار مراعاة هذه الخصائصِ والمحاسن، وينحط[٥] بإهمال ذلك في مواقع مُرَاعاتِه انحطاطاً بمقدار ذلك الإهمال.

۞ **(فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ؛ إذ كانت للمعاني بمنزلة**

---

(١) محمد بن عبد الرحمٰن بن عمر، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (٦٦٦ ـ ٧٣٩هـ)، قاضٍ، من كتبه: تلخيص المفتاح، والإيضاح. الدرر الكامنة ٤/٣، الأعلام ٦/١٩٢.

(٢) الإيضاح ١/٥١.

(٣) عز الدين علي بن الحسين الموصلي (٠٠٠ ـ ٧٨٩هـ)، سكن دمشق ثم أقام بحلب مدة، له القصيدة البديعية التي أشار إليها المؤلف، عارض بها بديعية صفي الدين الحلي، وقد شرحها الناظم. هدية العارفين ١/٧٢٥، تاريخ الأدب العربي في العراق ١/٤٨.

(٤) أنوار الربيع ١/٢٩٧.

(٥) في الأصل: (ويحط)، والمثبت من «ج»، وهو الصواب بدليل قوله قبلها: «يرتفع». وقوله بعدها: «انحطاطاً».

المعارِض للجواري، فأرادوا أن يَلْتَذَّ السمعُ بما يُدْرِك منه ولا يَمُجَّه، وَيتلقَّاهُ بالإصغاءِ والإذْن له فلا يحجُبَه).

أشار بقوله: (**فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ**) إلى أن بعضهم يتجاذَبُه الجانب المعنوي، مثل: الفصول والوصول، ومثل: توشيح العبارة بالاستعارة، كما أشرنا إليه هنالك.

و(**المعارض**) جمع مِعْرَض بوزن مِنْبَر، وهو الثوب الذي تتجلَّى فيه الجاريةُ حين تُعرض للبيع، وهذا تشبيهٌ طريف، وقد تَبِعه فيه عبدُ القاهر[١]، قال في «دلائل الإعجاز»: «ويجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها»[٢].

وأشار المؤلف بالتعليل في قوله: (**إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري**) إلى أن البلغاء الذين صرفوا هِمَّتهُم في اختيار الكلام البليغ إلى جانبه اللفظي، ما أرادوا حالةَ مفردات الألفاظ، ولكن أرادوا حالة الكلام المؤلَّف كيف تبرز حين تأليفه، والمؤلف ينحو بهذا إلى ما تقدم مما حققه عبد القاهر.

وأراد المؤلف بـ(**أصحاب الألفاظ**) أحد الفريقين من نُقَّاد الكلام، وهم الفريق الذين جعلوا وِجْهَتهُم في النقد أحوالَ الألفاظِ مفردةً ومركبة، ومدى وفَائِها بالمعاني المُرادَةِ وحسنَ وقعِها في الأسماع.

۞ (**وقد قال أبو الحسنِ ابنُ طَبَاطَبَا في الشعر: هو ما إن عري من معنى بديع، لم يَعْرَ من حُسْنِ الديباجة، وما خالف هذا فليس بشعر**)[٣].

ساق المؤلف كلام ابنِ طَبَاطَبَا حجَّةً على أن العناية باللفظ هي في الدرجة الأولى عند كثيرٍ من أهل الأدب، بحيثُ إن حسن الدِّيباجة اللفظية، يجعل الكلام مقبولاً ولو كان عريّاً من معنى بديع؛ إذ قد يعرى

(١) قد تبع المرزوقيُّ في هذا التشبيه ابنَ طباطبا، كما في عيار الشعر ص١١.
(٢) دلائل الإعجاز ص٢٦٣.
(٣) عيار الشعر ص٢٤.

البيتُ أو أكثرُ من القصيدة، والسَّطرُ أو أكثر من الرسالة عن معنى بديعٍ، فيكسوه الكلام بحسنه حسناً يعتاض به عن حسن المعنى. وكلام أبي الحسن وإن خَصَّه بالشعر فهو مُنْطَبِقٌ على النثر لا محالة، كما أشار إليه المرزوقيُّ بسَوْق كلام أبي الحسن عَقِب ما تقدم، ثم تقييده بقوله: **(في الشعر)**.

و**(أبو الحسن ابنُ طباطبا)** هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ طَبَاطَبَا ابنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ ـ أيضاً ـ ابنِ علي بن أبي طالب. و«طَباطَبا» بفتح الطاء مكرَّراً لقبٌ أُلصِق بجدِّ جدِّهِ إبراهيم بن إسماعيل؛ لأنه كان يَلْثَغُ في القاف بجعله طاءً، وطَلَبَ يوماً غلامَه أن يأتيَه بثيابِه فأتَاهُ بدَرَّاعة فقال: «لا طَباطَبا» يعني: قبا، وكرره[١].

و«أبو الحسن» شاعرٌ مُفلِقٌ وعالم محقق، ولد بأصبهان وتوفي بها سنة ٣٢٢هـ، كان مشهوراً بالفطنة وصحة الذهن، وله كتاب: عيار الشعر[٢]، وكتاب: تهذيب الطبع، وكتاب: العروض، وكتاب: المدخل في معرفة المُعَمَّى من الشعر، وكتابٌ في تقريظ الدفاتر، كان ابن المُعْتَزِّ[٣] يلهَجُ بذكره، وله شعرٌ كثير. وقد ترجمه ياقوت في «إرشاد الأريب»[٤]. ومن شعره البيت الذي فيه التشبيه اللطيف وهو:

لا تعجبُوا من بِلَى غِلالتِهِ ... قد زَرَّ أزرارَهُ على القَمَرِ[٥]

---

(١) **ينظر**: وفيات الأعيان ١/ ١٣٠.

(٢) طبع مراراً، آخرها بتحقيق الدكتور عبد العزيز المانع، مكتبة الخانجي.

(٣) عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس (٢٤٧ ـ ٢٩٦هـ)، الشاعر المبدع، خليفة يومٍ وليلة. معجم الأدباء ٤/ ١٥١٩، الأعلام ٤/ ١١٨.

(٤) ٥/ ٢٣١٠.

(٥) الإيضاح ٥/ ٥٤، شروح التلخيص ٤/ ٦٤، ١٣٧، المطول ص٦٧. والغلالة: شعار صغير يلاقي البدن، يلبس تحت ثوب أوسع منه.

۞ **(ومن البُلَغاء من قصد فيما جَاشَ به خاطِرُه إلى أن تكون استفادةُ المتأمِّلِ لهُ، والباحِثِ عن مكنونِهِ من آثار عقله أكثرَ من استفادتِهِ من آثار قولِهِ أو مُثُلِهِ. وهم أصحاب المعاني).**

هذا انتقالٌ إلى الطريقةِ الثانيةِ من طريقتي البلغاء نقادِ الكلام، في عِمَادِ فضيلةِ الكلام، وهي طريقةُ الفريقِ الذين صَرَفوا الاهتمامَ الأوَّلَ إلى المعاني التي يريدُ البليغُ التَّعبيرَ عنها، وأنت تعلمُ أنَّ مقصودَهم الذي يرمُون إليه، هو مصرف الاهتمام الأول، على نحوِ ما قدَّمنا في تقرير مذهبِ أصحاب الجانب اللَّفظي، وسنذكر المرادَ بـ«المعنى» عند شرحِ قولِ المرزوقي: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحتَه».

۞ **(فطلبوا المعاني المُعْجِبَةَ من خواصِّ أماكنها، وانتزعوها جَزْلَةً عَذْبَةً حكيمةً طريفةً، أو رائقةً بارعةً، فاضلةً كاملةً، أو لطيفةً شريفةً زاهرةً فاخرة، وجعلوا وسومَها أن تكون قريبةَ التشبيه، لائقةَ الاستعارة، صادقةَ الأوصافِ، لائحةَ الأوضاح، خَلّابة في الاستعطاف، عَطَّافة لدى الاستنفار، مستوفية لحظوظها عند الاستهام[1] من أبواب التصريح والتعريض، والإطناب والتقصير، والجِدِّ والهَزْل، والخُشونة واللِّيان، والإباء والإسماح. من غير تفاوُتٍ يظهر في خِلال أطباقها، ولا قصورٍ ينبَع من أثناء أعماقها، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف، محتجِبةً في غموض الصِّيان لدى الامتهان، تعطيك مُرادك إن رفقت[2] بها، وتمنعك جانبَه إن عنُفت معها).**

أشار بكلامه هذا إلى تحقيق الجانب الذي يكون من شرف المعاني، ليريك أن ليس المراد بصرف العناية إلى المعاني، أن تكون معاني الكلام كلها من الحق والموعظة أو العلم، فإن ذلك لا يتأتَّى في

(١) في الأصل: (الاستهمام)، وهو غلط، والتصويب من «س».
(٢) في الأصل: (رفعت)، وهو تصحيف، والمثبت من «س» و«ج».

كل كلام، ولا يقتضيه كُلُّ مقام، وإن أكثرَ شعر العرب في الجاهلية بمعزلٍ عن ذلك، وإنما المراد أن المعاني التي يجيشُ بها الخاطر، وهي المعاني الأصلية من أغراض التخاطُبِ وغيرِه، إذا جاشَ بها الخاطرُ وتردَّدتْ في النفس يكونُ حقّاً على البليغ أن يُصَوِّرَها معاني فائقة من مجازٍ أو تشبيهٍ أو إيجازٍ، أو تلميح أو تمليح، حتى إذا أُدِّيت بالكلام، أبرزت ألفاظها صوراً من الحقائق والكيفيات العقلية، تقع من نفوس السامعين مواقع الإعجاب أو الاستحسان؛ فإنك إذا افتقدت **قول كُثَيِّر**[1]:

ولما قضينا من مِنَىً كُلَّ حاجَةٍ ... ومَسَّح بالأركانِ من هو مَاسِحُ
وشُدَّتْ على دُهْمِ المَهارِي رِحَالُنا ... ولم ينظرِ الغادي الذي هو رائِحُ
أخذنا بأطرافِ الأحاديث بيْنَنَا ... وسالتْ بأعْنَاقِ المَطِيِّ الأباطِحُ[2]

وهذا معدودٌ من أجود الشعر، لم تجد في أصل معناه أكثرَ من أنَّا فرغنا من الحجِّ فركبنا راجعين ونحن نتحدث على مِطِيِّ الرواحل. ولكنك تجده أفاد هذا المعنى بأفانين من التصوير المعنوي، وتشخيص الأحوال، ما إن سَمِعه السامعُ اهتزَّ له إعجاباً، وحرَّك للاستِزَادة من سماعه طِلاباً.

وكان من أصحاب هذا المذهب ابن الأثير في كتابه «الجامع الكبير» إذ يقول: «ينبغي أن يستيقن المؤلف أن المعاني أشرفُ من

---

(١) كثير بن عبد الرحمٰن بن الأسود الخزاعي، أبو صخر (٠٠٠ ـ ١٠٧هـ)، شاعر مشهور، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام. سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٢)، الأعلام ٥/ ٢١٩.

(٢) ديوانه ص٥٢٥. قال ابن قتيبة: إنك إذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى. الشعر والشعراء ١/ ٦٦، **وينظر**: الخصائص ١/ ٢٩، ٢١٩، ذيل الأمالي ص١٦٦. وتنسب الأبيات لابن الطثرية، وعقبة المضرب، وكعب بن زهير! **ينظر في تخريجها**: الوحشيات، لأبي تمام ص١٨٧.

الألفاظ، والدليل على ذلك أنَّا لو خلعنا هذه الألفاظ من دِلالتها على المعاني، لما كان شيء منها أحقَّ بالتقديم من شيء، بل كان بمنزلة أصداء الأجسام، والأصوات الناشئة عنها، ويزيد ما ذكرناه وضوحاً أن هذه الصناعة من النظم والنثر، التي يتواضعها البلغاء بينهم، وتتفاضل بها مراتب البلاغة، إنما هي شيء يُستعان عليه بدَقِيق الفكرة، وكثرة الرويَّة. ومن المعلوم أن الذي يُستخرج بالفكر، ويُنْعم فيه النظر، إنما هو المعنى دون اللفظ؛ لأن اللفظ يكون معروفاً عند أرباب صناعة التأليفِ دائراً فيما بينهم، والمعنى قد يُبتدع فيذكر المؤلف معنى لم يسبق إليه... إلخ»[1].

فمعنى قول المرزوقي: «من قصد فيما جاشَ به خاطرُه إلى أن تكون استفادة المتأمل له، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قولِه»، أن أهلَ هذا المذهب يصرفون أكبر اهتمامهم عند قصدهم إفادة المعاني الأصلية، إلى أن يودِعُوها في صورٍ من المعاني البيانية، تُفِيد متأمِّلَها معانيَ جَمَّة ليس كل معنى منها مستفاداً من جملة أو عبارة، بل يستفاد الكثير منها من الجملة الواحدة، وذلك بحُسْنِ التَّوصِيفِ بتشبيهٍ قريبٍ واستعارةٍ لائقة. وسيشير المؤلف إلى ما يحاوله البلغاء من ذلك بكناية وتعريض وبضرب الأمثال، وبمراعاة تأثر السامعين على حسْب اختلاف طبقاتهم، وتنوُّع مقامات خطابهم بما يناسب تلك المقامات؛ من التصوير المعنوي من خشونةٍ أو رِقَّةٍ، ومن جِدٍّ أو مزح، ومن تصريحٍ أو رَمْز، ويحصل بذلك الإيجاز الذي هو زينة كلام البلغاء، كما قيل: «لمحة دالّة» مما لو جُعل لكل مُرادٍ منه لفظ أو جملة لطال الكلام، وفاتت براعة مُؤلِّفه، وضاعت فِطْنةُ متأمِّلة أو تساوت درجاتها، فإذا نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. وجدت التصور المفاد من كلمة «اشتعل» مُغنياً عن أن يقال: (شاب شعرُ رأسي

---

(١) الجامع الكبير ص٦٨، ٦٩.

دفعةً واحدة، ولم يترك الشيبُ منه شيئاً؛ كالنار إذا التهبت في الحطب)، فتصوير الاشتعال أفاد ذلك كلَّه[١]. وأصحاب هذه الطريقة يجعلون النظر إلى الألفاظ التي تؤدي المعاني التي يجيش بها الخاطرُ في الدرجة الثانية.

وأما معنى مفردات كلام المرزوقي، فقوله: **(جاش)** فاض.

و**(الخاطر)** الذهن، باعتبار جولته في المعاني فكأنه يخطُر في خلالها؛ أي: يمشي.

ومقصود المرزوقي أنه نشأت في نفسه المعاني التي أراد إفادتها ثم جالت في نفسه حتى تمكَّنَت ووضحت، فشبه ذلك التمكُّن بالجَيَشَان، وهو غليان القدر.

وقولُه: **(من آثار عقله)** متعلق بـ**(استفادة)**.

وقولُه: **(أو مُثُله)** ينبغي أن يضبط بضمتين جمع مثال؛ يعني: أن يعتني بتصوير المعاني أكثرَ من عنايته بالقول والإيضاح بالأمثلة.

وقوله: **(وسومها)** بواو في أوله، وهو جمع وَسم وهو العلامة؛ أي: جعلوا علامة على فضيلة تلك المعاني أن تكون قريبة التشبيه.

وقولُه: **(من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها، ولا قصور ينبَع من أثناء أعماقها)**.

(الأطباق) بفتح الهمزة جمع طَبَق بفتحتين، وقد تقدم في شرح قوله: «لا يطابقه»، وأراد بالتفاوت تفاوتَ الإفادة في ذلك التصوير بين ما يفيده بعضُ فِقَر الكلام ويفيده بعضٌ آخر؛ أي: بأن تكون المعاني متوازنة؛ فلا يوضع المعنى الشريف بإزاءِ المعنى السخيف.

و**(القصور)** العجز عن الوصول إلى ما حَقُّه أن يصل إليه،

---

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير ٨/ ٦٤.

وهو مشتقٌّ من قِصَر القامة؛ أي: قلّة الامتداد في الأشياء بما يقتضيه كمالُ أنواعها. وشبَّه القصورَ الظاهر أثرُه بماءٍ نابعٍ بجامع الظهور، وأثبت له النبعَ على طريقة الاستعارةِ المكنِيَّةِ، وهو من تشبيه المعدوم المتخيَّل بالموجود، **مثل تشبيه اللّؤم في بيت حسَّان** رضي الله عنه:

لَو انَّ اللؤم صُوِّرَ كان عبداً قبيحَ الوجهِ أعورَ من ثقيفِ[1]

ومناسبة الأعماق للنبع ظاهرةٌ، فتكون ترشيحاً للاستعارة[2].

وأراد بالـ(**مبتسمة**) أنها تكشف عما تحجبُه كشفاً حسناً، كما يكشف الابتسام عن محاسن الثغر.

و(**مثاني الألفاظ**) هي التراكيب؛ لأن الكلمات تُثَنَّى فيها أي تكرر، ومنه سميت سورة الفاتحة: المثاني.

و(**الاستشفاف**) هو نظر المتأمل، وفي إحدى النسختين التونسيتين: «الاستسعاف»؛ أي: طلب الإسعاف؛ أي: قضاء المطلوب، فعلى هذه النسخةِ يكون الابتسام تمثيلاً بحالة سرور الكريم عند مُلاقاةِ العُفَاة، **كما قال الشاعر**[3]:

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً... البيت

و(**الاحتجاب**) تمثيل للمعاني بالنسوة يحتجبن ممن قد يستخف بهن في مواقع صونهن، فقوله: (**لدى الامتهان**)؛ أي: لدى إرادة الامتهان.

وأما قوله: (**تعطيك مرادك**) فهو تمثيلٌ آخر، مثَّل فيه المعاني بالناقة الكريمة لا تَدُرُّ إلا بالإبساس؛ أي: برفق الحالب بها، فإذا رفق بها مكَّنَتْه ودَرَّتْ وإن اشتد عليها منعت، **قال بشَّار**[4]:

---

(١) ديوانه ص٣٢٩. ورواية الديوان: لو ان اللؤم ينسب.

(٢) «ج»: (ترشيحاً لا استعارة).

(٣) **هو**: زهير بن أبي سلمى. ديوانه ص٧٢. وتمام البيت: كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

(٤) بشار بن برد العقيلي بالولاء، أبو معاذ (٩٥ ـ ١٦٧هـ)، أشعر المولدين، كان ضريراً، وقد اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط. نكت الهميان ص١٢٥، الأعلام ٢/ ٥٢.

والـدُّرُّ يـمـنـعُـهُ جَـفَـاءُ الـحَـالِـبِ[١]

۞ **(فهذه مَناسب المعاني لطلابها، وتلك مناصب الألفاظ لأربابها).**

الإشارة بـ(**هذه**) إلى الصفات المذكورة قريباً.

و(**تلك**) إشارة للبعيد، وهو الصفات المذكورة سالفاً؛ لأنها بَعُد ذكرُها.

(**والمناسب**) بفتح الميم جمع مَنْسَب بفتح الميم وفتح السين، وهو مصدر ميمي لنسَبه ينسِبه إذا ذكر نسبه، وغالب إطلاق ذلك في ذكر الأنساب الشريفة؛ أي: فهذه الصفاتُ التي ذكرتُها قريباً هي صفات المعاني الشريفة الأصلية، فهي للمعاني كالأنساب للناس، فمن طلب المعاني الشريفة فليتوخَّ منها الصفات التي ذكرتها.

و(**المناصب**) جمع مَنصِب بفتح الميم وكسر الصاد، وهو مكان النصب؛ أي: رفع الشيء وإظهاره، ومنصب المرء شرفه ورفعته؛ أي: الصفات التي ذكرتها سالفاً هي مظان شرف الألفاظ، فمن كان من أرباب الألفاظ؛ أي: المعتنين بها فليبحث عن انطباق تلك الأوصاف عليها. وبين (المناسب) و(المناصب) في كلامه: الجِناس المُحَرَّف[٢].

۞ **(ومتى اعترفَ اللفظُ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقول فتعانقا، وتلابسا متظاهرين في الاشتراف[٣] وتوافقا، فهناك يلتقي ثريا البلاغةِ فيُمطِر روضُها، ويُنشَر وشيُها، ويتجلى البيان فصيحَ اللسان نجيحَ البرهان، وترى**

---

(١) ديوانه ١/ ١٩٢. وهذا عجز بيت صدره: وإذا جَفَوْتَ قطعتُ عنك مَنافِعي.

(٢) كذا ذكر ابن عاشور، فهو يطلق «الجناس المحرف» على ما كان الاختلاف فيه في الأحرف، وسار على ذلك في التحرير والتنوير ١٠/ ١٤٢، ١٤/ ٣٥٦. والمشهور عند البلاغيين أن «الجناس المحرّف» هو ما كان الخلاف فيه في هيئات الحروف فقط، نحو: الجهول إما مُفْرِط أو مُفَرِّط. **ينظر**: شروح التلخيص ٤/ ٤٢٠، تحرير التحبير ص١٠٦، أنوار الربيع ١/ ١٨٠.

(٣) «س»، «ج»: (الاشتراك).

رائدَي الفهم والطبع متباشرين لهما من المسموع والمعقول، بالمَسْرِح الخِصْب، والمكْرَعِ العذب).

تخلَّص المرزوقي في هذا الكلام إلى مقام الحكم بين مذهب أهل الألفاظ، ومذهب أهل المعاني، فبيَّن أنه لا يتم للكلام حسنُه وبلاغتُه إلا باجتماع شرف لفظِه وشرف معانيه.

واعتراف اللفظ والمعنى: هو توافقهما وتآلفهما؛ كالشخصين اللَّذين يعرف أحدهما الآخر ويألفُه.

(تصُوب) تمطر والصَّوْب المطر، ويقال: صَوْب المزن؛ أي: ماء السحاب؛ شبه العقول المختارة للألفاظ والمنظمة للمعاني بالأسْحِبة، وشبه ما تأتي به من محاسن الألفاظ وشريف المعاني بالمطر، وأثبت الصوب للعقوب على طريقة الاستعارة المكنية مع كونها استعارة تبعية، **وهذه الاستعارة مأخوذة من قول أبي تمام في وصف الشعر:**

ولكنه صَوْبُ العُقُولِ إذا انقضتْ سحائبُ منه أُعقِبَتْ بسحائِبِ[١]

وقد أتبع المؤلف استعارته هذه بتمثيلٍ بناه عليها؛ فشبه هيئة انهيال الصنائع البليغة الرائقة من آثار أهل البلاغة نثراً ونظماً، وتلقي السامعين إياها، واهتزاز أذواقهم لقبولها، وإقبالهم على الاختيار منها على حسْب الأذواق، بهيئة عروض السحاب في أغزر الأنواء إفاضةً وهو نَوْءُ منزلة الثُّرَيَّا[٢] فتغزر معصراتها وتنتشر آثارها بين الأدباء كانتشار وشي الزرع في الرياض النضرة، فتصبح الأدباء تفسر دقائقها للطلاب، كما تبشر رواد المراعي رعاء الحي بالمسارح الخصبة والمكارع العذبة، فذكر هنا الهيئة

---

(١) ديوانه ١/ ٢١٤.

(٢) قال الأستاذ عبد السلام هارون: (ثريا) ضُبطت في الأصل ـ يعني مخطوطة مقدمة المرزوقي ـ بضم الثاء وفتح الراء وتشديد الياء، وهذا خطأ. يقال: التقى الثَّرَيَان، وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض. اللسان: (ثرا).

المشبه بها، وقد أشار إلى الهيئة المشبهة بقوله عقب هذا: «ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم أقلام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الأتي السمح على الأبيِّ الصعب». ولقد أجاد التمثيل، فأصبح كلامه لقواعد الأدب خير تمثيل.

وقوله: **(في الاشتراف)** بفاء في آخره أي الارتفاع، فيكون شبه الرفعة المعنوية برفعة السحاب إذا أخذ يتصاعد، وينضم بعضه إلى بعض. ووقع في إحدى النسختين التونسيتين: «الاشتراق» بقافٍ في آخره، ولا يستقيم.

وقوله: **(تلتقي ثريا البلاغة)** هكذا في النسخ. وصيغة الالتقاء تقتضي ملاقاة شيئين، وليس في عبارة المؤلف سوى «الثريا» فالظاهر أن صواب العبارة «يلقى» بالمثناة التحتية المفتوحة وفتح القاف، والضمير عائد إلى ما تصوب به العقول. والمعنى: فهنالك يقع ذلك الصوب في منزلة الثريا فيلقاها فيغزر مطره. ويجوز أن يكون الالتقاء بمعنى التلقي مبالغة، والثريا من الأنواء الوسمية؛ أي: الربيعية؛ أي: التي يكثر الإمطار في زمان طلوعها في بلاد العرب[(١)]، والمطر الربعي يضرب المثل بشدته؛ **قال النابغة**[(٢)]:

وكانت لهم رِبْعِيَّةٌ يحذرونها ... إذا خَضْخَضَتْ مَاءَ السَّماءِ القبائِلُ[(٣)]

۞ (فإذا كان النثر ـ بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم ـ اتسع نطاقُ الاختيار فيه على ما بيَّنَّاه بحسب اتساع جوانبها وموادها،

---

(١) **ينظر**: الأنواء لابن قتيبة ص٣١، اللسان: (ثرو).

(٢) ديوانه ص١٥٤.

(٣) القبائل قبائل الخيل جمع قبيلة، وهي من أربعين من الخيل إلى ستين. (المؤلف).
قلت: قال ابن عاشور في تحقيقه لديوان النابغة ص١٨٧: «القبائل: جمع قبيلة، وهي الطائفة من الناس يجمعهم جد واحد، أي القبائل التي يتألف منها جيشه».

وتكاثر أسبابها ومواتِّها؛ وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه، ثم تفرَّد عنه وتميَّز بأنْ كان حَدُّه «لفظ موزون مُقَفَّى يدل على معنى»، فازدادت صفاته التي أحاط الحد بها بما انضمَّ من الوزن والتقفية إليها ـ ازدادت الكُلَف في شرائط الاختيار فيه؛ لأن للوزن[1] والتقفية أحكاماً تماثلُ ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب. وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد مثلَ ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفِّح، لئلا يختلَّ لهما أصلٌ من أصولهما، أو يعتَلَّ فَرْعٌ من فروعهما).

تقدم أن المؤلف جلب كلام أبي الحسن ابن طباطبا في مزية الشعر، استدلالاً به على مراعاة جانب اللفظ في معيار النقد، ولأن ما ذكره أبو الحسن في الشعر يجري بعينه في النثر.

و(**المواتّ**) بتشديد المثناة، الوسائل جمع ماتَّة، وهي الوسيلة إلى الشيء لأنها تمت إليه؛ أي: تَمُدُّ وتتوسل، يقال: متَّ بقرابة؛ أي: اتصل وتوسل؛ ومعنى كلام المؤلف ظاهر، وجواب إذا قوله: (ازدادت الكلف... إلخ).

❁ **(وإذا كان الأمر على هذا، فالواجب أن يُتَبَيَّنَ ما هو عمودُ الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نِظام القريض من الحديث، ولتعرفَ مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه، ومَراسمُ أقلام المزيّفين على ما زيَّفوه، ويعلمَ أيضاً فرقُ ما بين المصنوع والمطبوع).**

تخلَّص هنا إلى تخصيص بحثه بالشعر وهو المقصود من هذه المقدمة، ولذلك سيقول[2] فيما يأتي: «فهذه سبعة أبوابٍ هي عمود الشعر». وقد نبهنا آنفاً على أن هذه الفِقْرات تشير إلى الهيئة المشبهة بهيئة

---

(١) «ج»: (كان).

(٢) في الأصل: (سيقل)، والاستدراك من «ج».

السحاب والمطر والنبت في قوله آنفاً: «فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيُمطَر روضُها... إلخ».

و(**المصنوع**) هو الشعر الذي أدخل فيه ما يسمى عند أهل الفن بالصنعة وهي التهذيب والتنقيح للشعر وإبداع المحاسن البديعية واللطائف اللفظية[١]، فكان علم أصحابه مكتسباً بالصنعة؛ أي: أن يعمدوا إلى القواعد والنكت وصور الأمثلة التي تلقوها بالتعلم فيراعونها في منشآتهم بالتروي والتثقيف فيكون شعرهم كالشيء المصنوع باليد؛ وقد يقع بعض ذلك عفواً بدون تعمد ولا تكلف، وهو الغالب من شعر المولدين. قال ابن رشيق[٢]: «أشهر الشعراء في المصنوع ابن المعتز».

و(**المطبوع**) هو الشعر الذي يصدر عن الشاعر بالسجية والطبيعة الناشئة عن تدربه بسماع أشعار البلغاء، واندفاع طبيعته لمحاكاة أشعارهم، حتى يصير الشعر البليغ له كالطبع فلا يصرف فيه تعمق رويَّة، ولا معاودة تنقيح وتثقيف[٣].

❁ **(وفضيلة الأتيِّ السمح على الأبيِّ الصعب).**

تقدم بيان معنى الأتيّ والأبيّ في تفسير أول الديباجة، ووصَفهما هنالك بالمستسهل والمستنكر، ووصفَهُما هنا بالسمح والصعب.

و(**السمح**) صفةٌ [من السماحة][٤]، وهي لين الأخلاق وحسن المعاملة.

و(**الصعب**) صفةٌ من الصعوبة، وهي الشدة في الخلق.

❁ **(فنقول وبالله التوفيق: إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته).**

---

(١) **ينظر**: إحكام صنعة الكلام ص١١٤.

(٢) ص٨٥ من العمدة، طبع مطبعة أمين هندية بمصر. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور النبوي شعلان ١/ ٢١٢.

(٣) **ينظر**: البيان والتبيين ٢/ ١٣.

(٤) ما بين العاقفتين من «ج».

ضمير **(إنهم)** مراد به الشعراء وإن لم يذكر معاد، بناءً على أنه معلوم من سياق الكلام المذكور على الشعر، وهذا هو المناسب للإخبار عن الضمير بفعل يحاولون. ويجوز أن يعود الضمير إلى نقَّاد الكلام المذكور في قوله: «اعلم أن مذاهب نقاد الكلام. . . إلخ».

وقد كنا وعدناك أيها الناظر عند قول المرزوقي آنفاً: **(وهم أصحاب المعاني)**، بأن نبيِّن المراد بالمعنى، فهذا أوان أن نبينه.

اعلم أن الشيخ عبد القاهر قال في «دلائل الإعجاز»[١]: «إن قولَنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض، الذي أراد المتكلم أن يبيِّنَهُ أو ينفيَه، نحو أن نقصد تشبيه الرجل بالأسد، فنقول: زيدٌ كالأسد، ثم نريد هذا المعنى بعينه فنقول: كأن زيداً الأسد، فتفيد تشبيهه أيضاً بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادةً لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرْط شجاعته وقوة قلبه، وأنه لا يروعُه شيء، بحيث لا يتميَّزُ عن الأسد، ولا يُقَصَّر عنه حتى يُتوهَّمَ أنه أسدٌ في صورة آدمي».

ثم قال[٢]: «الكلام على ضربين، ضربٍ أنت تصل منه إلى الغرض بدِلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد، وضربٍ آخرَ لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يَدُلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض؛ ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل».

ثم قال عَقِب ذلك: «وإذا عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة

---

(١) ص١٨٦، طبع مطبعة المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٢٥٨.

(٢) ص١٨٩. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٢٦٢.

وهي أن تقول «المعنى» و«معنى المعنى»؛ تعني بالمعنى: المفهومَ من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقلَ من اللفظ [معنى][1]، ثم يُفضِي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك».

ثم قال[2]: «فالمعاني الأُوَل المفهومة من أنفس الألفاظ، والمعاني الثواني التي يومَأُ إليها بتلك المعاني الأول». فهذا كلام الشيخ تمييزاً بيَّن المراد بالمعنى.

ثم إن علماء المعاني قَفّوا عليه بما يزيده بياناً ويعصِم المتأمِّلَ عن اختلاط المقصود بكلمة «معنى» في مختلف إطلاقها مما أفاده السكاكي في المفتاح وشارحو كلامه، من أن المعنى الذي يجيشُ في نفوس البُلَغاء ثلاثة أقسام: قسم سَمّوه أصل المعنى، وهو الأغراض المجملة التي يُراد إفادتها من خبر أو إنشاء؛ وهذا المعنى هو الذي يُفاد بكلام بسيط، وهذا يجيش في نفوس الناس من الخاصة والعامة، وليس هو موضوع الاختلاف[3]. وقسمٌ سموه معنى أول وهو الأغراضُ الخاصَّة التي يقصدها البلغاء لنكتة مثلُ ردِّ الإنكار. وقسمٌ سموه معنى ثانياً ويقال له: معنى المعنى[4]، وهو الخواص الكلامية التي تفيد كيفيات في المعاني الأول، مثل القصر والاستغراق والكناية والمبالغة، وهذا خاصٌّ بِبُلَغاء الكلام العربي.

فإذا أعلمت هذا، فلنرجع إلى بيان كلام المؤلف.

(المحاولة) ابتغاء الشيء، وتطلُّبه.

---

(١) ما بين العاقفتين ساقطٌ من المطبوع، والمثبت من الدلائل.

(٢) ص١٩١. دلائل الإعجاز. (المؤلف).

قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٢٦٤.

(٣) **ينظر**: منهاج البلغاء ص٢٣، ٢٤.

(٤) **ينظر**: نهاية الإيجاز ص٨، منهاج البلغاء ص١٤، ٢٣، ٢٠٦.

و(**الشرف**) حصول صفات الكمال النوعي في بعض أفراده، فشرف المعنى أن يكون من أحاسن المعاني المستفادة من الكلام؛ بأن يتلقّى فهم السامع المعنى مستغنياً به في استفادة الغرض الذي يفاد به. وقد وصف المؤلف المعنى هنا بـ«الشرف والصحة»، ووصفه فيما تقدم بـ«المُعجِبة الجَزْلة، العذبة الحكيمة، الزاهرة الفاخرة». وطريقة صَوْغِ المعنى الشريف هي أن يلحظ البليغُ ما يجيش في نفسه مما يريد إبلاغه إلى نفس السامع، فينشئه في نفسه ويكيفه بأحسن صورةٍ يرى أنها تقع لدى السامعين موقعاً حسناً يفي بمراد الشاعر، ويليق بالغرض الشاعري، معتمداً في تحصيل تلك الكيفية على فطنته ودُرْبته المتولدة في ذوقه بما ورد على ذهنه من محاسن البلغاء والحكماء والعلماء، فأكسب ذوقَه صوراً غيرَ جُزئيةٍ يقيس عليها أمثالها إذا أراد التعبير بابتكار مماثِلات لها جديدة، أو بتصرف فيها يغيّرُها عن حالتها السابقة، تصرفاً كثيراً أو قليلاً، ويندفع إليها ذهنُه سريعاً. ومن أكبر أسباب شرف المعنى أن يكون مبتَكَراً غير مسبوق، ثم أن يكون بعضُه مبتكراً وبعضه مسبوقاً؛ وبمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو من الشرف. ولبشار وأبي تمام وأبي الطيب ابتكاراتٌ كثيرة، ويقرب من ذلك أبو نواس[1] وابنُ الرومي[2] ثم المعَرِّي[3].

(١) الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي بالولاء، أبو نواس (١٤٦ ـ ١٩٨هـ)، شاعر العراق في عصره، قال الجاحظ: ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وفيات الأعيان ١/ ١٣٥، الأعلام ٢/ ٢٢٥.

(٢) علي بن العباس بن جريج الرومي، أبو العباس (٢٢١ ـ ٢٨٣هـ)، شاعر كبير، من طبقة المتنبي وبشار، كان رأساً في الهجاء وفي المديح. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٥، الأعلام ٤/ ٢٩٧.

(٣) أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعري (٣٣٦ ـ ٤٤٩هـ)، شاعر كبير، وعالم النحو، كان إليه المنتهى في حفظ اللغات، وقد اتهم في عقيدته. معجم الأدباء ١/ ٢٢٩٥، الأعلام ١/ ١٥٧.

فإذا أنشأ ذوقُ البليغ معنى لاحتْ له منه محاسن المعنى ونقائصه ومعايبه، فاحتفظ بالمحاسن وأكمله عن النقائص ومحا عنه المعايب. فإذا تقوَّم فيه ما من شأنه أن يفي بأَمَلِهِ من إرضاء السامعين من أهل الصناعة، وامتلاك استحسانهم فرآه محوكاً على مِنْوال ما يحوك على مثله البلغاء فيما انتهت إليه مُزاولته ودُرْبَتُه ـ وثِق بأنه معنى شريف، فعلم أن شروطَ شرفِ المعاني تختلِفُ باختلاف مَحَالِّها من أغراض الكلام: من إثارة حماس، أو استعطاف وإبساس[1]، أو غزل، أو نسيب، أو فخر، أو ذبٍّ عن شرف، أو نحوِ ذلك. قال ابنُ الأثير في «المثل السائر»: «إن الكاتب أو الشاعر ينظر إلى الحال الحاضرة، ثم يستنبِط لها ما يناسِبُها من الغائب»[2].

وهذا عملٌ مُحتَاجٌ إلى صفاء قريحة، وكرم سجيَّةٍ، وطول دُرْبَةٍ، وحسن اقتداء، وتمييزٍ بين المقبول والمرفوض. وقد ذكر ابن الأثير في «المثل السائر»[3] من المعنى الشريف **قولَ أبي الطيب**:

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ... ومن يعشَق يلذُّ له الغَرامُ[4]

لولا لفظة «تؤذي» فيه فإنها تؤذي. ولا يُتوهم من كلام ابن الأثير، ولا من مادة «شريف» أن شرطَ المعنى الشريفِ كونُهُ من الفضائل أو المعاني الحميدة، فإنه لو كان ذلك مرادَهم لذهب مُعْظَمُ النَّسِيبِ والهِجاء، ولذهب ما كان من الشِّعْر كذباً ـ بل مرادُهُم ما أفصح عنه قدامةُ[5] في «نقد الشعر»[6]

---

(١) الإبساس: التلطُّف.

(٢) المثل السائر ٢/ ١٨.

(٣) ص٨٨. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور بدوي طبانة وزميله ١/ ٢٥٠.

(٤) ديوانه ٤/ ٧٥.

(٥) قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي، أبو الفرج (٠٠٠ ـ ٣٣٧هـ)، أحد الفصحاء البلغاء، وممن يشار إليه في علمي المنطق والبلاغة، من كتبه: نقد الشعر، ونقد النثر. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٣٥، الأعلام ٥/ ١٩١.

(٦) ص٤ ـ ٥، مطبعة الجوائب. (المؤلف).

=

إذ يقول: «إن مناقضةَ الشاعرِ نفسَهُ في قصيدتين أو كلمتين؛ بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذمّاً حسناً غيرُ منكر عليه ولا معيبٍ من فعله، بل ذلك يدل على قوة الشاعر واقتداره على صناعته، وإنما قدمت هذا لما وجدت قوماً يعيبون **قول امرئ القيس**[١]:

فمثلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عن ذِي تمائِمَ مُحْوِلِ[٢]
إذا ما بكى من خلفِها انْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍّ وتحتي شِقُّهَا لم يُحَوَّلِ

وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يُزِيلُ جودة الشعر فيه ـ.اهـ.

وأما (**صحة المعنى**) في كلام المؤلف فهي الدرجة الأولى للصعود في مصاعد الشرف؛ أي: أن لا يكون في المعنى اضطرابٌ أو سوءُ ترتيبٍ أو انتقاضُ بعضِه ببعض، فيصير الإنشاءُ أو التَّرَسُّلُ أجوف، قال ابن رشيق[٣]: «وفِرْقَةٌ من الشعراء أصحاب جَلَبَةٍ وقَعْقَعَةٍ، بلا طائل معنى إلا قليلاً؛ **كأبي القاسم ابنِ هانئ**[٤] **في قولِه أول مذهبته**[٥]:

أقامَتْ فقالتْ: وقعُ أَجْرَدَ شَيْظَمٍ وَشَامَتْ فَقَالَتْ: لمْعُ أَبْيَضَ مِخْذَمِ[٦]
وما ذُعِرَتْ إلّا لِجَرْسِ حُلِيِّهَا ولا رَمَقَتْ إلا بُرَىً في مُخَدَّمِ[٧]

فليس تحت هذين البيتين إلا أن هذه المنسَّبَ بها لَبِسَتْ حُلِيَّها

= **قلت**: وفي طبعة مكتبة الخانجي ص١٩ ـ ٢٠.

(١) ديوانه ص١٢.

(٢) ألهيتها: أشغلتها. ذي تمائم: أي صبي ذي تمائم. محول: قد أتى عليه حول.

(٣) العمدة ١/٢٠١.

(٤) قال فيه ابن شرف في مسائل الانتقاد: «وأما ابن هانئ فرعدي الكلام، سردي النظام، متين المباني، غير مكين المعاني». مسائل الانتقاد، ضمن رسائل البلغاء، لمحمد كرد علي ص٣٢٣.

(٥) ديوانه ص٣١٣.

(٦) الأجرد من الخيل والدواب: القصير الشعر. والشيظم: الطويل الجسم الفتيُّ من الناس والخيل والإبل. والمخذم: السيف القاطع.

(٧) البرى: جمع بُرَة، وهي الخلخال. والمخدَّم: موضع الخلخال من الساق.

فتوهمتْهُ بعد الإصاخة وقْعَ فَرَسٍ، أو لَمْعَ سيف».اهـ. على أن في قوله: «شَامَتْ» خطأ لأن الشَّيْمَ هو النظرُ إلى البرق ليُعلمَ أين يذهبُ؟ ويتوسم أين يمطر؟.

واعلم أن ضد المعنى الشريف السخيف؛ لِقلَّة جَدْواه، أو لِدِلالته على تعلُّقِ تفكير صاحبه بصورٍ ضعيفة، كما خطب والٍ باليمامة في موعظةٍ فقال: «إنَّ الله لا يَقَارُّ عباده على المعاصي، وقد أهلك أُمَّةً عظيمة في ناقةٍ ما كانت تُسَاوي مِئَتي درهم» فَلَقّبُوهُ: مُقَوِّمَ النَّاقَة[1].

ومن المعاني السخيفة قول نُصَيب[2]:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فإن أَمُتْ ... فيا ليت شِعْري مَنْ يَهِيمُ بها بعدِي[3]

وقد عابته سُكَيْنَةُ بنت الحسين[4].

وضد المعنى الصحيح المعنى المخطئ والمختلّ، كما قال شُعْرُورٌ[5] فيما أنشده الرَّاغب الأصفهاني[6]:

أَزُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ ... طُوبَى لِزَائِرِكِ المُثَابْ
تُعْطِينَ مِنْ رِجْلَيْكِ مَا ... تُعطِي الأَكُفُّ من الرِّغَابْ

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٢٣٦، عيون الأخبار ٢/ ٤٥.

(٢) نصيب بن رباح، أبو محجن (٠٠٠ ـ ١٠٨هـ)، من فحول الشعراء الإسلاميين، كان عبداً أسود، وأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. معجم الأدباء ٦/ ٢٧٥٢، الأعلام ٨/ ٣١.

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٣٠٠، المستطرف ١/ ١١٢.

(٤) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (٠٠٠ ـ ١١٧هـ)، نبيلة شاعرة كريمة، تجمع إليها الشعراء بحيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتجيزهم، تزوجها مصعب بن الزبير ثم قتل. وفيات الأعيان ١/ ٢١١، الأعلام ٣/ ١٠٦.

(٥) الشعرور: من كان من أهل الطبقة الرابعة، إذ الشعراء أربع طبقات في نظر طائفة من الأدباء: الشاعر المفلق، والشاعر المطبق، والشويعر، والشعرور. **ينظر**: البيان والتبيين ٢/ ١٠، العمدة ١/ ١٨٤.

(٦) محاضرات الأدباء ١/ ١٩١.

فإنه أنشده بحضرتها فقام إليه الخدم ليضربوه لكراهة قوله: «تعطين من رجليك»، فمَنعتْهُم وقالت: إنه قصد مدحاً، وأراد ما يقول الناس: «شِمالك أجود من يمينه»[١]، فظن أنه إذا ذَكَرَ الرِّجْلَ كان أبلغ، وقد حَمِدْنا ما نواه، وإن أساءَ فيما أتاه.

ومن عجيب ما عرض للشعراء من سخيفِ المعنى، **ما عرضَ لأبي العتاهِيَة**[٢] **من قوله في رثاء الخليفة**[٣]:

ماتَ الخليفَةُ أيُّها الثَّقلانِ فَكَأنَّني أفطرتُ في رَمَضَانِ[٤]

فإن المِصْرَاعَ الثاني من سخيف المعنى، وإنَّ بينَه وبين المِصْراع الأولِ بَوْناً بعيداً.

وقد نظرتُ في مجموع شرف المعنى وصحته، وكيف يكتسبه البليغ، فرأيتُ أن يقتديَ مُريدُ الإجادة بالذين شهد لهم البُلَغاءُ بالإجادة في غَرَضٍ من أغراض المعاني فينسُجَ على مِنْوَالِه، فإذا رَامَ إثارةَ حماسٍ جَمعَ في ذهنه ما يُلائِمُ حالة الاستصراخ واستِبْطَاء النصير، وتخيَّلَ المُسْتَنْجِدَ هَضِيمَ الجانبِ ذا جناحٍ كسير، فاجتهد أن يُكْثِرَ من المعاني التي من شأنها إثارة حمِيَّةِ المخاطبِ واقتداره، وعلى هذا المنوال ينسج.

---

(١) تشير إلى نحو قول النابغة مخاطباً عمرو بن الحارث الغساني ملك الشام ومفضلاً له على النعمان بن المنذر اللخمي، ملك الحِيرة ـ كتاب الأغاني ـ: «فوالله لشمالك خير من يمينه، ولقفاك خير من وجهه...» إلخ. (المؤلف).
قلت: ينظر: دلائل الإعجاز ص٩٧.

(٢) إسماعيل بن القاسم بن سويد العَنَزي بالولاء، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية (١٣٠ ـ ٢١١هـ)، شاعر مكثر، سريع الخاطر، كاد يتكلم شعراً، قال أبو نواس: ما رأيته إلا توهمت أنه سماوي وأني أرضي. سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٥، الأعلام ١/ ٣٢١.

(٣) ديوانه ص٦٥٦. والخليفة هو المتوكل.

(٤) قال أبو هلال العسكري: «عندما قال: مات الخليفة أيها الثقلان، قالوا: جيد، نعى الخليفة إلى الجن والإنس في نصف بيت. فقال: فكأنني أفطرت في رمضان، فضحكوا». الصناعتين ص١٢٨.

ومن صور صحة المعنى أن يكون مطابقاً للواقع، **كما قال حسّان**[١] رضي الله عنه:

وإنَّ أحْسَنَ بَيْتٍ أنت قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إذا أَنْشَدتَهُ: صَدَقَا

ولكنَّ ذلك ليس بشرطٍ على الإطلاق وخاصّةً في الشعر؛ فإن الشِّعرَ يُبْنَى على المغالطة والخيال[٢]، وهذا الشأن يختلف باختلاف الأغراض والمقامات، فلكل غرضٍ من أغراض الكلام ما يناسبه من صحة المعنى في بابه، وللنثر مُناسَباتٌ ليست للشعر، وبالعكس.

وسيأتي للمؤلف ذكر الخلاف في أن أحسن الشعر أصدقه، أو أكذبه، أو أقصده.

ولما كان الخوض في صحة المعنى هنا وفيما يأتي مُتَوقِّفاً على معرفة المراد من المعنى، وجب أن نُبَيِّنَ ما هو المعنى؟ وما هي أقسامُهُ عند أئمة البلاغة؟ وهو المبحث الذي وعدنا به عند شرح قول المرزوقي: «ومن البُلَغَاء من قَصَد فيما جَاشَ به خَاطِرُه... إلخ».

❁ قال: **(وجَزالَةَ اللَّفظِ واستقامَتَه، والإصابةَ في الوصف)**.

كثر في كلام أئمة النقد وصناعة الإنشاء والشعر ذِكْرُ وَصْفِ «الجَزَالَة» في محاسن الألفاظ، وقد عَدَّها المُؤلِّفُ في محاسن المعاني ـ أيضاً ـ إذ قال: «فطلبوا المعاني المُعْجِبَة من خواص أماكنها، وانتزعوها جَزْلة عذبة».

ولم أرَ منهم من أفصح عن مُقَوِّمَاتِ هذا الوصف وشرائط حصولها، وأنا أبذل مَبْلَغَ جَهْدِ الفكر في الكشف عن مَفَاد هذا الوصف،

---

(١) ديوانه ص٣٤٥.

(٢) قال ابن العربي: «أما الاستعارات والتشبيهات فمأذونٌ فيها، وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد». أحكام القرآن ٣/ ١٤٣٤.

وأقدِّمُ ما هو منه وصفٌ للفظ، ثم أُتبعهُ بما هو منه وصف للمعنى، على سبيل الاستطراد، وإكمالاً للفائدة.

فأما (**الجزالة**) فهي وصفٌ للفظ مأخوذٌ من صفات الناس؛ إذ الجزالة في الإنسان هي جَوْدة رأيه، وكمال عقله، فبها يكون الإنسان كاملَ الإنسانية، وهي في اللفظ، عَرَّفَها ابنُ مُكَرَّم[١] في «لسان العرب» فقال: «الكلامُ الجزل: القوي الشديد، واللفظ الجزل: خلاف الركيك»[٢]. والركيك هو الضعيف.

وظاهرٌ أنَّ مرجِعَ هذا إلى معنى اللفظ المُركَّب أو المفرد، لا إلى مبناه وصورته، فليست الجَزالَةُ تنافر الحروف، ولا تنافر الكلمات، ولا غرابة الكلمة.

فَلْنَتَطلَّبْ حَقِيقَةَ الجزالة عند أئمة النقد، ونَتَقَصَّاها من آثار كلماتهم، ونتعرَّفْها من تعرُّفِ ضِدِّها الذي يقابلونها به، فابنُ رَشِيقٍ في «العمدة» ذَكَرَ الجزالة وعَطَفَهَا على الفخامة عَطْفاً يَظهَرُ منه أنه أراد به التفسير، قال[٣]: «منهم قومٌ يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مَذْهب العرب من غير تصنُّع؛ **كقول بشَّار**[٤]:

إذا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أو قَطَّرتْ دَمَا

وقال[٥]: «وشبَّه قومٌ أبا نواس بالنابغة لِما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة».

---

(١) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي (٦٣٠ ـ ٧١١هـ)، اللغوي الحجة، صاحب لسان العرب. قال الصفدي: لا أعرف في كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره. الدرر الكامنة ٤/ ٢٦٢، الأعلام ٧/ ١٠٨.

(٢) اللسان: (جزل).

(٣) ص٨٠ من الكتاب المذكور. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور النبوي ١/ ٢٠٠.

(٤) ديوانه ٤/ ١٨٤. قال ابن رشيق: «هذا أفخر بيت صنعه محْدث». العمدة ٢/ ٨٢٥.

(٥) ص٨٥ من الكتاب المذكور. (المؤلف).

=

ووصف عبدُ القاهر «الجزالة» فقال[١]: «من البَراعة والجَزالة وشِبْهِهما مما يُنبئ عن شرف النظم».

وقال[٢] عند ذكر النَّظْم: «أن تقتفيَ في نظم الكلم آثار المعاني وتُرتِّبها على حسب ترتيب المعاني في النفس».

وذكر ابنُ شرف القيرواني[٣] في «رسالة الانتقاد» الجزالةَ فقال عند ذكر لبيد: «شعره ينطق بلسان الجزالة عن جَنَان الأصالة؛ فلا تسمع إلا كلاماً فصيحاً، ومعنى مُبيناً صريحاً»[٤].

وقال في ابن هانئ الأندلسي: «إلا أنه إذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه، رمى عن مَنْجَنِيقٍ، يُؤَثِّرُ في النِّيق»[٥]. فجعل الجزالة وصفاً للمباني؛ أي: الألفاظ.

وقال ابنُ الأثير في «المثل السائر» في المقالة الأولى في الصناعة اللفظية[٦]: «قد جاءت لفظةٌ واحدةٌ في آية وفي بيت؛ فجاءت في القرآن جَزْلةً متينة، وفي الشعر ركِيكَةً ضعيفةً، فأثَّر التركيب في هذين الوصفين

= **قلت**: وفي طبعة الدكتور النبوي ١/ ٢١٢.

(١) ص٤٦ من كتاب دلائل الإعجاز، طبع مطبعة المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٥٩.

(٢) ص٣٩ من الكتاب المذكور. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٤٩.

(٣) محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني، أبو عبد الله (٣٩٠ ـ ٤٦٠هـ)، الأديب الكاتب الشاعر، اتصل بالمعز بن باديس أمير أفريقية. معجم الأدباء ٦/ ٢٦٣٦، الأعلام ٦/ ١٣٨.

(٤) ص٢٤٤ من مجموعة من رسائل البلغاء، نشر الأستاذ محمد كرد علي، طبع البابي بمصر سنة ١٣٣١هـ. (المؤلف).

(٥) ص٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة. (المؤلف).
قلت: النيق: أعلى موضع في الجبل.

(٦) ص٨٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٢هـ. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور بدوي طبانة وزميله ١/ ٢٤٩، ٢٥٠.

الضدين، أما الآية فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وأما البيت فقول **أبي الطيِّب**[١]:

تَلَذُّ له المُروءةُ وهي تُؤْذِي ... ومَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ الغَرَامُ

وقال أبو البقاء الكفوي[٢] في كُلِّياتِه: «الجزالة إذا أطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة»[٣]. وقلت: قد رأيتهم يقابلون الجزالة مرَّةً بالرقَّة، ومرة بالرَّكَاكة، ومرة بالضعف، ومرة بالكراهة، فتحصَّل لنا من معنى الجزالة أنها كون الألفاظ التي يأتي بها البليغ ـ الكاتب أو الشاعر ـ ألفاظاً متعارفة في استعمال الأدباء والبلغاء، سالِمَةً من ضَعف[٤] المعنى، ومن أثر ضعف التفكير، ومن التكلُّف، ومما هو مُسْتَكْرَهٌ في السمع عند النطق بالكلمة أو بالكلام. فهذه الجزالة صِفَةُ مدح، وقد مَثَّلوا للركاكة **بقول بعضهم**[٥]:

يا عُتْبَ سيِّدتي أمَا لكِ دينُ ... حتى متى قلبي لديكِ رهينُ

فأنا الصَّبُورُ لكلِّ ما حَمَّلْتِنِي ... وأنا الشَّقِيُّ البائِسُ المسكينُ

وفيه ركاكةٌ من جهات: منها كون المعنى أجوفَ دائراً بين جميع العامة، وكون جُلِّ الألفاظ مرذولاً، وذكر «البائس» و«المسكين» بعد الشقي، وفي الشقي ما يغني عنهما. ومن الرَّكَاكَةِ **قولُ الخُوَارَزْمِيّ يخاطب بديعَ الزمان الهَمَذَانِي**:

وإذا قَرَضْتُ الشِّعْرَ في مَيْدَانِهِ ... لا شَكَّ أنَّكَ يا أخي تَتَشَقَّقُ[٦]

---

(١) ديوانه ٤/ ٧٥. وقد تقدم.

(٢) في الأصل: (الكبوي)، وفي «ج»: (العكبري) وكلاهما غلط صوابه: الكفوي. وأبو البقاء هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (٠٠٠ ـ ١٠٩٤هـ)، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في «كفه» بتركيا، وبالقدس وببغداد. هدية العارفين ١/ ٢٢٩، الأعلام ٢/ ٣٨.

(٣) الكليات ص٣٥٣.

(٤) «ج»: (ركاكة).

(٥) أبو العتاهية كما في ديوانه ص٦٤٦، **وينظر**: نقد النثر ص٨٥.

(٦) مناظرته مع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجوايب بالأستانة. (المؤلف). =

فقوله: «في ميدانه» لا موقعَ له، وقولُه: «يا أخي» لا مقامَ له؛ لأنَّ الكلامَ في مقامِ مُناظرةٍ ومُشَادَّة.

وإذا قابلوا الجَزَالة بالرِّقة، فإنما يريدون بها نَسْجَ الكلام على مِنْوَالِ القدماء في الشدة والقوة؛ **كقول أشْجَع السُّلَمِي[1] في مَدْحِ الرَّشِيد:**

وعلى عَدُوِّكَ يا ابن عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ: ضوءُ الشَّمْسِ والإظْلامُ
فـإذا تَـنَـبَّـهَ رُعْـتَـهُ وإذا غَـفَـا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ[2]

ويريدون بالرِّقة نسجه على مِنْوال المُحْدَثين في اللِّين والظَّرْف، وأظهرُ مثالٍ جمعَ هذين الوصفين **قولُ جميل[3]:**

ألا أيُّـهـا الـنُّـوّامُ ويْـحَـكُـمُ هُـبُّـوا أُسَائِلْكُمُ هَلْ يَقتُلِ الرَّجُلَ الحُبُّ؟[4]

قال بعض أئمة الأدب[5]: «هذا البيتُ أَوَّلُهُ أعرابِيٌّ في شَمْلَتِه، وآخره مُخَنَّثٌ من مخنثي العَقِيقِ يتفكك»[6]. ألا ترى أن قوله: «ويحكم» من كلمات التعجُّب، وهي جَزْلة، فلو قال: «أفديكم» لاعتاض عن الجزالة بالرِّقة.

= **قلت**: وقد طبعت في المطبعة الكاثوليكية وصورتها دار التراث، والمناظرة في ص٤٥. قال الطرابلسي في شرحه: «تتشقق: أي تنشق. والمعنى: أنه يتأثر من قرض الشعر في ميدانه، ولا مناسبة بين قرض الشعر والميدان، ويناسبه الجري والمجاراة». كشف المعاني والبيان ص٤٥.

(١) أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد (٠٠٠ ـ ١٩٥هـ)، شاعرٌ فحل، كان معاصراً لبشار، مدح البرامكة، وأنشد بين يدي الرشيد فقربه وأعجب به. الشعر والشعراء ٢/ ٨٦٩، الأعلام ١/ ٣٣١.

(٢) الشعر والشعراء ٢/ ٨٧٠، البرهان في وجوه البيان ص١٨، نقد النثر ص٨٥، خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ٢٩٩.

(٣) جميل بن عبد الله بن معمر، أبو عمرو العذري (٠٠٠ ـ ٨٢هـ)، صاحب بثينة، شاعر شعره غاية في الرقة. سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨١، ٣٨٥، الأعلام ٢/ ١٣٨.

(٤) ديوانه ص٢٥، **وينظر**: الأمالي، لأبي علي القالي ٢/ ٢٩٨، العقد الفريد ٥/ ٣٨٢، الشعر والشعراء ١/ ٧٤، بهجة المجالس ٢/ ٩٢.

(٥) صالح بن حسان، كما في المصادر السابقة.

(٦) في الأصل: (بتفكك)، والتصويب من «ج» ومن المصادر السابقة.

وقد تُقال «الجزالة» في هذا الإطلاق على الكلام الذي يَصْدُرُ في أغراضٍ تُنَاسِبُهَا الشِّدَّة؛ كالرِّثَاءِ والحَمَاسَةِ، وتُقال «الرقة» على كلام في أغراضٍ يُناسبها اللين واللَّطَافةُ؛ كالنسيب والزهديات[1] والمُلَح. والجزالة في هذا كُلِّه من صفات الألفاظ باعتبار المعاني، ويظهر تَصرُّفُ البليغِ في صناعتها، بالخصوص في صوغه المعاني التي يَصُوغُهَا في نفسه، من مَجَازٍ، واسْتعارةٍ، وتمثيلٍ، وكنايةٍ، وأنواعِ البديع. وأمَّا المعاني الوَضْعِيَّة فتأتي بطبعِ سِيَاقِ الكلام، وتأتي الألفاظُ تَبَعاً للمعاني.

وأما (**استقامةُ اللفظ**) فهي وصفٌ نسبِيٌّ يعرِض لِلَّفظ في حين انتظامه في الكلام، فإن للألفاظ معانيَ موضوعةً، ولها معانٍ كَثُر استعمالها فيها، ولها معانٍ يستعملُها المتكلم فيها على وجه المجاز، أو الاستعارة، أو الكناية، أو نحوِ ذلك، فاستقامة اللفظ هي وفاؤُهُ بالمراد الذي استعمله فيه البليغ، دون خطأٍ، ولا تقصيرٍ، ولا غموض. فمن الاستقامةِ السَّلامةُ من التعقيدِ المعنويِّ، أو السلامةُ من الخطأِ في استعمال اللَّفظ: إمَّا لقُصُورٍ في معرفة اللُّغة، وإما لغَفْلةٍ؛ كاستعمال اللفظ الدَّالِّ على الأعم في حين إرادة الأَخَصّ.

وفي بعض هذا المقصد أُلِّفت الكُتُبُ المنَبِّهَةُ على أخطاء الخاصَّة، مثل: «دُرة الغَوَّاص للحَريري»[2]، ومثل: مباحث من كتاب «أدبِ الكُتَّاب لابن قتيبة»[3]. وقد أشار المؤلف إلى هذا بقوله الآتي: «وعِيَارُ

(١) في الأصول: (الزهريات)، وهو تصحيف.
(٢) طبع قديماً في الجوايب سنة ١٢٩٩هـ، ثم حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.
(٣) طبع مراراً، آخرها عن مؤسسة الرسالة بتحقيق الدكتور محمد الدالي ١٤٠٢هـ. قال المحقق ص٩م: هذا الكتاب يتردد اسمه بين: «أدب الكاتب» و«أدب الكتاب»، ولا سبيل للقطع بأحدهما على أنه الذي اختاره مؤلفه رحمه الله.
وابن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوري، أبو محمد (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ)، خطيب أهل السُّنة، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦، الأعلام ٤/ ١٣٧.

اللفظ الطبعُ والروايةُ والاستعمالُ». وقولِه: «وهذا في مفرداته وجملته مُرَاعى».

و(**الإصابة في الوصف**).

المراد بالوصف معناه المصدري، وهو التصوير والإيضاح، قال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ٦٢]. وليس المراد ما يرادف الصفة من نحو النعت والحال؛ لأن ذلك أخصُّ من المقصود هنا. فإصابةُ الوصف: هي أن يصوِّر المتكلم ما أراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع، من غير انعكاسٍ ولا انتقاض. وضدُّ إصابةِ الوصف الخطأُ فيه كُلّاً وهو الغلط، أو بعضاً وهو العيب؛ أي: عيب النقص في التوصيف. والشاعر أكثرُ تعَرُّضاً لهذا من الكاتب؛ لأنَّ الشاعرَ يكثُرُ منه تخيُّلُ المعاني من[1] غير مشاهدة، فرُبَّما أخطأ في تخيُّلِهِ أشياءَ لم يَعْتد الإحاطة بصفاتها، أو خفي عنه بعضُ ما يَدِقُّ من مشاهدته إياها. وقد عُدَّ بشَّارُ بنُ بُردٍ من أعجُوبات الشعراء؛ إذ كان مع عماه لا يكاد يُخطِئُ في الأوصاف الدقيقة[2]، وحسْبُكَ بيته المشهور:

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسِنَا ... وأَسْيافَنَا لَيْلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ[3]

(ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة، كثُرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات).

---

(١) «ج»: (عن).

(٢) ديوان بشار ١/ ١٩. قال ابن عاشور: ومع أن بشاراً كان أعمى، فإنه لم يكن يأتي في شعره بما يناسب العمى، فإذا قرأت شعره لم تشعر بأنه أعمى، وذلك من فرط دقة علمه ووصفه للأشياء، إلا قوله ٢/ ٢٣١:

فأتيتهن مع الجريِّ يقودني ... طَرِباً ويا لك قائداً ومقودا

(٣) ديوانه ١/ ٣٣٥. قال ابن عاشور: «هذا البيت هو الذي أكسب بشاراً شهرة النبوغ في الشعر».

أي: أن ما استوفى من النثر والشعر هذه الأسباب الثلاثة، فيه توجد الأمثال السائرة والأبيات الشاردة، فكثرت في المآثر الأدبية في الجاهليين والمولَّدين، فالأمثالُ موجودةٌ في الشعر بأن يكون المِصْرَاعُ أو جُزْءٌ منه سَارٍ مَثَلاً؛ **كقول أبي أخزم الطائي**[١]:

شِنْشِنَةٌ أعرِفُهَا من أَخْزَمِ[٢]

وقبله:

إنَّ بَنِيَّ رَمَّلُونِي بالدَّمِ ... مَنْ يَلْقَ أبطال الرِّجالِ يُكْلَمِ[٣]

وقول بشر بن أبي خازم[٤]:

أحقُّ الخَيْلِ بالرَّكْضِ المُعَارُ[٥]

ومن أبيات انظرها في «مجمع الأمثال» في باب الحاء.

وأما ما كان بيتاً كاملاً يتمثل به الأدباء فذلك لا يُسَمَّى مثلاً، وإنما يسمى تَمَثُّلاً.

والأمثال في النثر كثيرة أيضاً في كلام البلغاء، وأهمها أمثال القرآن

---

(١) قال ابن الكلبي: أبو أخزم الطائي جدُّ أبي حاتم أو جد جده. مجمع الأمثال ١/ ٤٥٧.

(٢) الشِّنْشِنَة: السجية والطبيعة.

(٣) البيان والتبيين ١/ ٣٣١، جمهرة الأمثال، للعسكري ١/ ٥٤١، مجمع الأمثال، للميداني ١/ ٤٥٧، المستقصى ٢/ ١٣٤، العقد الفريد ٢/ ١٩٢، اللسان: (شنن، رمل)، بدائع البدائه ص٢١٥.

(٤) في الأصول: (حازم) بالحاء المهملة، ولعله تصحيف.
وهو: بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل (٠٠٠ ـ نحو ٢٢ق هـ)، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان من أهل نجد. الشعر والشعراء ١/ ٢٦٢، الأعلام ٢/ ٥٤.

(٥) ديوانه ص١٠٧. وهذا عجز بيت صدره: وجدنا في كتاب بني تميمٍ.
وينظر: مجمع الأمثال، للميداني ١/ ٢٦٥، المستقصى ١/ ٦٩. والمعار: المسمن. وقيل: المنتوف الذنب. والبيت يروى أيضاً للطرماح. اللسان: (عير).

نحو قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤][(١)].

ومن الأمثال ما لم يقع في أثناء كلام، ولكنَّ أصحابها من البلغاء نطقوا بها منفردة، وهي مُعظم أمثال العرب التي جمعها الميدانيُّ[(٢)] في كتابه «مجمع الأمثال»[(٣)]، ومن قبله الزمخشري[(٤)] في كتابه «مستقصى الأمثال»[(٥)].

ومعنى **(السائرة)** الفاشية بين أهل اللسان، فشَبَّه الفُشُوَّ بالتنقُّلِ في أَمْكِنَةٍ كثيرة بجامع تَكَرُّرِ عُروضها للأسماع، كتكرر عروض الشخص في أماكن كثيرة وهو السير. وفي «الكشاف»: «ولم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول، إلَّا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثَمَّ حوفِظ عليه وحُمِيَ من التغيير»[(٦)]. وأراد بالغرابة أنه قولٌ زائدٌ على المعتاد، لخصائص فيه من دقيق المعاني، وخِفَّة اللفظ مع وفرة المعنى.

وأما **(شوارد الأبيات)** فهي الأبيات البالغة مبلغاً من صِحَّة المعنى، وجزالة اللفظ، وإصابة المعنى المفاد منها؛ وأطلق المؤلف عليها وصف «الشارد» لعِزَّةِ هذا النوع، فشبَّهَهُ بالوَحْشِ الشَّارِدِ في حال كونه مطلوباً مرغوباً فيه لقَانِصِه، وعسيرَ الوقوع في يده. فتلك العِزَّةُ مع شدة الرغبة هي وجه الشبه، فاستعار لها الشرود، تمثيلاً للحالة. وإنما جعل المؤلف

---

(١) قال ابن عاشور: «هذه الجملة أرسلت مُرسَل الأمثال». التحرير والتنوير ١١/ ٢٨٤. **وينظر**: التمثيل والمحاضرة، للثعالبي ص١٩، الإتقان، للسيوطي ٢/ ١٦٩، بلاغة القرآن للخضر حسين (٥٨).

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، أبو الفضل النيسابوري (٠٠٠ ـ ٥١٨هـ)، أديب فاضل، نحوي لغوي، صاحب كتاب مجمع الأمثال، من خير ما صنف في بابه. معجم الأدباء ٢/ ٥١١، الأعلام ١/ ٢١٤.

(٣) طبع مراراً، وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٤) في قول المؤلف: ومن قبله الزمخشري ـ نظر؛ فإن الزمخشري متوفى سنة ٥٣٨هـ، أما الميداني فمتوفى سنة ٥١٨هـ.

(٥) طبع في حيدر آباد ـ الهند، ١٩٦٢م.

(٦) الكشاف ١/ ٧٩.

قِوام سوائر الأمثال وشوارد الأبيات، هو اجتماع هذه الأسباب الثلاثة دون سبب مقاربة التشبيه ومناسبة الاستعارة؛ لأن كثيراً من الأمثال والأبيات خُلْوٌ من التشبيه والاستعارة، كمثل قوله: «لأمر مَّا جَدَع قَصِيرٌ أنْفَه»[(١)]، **وبيت امرئ القيس:**

قِفَا نَبْكِ من ذكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ[(٢)]... البيت

وقوله المؤلف: **(سوائر، وشوارد)** أراد جمع سائر وشارد، غير أن المثل والبيت مذكَّران، فجمعه على وزن فواعل، إما على تأويل المَثَل والبيت بمعنى الكلمة، وإما على وجه الشُّذُوذ، كما قالوا: فوارس وعواذل.

(والمقاربةَ في التشبيه).

عَطْفٌ على قوله: **(والإصابة في الوصف).**

(المقاربة) القرب الشديد؛ لأن صيغة المُفَاعَلة فيه للمبالغة، إذ ليس المرادُ قربَ كُلٍّ من طَرَفي التشبيه من الآخر في الوصف، فإن التشبيه: إلحاقُ ناقصٍ بكامل في وصف[(٣)]. وأما ما يُسَمَّى بالتشابه[(٤)]، كالذي في **قول أبي إسحاق الصابئ[(٥)]:**

---

(١) قالته الزبَّاء. مجمع الأمثال، للميداني ٢/ ٢٣٣، المستقصى ٢/ ٢٤٠.

(٢) ديوانه ص٨. وتمامه: بسَقْط اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحوملِ.

(٣) **ينظر**: مفتاح العلوم ص١٥٦، شروح التلخيص ٣/ ٢٥٦، العمدة ١/ ٤٦٨.

(٤) التشابه: أن يتساوى المشبه والمشبه به في جهة التشبيه، فيترك التشبيه إلى التشابه، ليكون كل واحد من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به. مفتاح العلوم ص١٦٤، شروح التلخيص ٤/ ٤١٢، المطول ص٣٣٥.

(٥) الإيضاح ٤/ ٧٨، المطول ص٣٣٥. وأبو إسحاق هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني، أبو إسحاق الصابئ (٣١٣ ـ ٣٨٤هـ)، من كبار الكُتّاب، تقلد دواوين الرسائل والمظالم، وهو على دين الصابئة، وكان يحبه الصاحب بن عباد. معجم الأدباء ١/ ١٣٠، الأعلام ١/ ٧٨.

تَشَابَهَ دَمْعِي إذ جَرَى وَمدَامَتِي ... فمن مِثْلِ ما في الكَأْسِ عَيْنِيَ تَسْكُبُ[١]

ـ فذلك غُلُوٌّ في التشبيه، يقرب من التشبيه المقلوب[٢]، كما في قول محمد بن وُهَيب[٣]:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كأنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ الخليفةِ حين يُمْتَدَحُ[٤]

قال قدامة في «نقد الشعر»: «فأحسن التشبيه ما أوقعَ بين شيئين، حتى يُدْنِي بهما إلى [حال][٥] الاتحاد»[٦]. وشِدَّةُ القُرْب هي قوة وجه الشَّبَهِ في المُشَبَّه، بحيث يستغني المُشَبِّهُ عن ذِكْرِ وَجْهِ الشَّبَه، وليس المراد بالمقاربة تمامَ المماثلة بين المشبه والمشبه به في جميع الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه؛ ولذلك كان من محاسن التشبيه الاستدراكُ فيه باستثناء ما لا مشابهة فيه من صفات المشبه به، لكون المشبه أعلى من ذلك، كما قال المعَرِّي[٧]:

تَنَازَعَ فيك الشِّبْهَ بحرٌ ودِيمَةٌ ... ولستَ إلى ما يزعُمُون بمائِلِ[٨]

إذا قيل بحرٌ فَهُوَ مِلْحٌ مُكَدَّرٌ ... وأنتَ نَمِيرُ الجُودِ حُلْوُ الشَّمائِلِ[٩]

ولستَ بغيثٍ فُوكَ للدُّرِّ مَعْدِنٌ ... ولم يُلْفَ دُرٌّ في الغُيُوثِ الهَواطِلِ[١٠]

---

(١) المدامة: الخمر. وتسكب: ترسل.

(٢) التشبيه المقلوب: أن تجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به. ويسمى أيضاً: المنعكس، وغلبة الفروع على الأصول. **ينظر**: أسرار البلاغة ص٢٠٤، الإيضاح ٣/ ٧٥، الطراز ١/ ٣٠٩.

(٣) محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر (٠٠٠ ـ نحو ٢٢٥هـ)، شاعر مطبوع، مكثر، عاصر أبا تمام، وكان يتكسّب بشعره. الأغاني ١٩/ ٧٤، الأعلام ٧/ ١٣٤.

(٤) أسرار البلاغة ص٢٢٣، الصناعتين ص٤٥٥، الإيضاح ٤/ ٧٥، الأغاني ١٩/ ٨٩.

(٥) ما بين العاقفتين زيادة من «ج»، ومن نقد الشعر.

(٦) نقد الشعر ص١٠٩.

(٧) ديوانه: سقط الزند ٣/ ١٠٧٤.

(٨) الدِّيمة: المطر الدائم في سكون.

(٩) النمير: الناقع العذب. والشمائل: الخلائق، واحدها شمال.

(١٠) الهواطل: الدائمة في سكون.

والمراد بالتشبيه في كلام المؤلف: ما كان بأداة شبه، أو كان تشبيهاً بليغاً؛ لأنه عند المحقِّقِين من نوع التشبيه لا من الاستعارة[1]. وأما الاستعارة فسيخصّها بالذكر.

❁ **(والتحامَ أجزاء النظم والتئامَها، على تخيُّرٍ من لذيذ الوزنِ).**

قال الجاحظ[2]: «أجود الشعر ما رأيته متلائم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً».

و**(الالتحام)**: مطاوع لَحَمَ الثوبَ يلحَمه، إذا نسجَ لحمته بضم اللام وبفتحه، وهي ما يثني به الحائِكُ نسج الثوب، فيجعله أعلى فوق السَّدَى الذي هو أسفل النسج، وفي الحديث: **«الولاء لُحْمَةٌ كلُحْمَةِ الثوب»**[3] كذا في رواية، فالالتحام أن تكون الكلمات بعد نظمها كالشيء الواحد.

و**(أجزاء النظم)**: كلماته.

و**(الالتئام)**: مطاوع لأَمَه، إذا جعله متلائم الأجزاء؛ أي: متناسبها، بأن تكون كلمات النظم متناسبة، بحيث لا يكون في النطق بها بعد اجتماعها ما يَثْقُلُ على اللسان، فإن الكلمة قد تكون في ذاتها غيرَ ثقيلة، فإذا ضُمَّتْ إلى غيرها لم تتلاءما، وثَقُلَتَا على اللسان ثِقَلاً لا

---

(١) من هؤلاء المحققين: القاضي الجرجاني، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري. **ينظر**: الوساطة ص٤٠، ٤١، أسرار البلاغة ص٣٢٠ وما بعدها. الكشاف ١/ ٨٣، ٨٤، ٢٢٩، عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص) ٣/ ٢٩٦، شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام الأنصاري (٦٦)، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ١/ ٣٨١، التحرير والتنوير ١/ ٣١٤، موجز البلاغة ص٣٣.

(٢) **انظر**: العمدة، جزء أول. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور النبوي ١/ ٤٢١. وقول الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٦٧.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ولعلها من الروايات التي يتناقلها اللغويون وليس لها أصلٌ عند المحدِّثين، والمعروف قول النبي ﷺ: **«الولاء لحمة كلحمة النسب»**. رواه الشافعي في الأم ٤/ ١٢٥، ومن طريقه الحاكم ٤/ ٣٧٩، والبيهقي ١٠/ ٢٩٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه ابن باز في حاشيته على بلوغ المرام ص٥٦٣، والألباني في إرواء الغليل ٦/ ١١٠.

يتمكَّنُ اللسان من تخفيفه، ومثاله المشهور في بحث الفصاحة، **قولُ من لا يُعْرَف**:

وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ(١)

وقولُ أبي تمام(٢):

كَرِيمٌ متى أمْدَحْه أمْدَحْهُ والورى معي وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وحدِي

وإنما قلت: لا يتمكن من تخفيفه، احترازاً من نحو **قول البُحْتُرِي**(٣):

أأَفَاقَ صَبٌّ من هَوَىً فَأُفِيقَا؟

فإن اجتماع الهمزتين ثقيلٌ، يمكن التخلُّص من ثِقَله بتسهيل إحدى الهمزتين(٤).

وقول المؤلف: **(على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن)**.

(على) فيه، بمعنى: (مع)، وأراد بالوزن وزنَ الشعر، وهو ما يسمى بالبحر في اصطلاح العروضيين، وما فيه من

---

(١) هذا عجز بيت صدره: وقبر حرب بمكان قفرُ. والبيت مجهول القائل، ولتنافر حروفه نسبوه إلى بعض الجن، وصنعوا في ذلك قصة. **ينظر**: البيان والتبيين ١/ ٦٥، الحيوان ٦/ ٢٠٧، دلائل الإعجاز ص٥٧، النكت في إعجاز القرآن، للرُّمَّاني ص٩٥، العمدة ١/ ٤١٩، إعجاز القرآن، للباقلاني ص٢٦٩، البداية والنهاية ٢/ ٢٢٧. قال الجاحظ: «لا أحد يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد ثم لا يتتعتع ولا يتلجلج». البيان والتبيين ١/ ٦٥.

(٢) ديوانه ٢/ ١١٦.

(٣) ديوانه ٣/ ١٤٤٦. وهذا صدر بيت عجز: أم خان عهداً أم أطاع شفيقاً؟.

(٤) لكن جاء ذلك في القرآن؛ فقرأ عاصم وحمزة والكسائي إذا حقق وابن عامر ـ بالهمزتين ـ، في مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ [يس: ٢٣] وكذا قرأوا أمثالها في جميع القرآن باستثناء حروف. أما المؤلف فيقرأ بقراءة ورش، وهو يخفف الهمزة الثانية في جميع القرآن، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي إذا خفف. السبعة، لابن مجاهد ص١٣٦، ١٣٧. **وينظر**: المبسوط في القراءات العشر ص١٢٣، ١٢٤، النشر، لابن الجزري ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.

أعاريض[١] وضروب[٢]، وقد بيّن المؤلف فيما يأتي من كلامه هذا القَيْد بقوله: «وإنما قلنا على تخيُّرٍ من لذيذِ الوزنِ؛ لأن لذيذَه يَطرَب الطبعُ لإيقاعه، ويُمازِجُهُ بصفائه، كما يطرَب الفهمُ لصواب تركيبه، واعتدالِ نظومِهِ». وكأنَّ المؤلف يشير إلى أمرين:

أحدهما: مزيَّةُ الشعر العربي باشتراط العربِ الوزنَ فيه، بحيث لا يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزنٌ خاص.

وثانيهما: الإشارة إلى تجنُّبِ الأعاريض، والضروب الثَّقيلةِ، والزِّحاف والعلة الجائزين المؤثرين ثقلاً في انتساب الحركات والسواكن من الميزان، فيصير كالعِثَار في السير، أو كالكلام المقطَّع نُتَفاً غيرَ متماثلة.

وقد يحصُلُ من تجمُّع الكثيرِ من ذلك، ما يوشِكُ أن يُخرِجَ الشعر من كونه شعراً، إلى كونه نثراً، كما في أبياتٍ من مُجَمْهَرَةِ **عَبِيدِ بنِ الأَبْرَص التي أولها**[٣]:

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا شَعِيبُ[٤]

وقد قرَن المؤلف (تخير لذيذ الوزن) بـ(التحام الأجزاء والتئامها)؛ لأنهما من وادٍ واحد، على أن بعض العَرُوضِ في بعض الموازين لا يخلو من ثِقَل، مثل الضرب الثاني المقطوع من بحر المنسرح[٥].

---

(١) الأعاريض: جمع عَروض، وهو آخر جزءٍ من الشطر الأول من البيت.

(٢) الضروب: جمع ضَرْب، وهو آخر جزءٍ من الشطر الثاني من البيت.

(٣) جمهرة أشعار العرب ص٢٢٥. والبيت المذكور السابع في القصيدة.

(٤) سروب: من سرب الماء يسرب. والشأن: مجرى الدمع. والشَّعِيب: المزادة المنشقة.

(٥) هو:

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفعولن

(المؤلف).

وبعضها من بعض العَروض يكون أشبه بالسجع منه بالشعر، مثل عروض المجتث المكفوف[١] وهي قليلة. وأمثلة ما استوفى هذا الشرط الذي ذكره المؤلف من الشعر كثيرةٌ، وإن شئت فانظر شعرَ عمر بن أبي ربيعة كقوله[٢]:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ ... غَدَاةَ غَدٍ أم رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ

(ومناسبةَ المستعارِ منه للمستعارِ له).

(المناسبة) شدة الانتساب، وأراد بها قُوَّة المشابهة، وقد خص المؤلف الاستعارة بهذا الشرط ولم يدمجها في شرط مقاربة التشبيه، مع أن الاستعارة من قبيل التشبيه؛ لأن التشبيه: إلحاقُ صاحب وصف غير بيِّنٍ وصفُهُ بصاحب وصفٍ مشتهرٍ به، بواسطة حرف يدل على ذلك ظاهر أو مقدر. وأما الاستعارة: فهي ادعاء أن صاحب وصف من نوع غير مشهور به الوصف، قد صار فرداً من نوع مشهور بذلك الوصف، بحيث استحق أن يطلق عليه اسم ذلك النوع المشهور بالوصف. فالاستعارة مبنيَّةٌ على تناسي التشبيه، وعلى ادعاء أن المستعار له من جنس المستعار منه، فكانت لذلك جديرةً بتمام المشابهة والمناسبة بين المستعار له والمستعار منه. ولما كانت الاستعارة تَتَفَرَّعُ إلى: مصرّحة[٣]، ومكنيَّة[٤]، وتخييليّة[٥]،

---

(١) كقوله:

ما كان عطاؤهن ... إلا عِدَةً ضِمَاراً

(المؤلف).

(٢) ديوانه ص١٠١.

(٣) المصرحة: أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به. مفتاح العلوم ص١٧٦، شروح التلخيص ص١٨٥.

(٤) المكنية: أن تذكر المشبه وتريد المشبه به، بنصب قرينة وهي أن تنسب إليه شيئاً من لوازم المشبه به. مفتاح العلوم ص١٧٩، شروح التلخيص ٤/ ١٨٤، المطول ص٣٨١.

(٥) التخييلة: إثبات لازم المشبه به للمشبه. الإيضاح ٥/ ١٢٤، شروح التلخيص ٤/ ١٥٣، المطول ص٣٨١.

وتمثيليّة[١]، وكان منها: أصليّة[٢]، وتبعيّة[٣]، ومنها: مرشّحة[٤]، ومجرّدة[٥]، ومطلَقة[٦] كانت دقةُ التشبيه فيها أحقَّ وأولى من مطلق التشبيه، ليحسن وقعَ كل قسم من هؤلاء في موقعها، قال في «دلائل الإعجاز»[٧]: «وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزِيَّة، أنَّك إذا قلت: «رأيتُ أسداً»، كنت قد تلطَّفْت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة، وذلك أنه إذا كان أسداً فواجبٌ أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، وإذا صرَّحت بالتشبيه فقلت: «رأيت رجلاً كالأسد» كنتَ قد أثبتَّهَا إثبات الشيء يترجَّحُ بين أن يكون وبَيْن أن لا يكون». ومن مراعاة المناسبة بين المستعار له والمستعار منه، كان حقاً أن لا يغفَل الشاعر عن استعارته فينقضها، **كقول أبي تمام**[٨]:

تَحمَّلتُ ما لو حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ … لَفَكَّر دَهْراً أيُّ عِبئَيْهِ أَثْقَلُ

فإنه لما جعل الدهر بمنزلة الإنسان المفكِّر، كان عليه أن لا

---

(١) التمثيلية: أن يكون وجه الشبه فيها منتزَعاً من متعدد. شروح التلخيص ٤/ ١٤٤، المطول ص٣٨٠، أنوار الربيع ١/ ٢٥١.

(٢) الأصلية: أن يكون المستعار اسم جنس. المفتاح ص١٧٩، شروح التلخيص ٤/ ١٠٨، المطول ص٣٧١.

(٣) التبعية: ما تقع في غير أسماء الأجناس، كالأفعال والحروف. المفتاح ص١٨٠، شروح التلخيص ٤/ ١٠٨، المطول ص٣٧٦.

(٤) المرشحة: هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه. المفتاح ص١٨٢، شروح التلخيص ٤/ ١٣٠، المطول ص٣٧٨.

(٥) المجردة: هي التي قرنت بما يلائم المستعار له. المفتاح ص١٨٢، شروح التلخيص ٤/ ١٢٨، المطول ص٣٧٧.

(٦) المطلقة: هي التي لم تقترن بصفةٍ ولا تفريع كلام. الإيضاح ٥/ ٩٩، شروح التلخيص ٤/ ١٢٧، المطول ص٣٧٧.

(٧) ص٦٦ ـ ٥٦ (٣). (المؤلف).
قلت: في طبعة المنار ص٥٦، وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٧٢، ٧٣.

(٨) ديوانه ٣/ ٧٤. قال الآمدي: «فجعل للدهر عقلاً، وجعله مفكراً في أي العبأين أثقل، وما شيء هو أبعد من الصواب من هذه الاستعارة». الموازنة ١/ ٢٧٢.

ينقُضَ ذلك بأن يجعل لتفكيره مدة يسميها دهراً، فتصير مدتُه هي عينه.

(ومُشَاكلةَ اللفظ للمعنى).

(المشاكلة) المماثلة، إذا الشَّكْلُ الشَّبَهُ والمِثْل.

وأراد بـ**(المعنى)** هذا الغرض المفاد بألفاظ التركيب، لا المعنى الموضوع له اللفظ؛ لأن المعنى الموضوعَ له لا يُتَصَوَّرُ فيه اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدالِّ عليه. فالمراد أن الغرضَ الشَّريفَ تُناسِبُه الألفاظُ الموضوعةُ لمَعانٍ حميدة، وأن الغرض الخسيس تناسبه الألفاظ الموضوعة للمعاني الخسيسة، سواء كانت المعاني حقيقيةً أم كانت مجازِيَّةً ومُسْتَعَارة؛ فمقام المديح والرِّثَاء ـ مثلاً ـ يُناسِبُه المعاني الحميدة، ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة، كما في مُقْذِعَاتِ شعر بَشَّار، بحيث لا يحسن أن يستعمل اللفظ الذي يفيد معنى حميداً في غرض خسيس، وهذا ما اقتضاه قول المؤلف فيما يأتي في عبارة مشاكلة اللفظ للمعنى: «وكان اللفظُ مقسُوماً على رُتَب المعاني، قد جُعل الأخَصُّ للأخَصِّ، والأخَسُّ للأخَسِّ، فهو البريء من العيب». وقال الجاحظ في «البيان»[(١)]: «جاء رجل إلى محمد بن حرب الهِلالي[(٢)] بقومٍ فقال: «إن هؤلاء الفُسَّاقَ ما زالوا في مَسِيسِ هذه الفاجرة»، فقال محمد بن حرب: «ما ظننت أنه بلغ من حُرْمة الفواجِرِ ما ينبغي أن يُكْنَى عن الفجور بهم» يعني حيث كُنِّيَ بلفظ المسيس. وقال ابن زيدون[(٣)] في رسالته إلى الوزير أبي عامر ابن عَبْدُوس، الطامع في صحبة وَلَّادةَ خليلةِ

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ٢٥٧.

(٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني ١٧/ ٨٨: أنه كان على شرطة محمد بن سليمان العباسي.

(٣) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، أبو الوليد (٣٩٤ ـ ٤٦٣هـ)، وزير كاتب شاعر، من أهل قرطبة، اتصل بالمعتضد بن عباد صاحب إشبيلِيَة فولّاه الوزارة. الذخيرة، لابن بسام ١/ ٣٣٦، الأعلام ١/ ١٥٨.

ابنِ زيدون: «السَّاقِطُ سقوطَ الذُّبَابِ على الشَّرَاب»[١]. وفي ذلك **قول المتوكل** عمرَ بن الأفطس صاحب بَطَلْيُوس، يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد نُدَمَائِه ليحضر إلى الأنس في روض:

أَقْبِلْ أبا طَالِبٍ إلينا ... وَقَعْ وُقُوعَ النَّدَى عَلَيْنَا[٢]

(وشدةُ اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما).

أي: أن يكون غرض الشاعر من البيت وألفاظه، يستدعيان الكلمة التي تقع قافية له استدعاءً شديداً؛ أي: قوي المناسبة، حتى تجيءَ كلمةُ القافيةِ كالموعود المنتظَر، فلا تكون مغتصَبة متكَلَّفة الوضع في مكانها.

و**(القافية)** أراد بها هنا الكلمة الأخيرة من كل بيت[٣]، وهذا مأخوذٌ من كلام الأخفش[٤][٥].

قال الصَّفَدي[٦] في «شرح لامِيَّة الطُّغْرَائِي»[٧]: «القافية المتمكِّنَةُ

---

(١) الرسالة الهزلية، ضمن ديوان ابن زيدون ورسائله ص٦٣٥، سرح العيون ص١٠، نهاية الأرب ٧/ ٢٧٢.

(٢) أنشده في قلائد العقيان في ترجمة قائل البيت، وَبَطَلْيَوْس من بلاد الأندلس. (المؤلف).
قلت: ينظر: قلائد العقيان ص٤٦، الذخيرة، لابن بسام ٤/ ٦٥٢، نفح الطيب للمقَّري ١/ ٦٦٦، ٣/ ٣٢٩، ٤/ ١٥٥.

(٣) قال الفارابي: «إن للعرب من العناية بنهايات الأبيات التي في الشعر، أكثر مما لكثير من الأمم التي عرفنا أشعارهم». جوامع الشعر ص١٧١. وقال ابن جني: «إن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي؛ لأنها المقاطع، وآخر القافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمس، والحشد عليها أوفى وأهم، وكلما تطرف الحرف في القافية ازدادوا عناية به، ومحافظة على حكمه». الخصائص ١/ ٨٥.

(٤) **ينظر**: القوافي ص٤٣ له.

(٥) هذا هو الذي جرت عليه عبارات الأدباء، وأما القافية التي يضاف إليها علم القوافي فهي ما يتعرض له علم القوافي من أحكام آخر البيت، وهي الساكنان اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من حروف متحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول. (المؤلف).

(٦) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ)، أديب مؤرخ، صاحب التصانيف الماتعة، له زهاء مئتي مصنف. الدرر الكامنة ٢/ ٨٧، الأعلام ٢/ ٣١٥.

(٧) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ١/ ١٣. وهكذا ورد اسمه في المطبوع، =

هي التي يُبنى البيت من أوَّله إلى آخره عليها، فإذا خُتمَ البيت نزلت في مكانها متمكِّنَةً قد رَسَخَتْ في قرارها، بخلاف القافية القَلِقَةِ التي اجتُلِبَتْ لتمام الوزن، ومتى غُيِّرت القافية المتكنة بغيرها جاءت نَافِرَة عن الطِّبَاع، وزُعِم[1] أنَّ بعض الشُّعَرَاء غَيَّر قوافي لامِيَّة الطُّغْرَائِي من اللام إلى حرف العين، وهذا عندي يتعذر؛ لأنَّ ألفاظ هذه القصيدةِ في غاية الفصاحة، وقوافيها في غاية التَّمكُّن».

وقد ذكر أبو العلاء في «رسالة الغُفْرَان» أن خَلَفاً الأحمر[2] أَنْشِدَ بمجلِسِه قولُ النَّمْرِ بن تَوْلَب[3]:

أَلَمَّ بِصُحْبَتِي وهمُ هُجُوعٌ ... خَيَالٌ طَارِقٌ من أُمِّ حِصْنِ
لها ما تشتهي عسلاً مُصَفًّى ... إذا شاءت وحُوَّارَى بِسَمْنِ

فقال لهم خلف: لو قال النَّمِر في موضع أمِّ حصن: أمُّ حفص، ما كان يقول في البيت الثاني؟ فسكتوا، فقال خلف: «وحُوَّارَى بلَمْصِ» يعني: الفالوذج. ثم إن المعَرِّي أخذ يفرض أن تُغَيَّر قافية البيتين على جميع حروف المعجم، على تقدير تغيير كنية «أم حصن» بحرفٍ[4] غير النون، فكانت القوافي متفاوتةً في اقتضاء البيت إيَّاها[5].

= لكنه ورد في كشف الظنون ٢/ ١٥٣٧، ومفتاح السعادة، لطاش كبرى زادة ١/ ٢٢٤ باسم: الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم.

(١) «ج»: (وزعم بعضهم).

(٢) خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر (٠٠٠ ـ ١٨٠هـ)، راوية، شاعر، عالم بالأدب، من أهل البصرة، وهو معلم الأصمعي، واتهم بوضع الشعر ونسبته إلى العرب. معجم الأدباء ٣/ ١٢٥٤، الأعلام ٢/ ٣١٠.

(٣) ديوانه ص١٣٢. وهو النَّمِر بن تولب بن زهير بن أُقَيْش العكلي (٠٠٠ ـ نحو ١٤هـ)، شاعر مخضرم، من المعمَّرين، وقد قيل: إنه صحابي، ورده ابن حزم. الإصابة، لابن حجر ٦/ ٣٧١، الشعر والشعراء ١/ ٢٩٩، الأعلام ٨/ ٤٨.

(٤) هكذا في «ج»، وفي الأصل: (حرف).

(٥) ص١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، رسالة الغفران، طبع أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣٢١هـ. (المؤلف). =

وقوله: **(حتى لا منافرة بينهما)**.

أي: بين المعنى ولفظِه وبين القافية، فجعل المؤلف اللفظ والمعنى كشيءٍ واحد بالنسبة لِشِدَّة اقتضائهما للقافية، وبذلك قال: «بينهما»، ولم يقل: «بينها»، وهذه المُنَافَرَةُ **كقول أبي عَدِيٍّ القُرَشِيِّ في قصيدةٍ داليَّة:**

ووُقِيتَ الحُتُوفَ من وارثٍ وا لِ وأبقاك سَالماً رَبُّ هُودِ[(١)]

فليس لـ«هود» مناسبة بالمعنى، ولكنه اجتُلِبَ لأجل الرَّوِيِّ، فهو قافيةٌ مغتَصَبة، وأعلى اقتضاء البيت للقافية، أن تكون القافية كالموعود به المنتظر. كما سيأتي في كلام المؤلف.

(فهذه سبعةُ أبوابٍ هي عَمُود الشعر).

سمَّاها أبواباً؛ لأن كل واحد منها يُعتَبرُ عنوانَ بابٍ من أبواب فن النقد، لو شاء أحدٌ تبويبَه، وقد علمت بعض ذلك.

و**(العمود)** عُودٌ عظيمٌ يُركَزُ في الأرض، تُقَامُ عليه القُبَّةُ أو الخيمة وتُشَدُّ بأعلاها، وينشر من مَنَاطِ رَبْطِهِ أديمُ القُبَّةِ أو ثوبُ الخيمة، إلى أن تُشَدَّ في الأرض بالأوتاد على شكْلِ قُبَّةٍ أو هَرَم، فما به قِوَام الشعر فهو كالعمود للبيت، وقد وقعت هذه العبارة للحسن الآمدي في «الموازنة» وساق في كلامه ما مُحَصَّلُه: «إن عمود الشعر هو الأسلوب الذي سلكه فحول الشعراء، من عهد الجاهلية وما بعدها في بلاغة الكلام، وإحسان المعاني، والبعد عن التكلُّف، وتجنبِ اسْتِكْرَاهِ الألفاظ والمعاني»[(٢)]. وذَكَر عن البُحْتُرِيِّ أنه سُئِل عن طريقته وطريقةِ أبي تمام، قال البحتري: «أنا أَقْوَمُ بعَمُودِ الشعر، وأبو تمام كان أغوصَ على المعاني»[(٣)]. فبيَّن أنه

= **قلت**: وفي طبعة دار المعارف ص١٥٤ ـ ١٦٤. وقصة خلف مع بيتي النمر في: أمالي القالي ١/١٥٧، سمط اللآلي ١/٤١٥.

(١) نقد النثر ص٢٢٥، الموشح ص٣٧٠، الصناعتين ص٤٥١.

(٢) الموازنة ١/٤ بتصرف. **وينظر**: الوساطة ص٣٣.

(٣) الموازنة ١/١٢.

امتاز عن أبي تمام بإجادة الناحية اللفظية من شرائط الإجادة، وأن أبا تمام امتاز بالناحية المعنويَّة. فتحَصَّل أن عمود الشعر: هو مجموع شرائط الإجادة اللفظية والمعنوية، وهو الذي اعتمده المؤلف.

(ولكلِّ بَابٍ منها مِعْيَار).

(المعيار) اسمُ آلةٍ للتَّعيير، والتعيير: تحقيق الوزن أو الكيل على ميزان أو مكيال محقَّقِ المقدار، مضبوطٍ لا زيادة فيه ولا نقصان عن المقدار الذي يُستعمَل له، يُقال: «عَيَّرَ الدِّينَارَ» إذا وَزَنَهُ بدينارٍ مُحَقَّقِ الوزن، و«عَيَّرَ المِكْيَال» كذلك، ويقال لما به الكيل أو الوزن: مِعْيَار وعِيَارٌ أيضاً، كما سيجيءُ في عبارة المؤلف. ومعنى كلامه: أن لكلِّ بابٍ منها ضوابطَ ورسوماً بها يكون الشعرُ حسناً مقبولاً، ومميَّزاً عن القبيح المردود عند أهل النقد، مع بيان ما به إدراكُ تمييز الحَسَن من السَّيِّئ، وهذا المعيار هو كقولِ علماء المعاني: «إن تمييزَ الفصيح من غير الفصيحِ بعضُهُ يَبِينُ في علم اللغة أو التصريف، وبعضُهُ يُدْرَكُ بالحِسِّ»، فظهر أن المِعْيار مجموعُ الشُّروطِ وطريقُ إدراكها.

(فعِيَارُ المعنى أن يُعرض على العقل الصَّحيحِ، والفَهْمِ الثَّاقبِ).

أي: ضابطُ المعنى المشروط ـ فيما تقدم ـ بالشَّرف والصحة، يعني: أن الوسيلةَ لتحصيل مَلَكَةِ الحُكْم في استيفاء المعنى ما شرط فيه، هي أن يُعرض المعنى على **(العقل الصحيح)** أي: الفكر المستقيم.

و**(الفهم الثاقب)** وهو الفهم الذي لا تخفى عليه دقائق المعاني، ولا تلتبسُ عليه الحقائقُ المتقارِبة، شُبِّهَ بآلةِ الثَّقْب إذ تخترق الأجسام الصُّلْبة، وهو يغوص إلى الحقائق التي يعسُر فَهْمُهَا على غالب الأذهان، ومرادُهُ عقلَ الشاعرِ وفهمَهُ، وهو المقصود، ومثله الكاتب، وكذلك عَقْلُ السامع الذي هو من أهل الذَّوْقِ والنقد والاختيار.

۞ **(فإذا انعطف عليه جَنْبَتَا القَبُولِ والاصطفاء، مستأنِسَاً بقرائنِهِ، خرج وافياً، وإلا انتقص بمقدار شَوْبِهِ ووحْشَتِهِ).**

قوله: **(فإذا انعطف عليه)** تفريعٌ على أن يُعرَض على العقل الصحيح؛ أي: فإذا انعطف عليه جَنْبَتَا قبول العقل الصحيح والفهم الثاقب إياه واصطفاءه له خرج وافياً... إلخ.

وأراد بهذا إعادة التنبيه على أن المعنى لَمَّا كان غيرَ مستغنٍ عن كلام يقع فيه، فجَوْدَةُ المعنى مُفْتَقِرَةٌ إلى جَوْدَةِ الكلام الذي يدل عليه، واستعار الانعطاف الذي حقيقته المَيْلُ والمحبة، إلى معنى الرضا به والموافقة؛ أي: فإذا صَادفَ المعنى من نَفْسِ عقل الشاعر صاحبِ الذوق المَكِين وفهمه قبولاً ورضاً، فذلك المعنى وافٍ بشرط الكمال لنوعه، وهو الصحة والشرف.

و**(الجنبتان)** تَثْنِيَةُ جَنْبَة بسكون النون وفتحها، وهي الجانب؛ أي: إذا وافقه جانبا القبول والاصطفاء. ووقع في نسخة الأستانة: «جُبَّتَا القبول» تثنية جُبَّة، وهي ثَوبٌ له جيب، وكان يُلْبَسُ فوق الثياب الداخليَّةِ. ونسخةُ «جَنْبَتَا» أولى، وهي مُماثِلةٌ لقول أبي العباس المبرِّد في أول بابٍ من «الكامل» في اللَّفظ الغريب إذ قال: «فإذا انعطفت عليه جَنْبَتَا القبول، غَطَّتَا على عُواره..[1]» إلخ. وإضافة «جَنْبَتَا» أو «جُبَّتَا» إلى القَبُولِ والاصطفاء، إضافةٌ بَيَانِيَّةٌ؛ لأن المضافَ عينُ المضافِ إليه، واستعارة «جَنْبَتَا» للقبول والاصطفاء؛ لأن القبول والاصطفاء أشبها جانِبَيْنِ يحيطان بالمعنى ويحضُنَانِه، واستعارة «جُبَّتا» لهما؛ لأنهما أشبها ما يكتسي به المعنى بَهجةً.

وقد أشار بـ**(القَبُول)** إلى صحة المعنى؛ لأن المعنى لا يُقبَل إلا إذا

(١) انظر ص١٧، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨هـ. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور محمد الدالي ١/ ٤٠.

كان صحيحاً، وكَنَّى بـ(**الاصطفاء**) عن شرف المعنى؛ لأنه إذا جاء شريفاً كان مرضِيّاً في نفس المختَرِع فيما يقول، والسامع فيما يسمع، والناقد فيما يختار.

وقوله: (**مستأنِساً**) بكسر النون حال من ضمير «عليه»، ويجوز فتح النون أيضاً على معنى أن قائله اصطفاه وقَبِلَهُ واستَأْنَسَ بما معه. والاستئناس: التَّأَنُّس وهو ضد الوحشة، وكَنَى به هنا عن المماثلة؛ لأن المماثلة تستلزم التَّأَنُّسَ بالمِثْل، إذ الشيءُ يألَفُ مثيلَه، فالمراد المماثلة في الصفة بين المعنى المقبول المصطفى، وبين ما يقترِنُ به من المعاني، حتى يكونَ الكلامُ كلُّه مُفْرَغَاً في قَالَبٍ واحد من الكمال، ولا يكون بعضُ معانيه مقبولاً وبعضُها مكروهاً، وذلك ما سمَّاهُ رُؤْبَةُ بـ«القِرَان» كما سيأتي.

و(**القرائن**) جمع قرينة، من الاقتران وهو الاجتماع، وأَنَّثَ القرائن على تأويله بالكلمات، وبمقدار ما يقتَرِنُ بالمعاني المُرْتَضَاةِ من مَعَانٍ مكرُوهة، يَنقُص الكلام نقصاً قليلاً أو كثيراً ويُوحِشُ السامعَ والناقد.

۞ (**وعِيَارُ اللفظِ الطبعُ والرِّواية والاستعمال**).

يعني: اللفظَ الذي وصفه آنفاً بالجزالة والاستقامة؛ أي: وسيلةُ اختبارٍ تُحَقِّقُ ذَيْنِكَ الوَصْفَيْنِ، فيه ثلاثةُ أشياء:

الأول: الطَّبْع، وهو طبعُ البليغِ وذَوْقُه ودُرْبَتُهُ الحاصلةُ من كثرة مزاولةِ الكلام الفصيح، ومعرفةُ دَقَائِقِ الاستعمال العَرَبِيِّ حتى تحصُل له من ذلك مَلَكَةٌ يُمَيِّزُ بها اللفظَ المقبولَ والمستحسن، واللفظ المجفُوَّ المستنكَر، فينتقي ما يُستحسن ويَنبِذُ ما يُسْتَكْرَه.

والثاني: الرواية، وهي رِوايةُ ذلك اللفظ فيما يُروَى عن العرب وأئمة الاستقراء، ليعلم بذلك مواقعه من الكلام الفصيح، فيتضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه.

والثالث: الاستعمال، ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز، ويظهر العام والخاص مثلاً.

(فما سلمَ مِمَّا يُهَجِّنُهُ عند العَرَضِ عليها فهو المختار المستقيم).

قال الجاحظ في «البيان»: «ومتى شاكَلَ اللَّفظُ معنَاه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وَفْقاً، ولذلك القدر لِفْقاً[1]، وخرج من سَمَاجةِ الاستكراه، وسلم من فساد التكلُّف، كان قمِيناً بحسن الموقع، وبانتفاع المستَمِع»[2].

و**(الهُجْنَة)**: العَيْبُ في الكلام.

(وهذا في مفرداته وجُمَله مراعىً؛ لأن اللفظةَ تُستَكْرَهُ بانفرادها، فإذا ضَامَّهَا ما لا يوافِقُها عادت الجملَةُ هَجِينًا).

ومعنى كلامه: أن اللفظة قد تكون مستكرَهَةً في حَدِّ ذاتِها، وقد تكون حَسَنةً، فإذا ضُمَّتْ إليها لفظةٌ أخرى لا تُوافِقها، صارتا معاً مستَكْرَهَتَيْنِ، ومعلومٌ أنه إذا ضُمَّتِ المستكرَهة إلى المستكرهة قوي الاستكراه، فلم يحتج المؤلف إلى التنبيه على هذه الصورة، ولعَلَّ في العبارة حذفاً.

قال عبدُ القاهر[3]: «إنك ترى الكلمةَ تروقُكَ في موضع، ثم تراها بعينها تَثْقُلُ عليك وتُوحِشُكَ في موضعٍ آخر، كلفظ «الأَخْدَع» **في بيت الحماسة**[4]:

---

(١) اللِّفْق: بكسر اللام وسكون الفاء، شقة من ثوب تضم إلى أخرى، يقال: لفَق الثوبَ يلفِق من باب ضرب إذا شقه إلى أخرى فخاطهما. فاللفق بكسر اللام، زِنَة فِعْل بمعنى مفعول مثل ذِبْح بكسر الذال. (المؤلف).

(٢) ص٢٠، جزء٢، المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ عبد السلام هارون ٢/ ٧، ٨.

(٣) ص٣٧، دلائل الإعجاز، طبع المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٤٦، ٤٧.

(٤) البيت للصِّمَّة بن عبد الله القشيري. الحماسة، لأبي تمام ٢/ ٣.

تَلَفَّتُ نَحْوَ الحَيِّ حتى رأيتُني وجِعْتُ من الإصْغَاءِ لِيتاً وأَخْدَعَا[١]

فإن لها ما لا يخفى من الحُسْن، ثم إنك تتأمَّلُها في بيت أبي تمام[٢]:

يا دهرُ قَوِّمْ من أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هذا الأنامَ مِنْ خُرُقِكْ

فتجد لها من الثِّقَل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعافَ ما وجدتَ لها هناك من الرَّوْحِ والخِفَّة». اهـ. ولم يبيِّنِ الشيخُ سببَ ثِقَل هذه اللفظة في موضع، وحسنها في الآخر؛ لأنه أحاله على الذَّوْق، وزعم ابنُ الأثير في «المثل السائر»[٣] أن سبب ذلك هو إفراد «الأخدع» في بيت الحماسة، وتثنيته في بيت أبي تمام، وهو وهمٌ من ابن الأثير، والحق أن سبب حُسْنِهَا في بيت الحماسة، مجيئها مستدعاةً للكلام الذي قبلها، حيث كان ذِكْرُ وَجَعِ اللِّيتِ، يستدعي وَجَعَ ما حوله وهو «الأخدع»، فكان لفظُ «الأخدع» فيه رشيقاً، وهو في بيت أبي تمام مغصوبٌ للقافية، إذ لا مناسَبَة في استعارة «الأخدع» للدهر في هذا المقام؛ إذ ليس في أحوال الدهر ما يكون الأخدع رديفاً له، كما يُؤخَذ من كلام الآمِدِيِّ في كتاب «الموازنة»[٤].

(وعيار الإصابة في الوصف الذكاءُ وحسنُ التمييز، فما وجَدَاه صادقاً في العُلُوق ممازجاً في اللُّصوق، يتعسَّر الخروج عنه والتبرُّؤ منه فذلك سِيما الإصابة فيه).

أي: أن الذكاء وحسن التمييز، يُدرَك بهما الوصف المصيب في العلوق، أي في تعلُّقِه بالغرض الموصوف المشخص، منطبقاً عليه ممازجاً له، لا تقصير فيه.

---

(١) الليت والأخدع: عِرقان.

(٢) ديوانه ٢/ ٤٠٥.

(٣) ١/ ٤٢١.

(٤) ص١٠٥ ـ ١٠٧، طبع الجوايب. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار المعارف ١/ ٢٧١.

و(**السيما**) بالقصر العلامة، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩].

(ويُروى عن عمرَ رضي الله عنه أنه قال في زهير: «كان لا يمدح الرجلَ إلا بما يكون للرجال[١]»).

أراد الاحتجاج بكلمة صدرت من أحد أهل الذوق العربي بالسليقة، وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه قدَّم زهير بن أبي سُلْمى على غيره من الشعراء بثلاثة أمورٍ سيجيءُ ذكر الأول والثاني منهما في كلام المؤلف، وثالثهما ما هنا وهو أنه لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال، وفي رواية: إلا بما فيه. وما اقتصر عليه المؤلفُ أظهرُ في الغرض، يعني: أنه يصيب المِحَزَّ من وصف المعنى، فإذا مدح مدحه بصفات الكمال في الرجال، **كقوله** في معلَّقته يخاطب هَرِم بن سنان[٢]، والحارثَ بن عوف[٣]:

تَدَاركْتُمَا عَبْساً وذُبْيَانَ بعد ما ... تفَانَوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ[٤]

عظيمَيْنِ في عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا ... ومن يستبحْ كنزاً من المجدِ يعظُمِ[٥]

فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة، وهو أفضلُ من **قول النابغة**[٦]:

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيّون بالرّيحَان يوم السَّبَاسِبِ[٧]

---

(١) **ينظر**: نقد الشعر ص٦٤.

(٢) هرم بن سنان بن أبي حارثة المري (٠٠٠ ـ نحو ١٥ق هـ)، من أجواد العرب في الجاهلية، يضرب به المثل، مدحه زهير هو والحارث بن عوف بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان، وتحملهما ثلاثة آلاف بعير. الأغاني ١٠/ ٢٩١، الأعلام ٨/ ٨٢.

(٣) ديوانه ص٢٠، ٢١. والحارث هو ابن عوف بن أبي حارثة المري، من فرسان الجاهلية، أدرك الإسلام وأسلم. الأغاني ١٠/ ٢٩١، الأعلام ٢/ ١٥٧.

(٤) دقوا: أظهروا. ومنشم: قال أبو عبيدة: اسم وضع لشدة الأمر، وليس ثمَّ امرأة.

(٥) عُليا معد: أعلاها. ومن يستبح: يجده ممكناً مباحاً.

(٦) ديوانه ص٣٢.

(٧) رقاق النعال: كناية عن غناهم. والحُجُزات: جمع حُجْزَة وهي معقد اللباس.

ولما مدح عبيدُ الله بن قيس الرُّقيَّات[١] عبدَ الملك بن مروان[٢] بقوله:

يأتَلِقُ التاجُ فوق مَفْرِقِهِ   على جَبِينٍ كأنَّهُ الذَّهَبُ[٣]

عَتَبَ عليه عبد الملك وقال: إنك قلت في مصعب بن الزبير:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ   ـه تجلَّتْ عن وجهِهِ الظَّلْماءُ[٤]

وإنما أنكر عليه من أجل أنه عدل به عن بعض الفضائل النفسيَّة، إلى ما هو من صفات الجسم في البهاء والزينة[٥]، فكان كالذي ينسُب بمحاسن الحسناء.

واعلم أن هذا الأصلَ يختلف باختلاف العوائد، واختلاف أغراض الناس، من عنايةٍ بالفضائل النفسيَّة، أو المحاسن[٦] الجسمية، أو كليهما، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وكذلك اختلاف أحوال الحضارة[٧] والبداوة، وانظر **قول جعفر ابن عُلْبَة**[٨]:

(١) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك (٠٠٠ ـ نحو ٨٥هـ)، شاعر قريش من العصر الأموي، أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر، ولقب بابن قيس الرقيات؛ لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. الأغاني ٥/ ٧٣، الأعلام ٤/ ١٩٦.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد ص٢٦ ـ ٨٦. قال الذهبي: كان من رجال الدهر ودهاة الرجال، وكان الحجاج من ذنوبه. استعمله معاوية رضي الله عنه على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٦، الأعلام ٤/ ١٦٥.

(٣) ديوانه ص٥.

(٤) ديوانه ص٩١.

(٥) نقد الشعر ص١٨٩.

(٦) «ج»: (المزايا).

(٧) «ج»: (المدنية).

(٨) كذا قال المؤلف. والبيتان من قصيدة نسبها في الحماسة إلى سعد بن ناشب. الحماسة ١/ ٧٠ بتحقيق الدكتور عبد الله عسيلان، **وانظر** تخريج المحقق. وجعفر هو ابن علبة بن ربيعة الحارثي، أبو عارم (٠٠٠ ـ ١٤٥هـ) شاعر غزل مقل، من مخضرمي =

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ ... ونَكَّبَ عن ذِكْرِ العَواقِبِ جَانِبَا
ولم يستَشِرْ في أمره غيرَ نفسِهِ ... ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا[(١)]

تجد ما افتخر به جارياً على خُلُق الأبطال وأحوال أهل الشطارة، ولو سمعه الحكيم لعَدَّه تهوُّراً وغروراً.

ومما يدخل في عكس ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نقل **قولَ أبي الطيِّب**[(٢)] في شدَّة تعلُّقه بسيف الدولة[(٣)]:

أغار من السُّلافةِ وهي تجري ... على شفة الأمير أبي الحُسَينِ[(٤)]

لأنه أتى بمعنى لا يليق بمثله مع مثل الأمير، وإنما هو من المعاني التي تُناسِبُ أحوال المقيمين.

(فتأمل هذا[(٥)] **فإن تفسيرَه ما ذكرناه).**

أمر بالتأمل لظهور أن عمر رضي الله عنه لا يريد بما يكون للرجال، الاحترازَ عن صفات النساء؛ لأن ذلك لو وقع لكان غلطاً، ولا يريد أيضاً أن يكون ما يمدح به ليس بمدح، ولكنه أراد أن يمدح بما هو كمال حق.

= الدولتين الأموية والعباسية، وهو من شعراء الحماسة. شرح التبريزي على الحماسة ١/ ٩، الأعلام ٢/ ١٢٥.

(١) قال ابن عبد البر: «لا أعلم أحداً رضي الاستبداد وحمده إلا مفتون أو فاتك، كقول...»، وذكر البيتين. بهجة المجالس ١/ ٤٥٧.

(٢) ديوانه ٤/ ١٩٣. قال الواحدي: «وقد أساء أبو الطيب؛ لأن الأمراء لا يُغار على شفاههم، ويقول من يعذره: إنما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس لأنهما للأمر والنهي والألفاظ الحسنة، ويجوز أن الزجاجة نالت ما لم ينله أحد». شرح الواحدي ص١٣٦. وقال العكبَري: «هذا من الغيرة الباردة التي لا معنى لها». التبيان في شرح الديوان المنسوب للعكبَري ٤/ ١٩٣.

(٣) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، سيف الدولة (٣٠٣ ـ ٣٥٦هـ)، الأمير المجاهد، صاحب المتنبي وممدوحه، يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر. سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٨٧، الأعلام ٤/ ٣٠٣.

(٤) السُّلافة: الخمر.

(٥) «س»: (هذا الكلام).

وقوله: **(فإن تفسيرَه ما ذكرناه)** أي: هو جزئي من جزئيَّات قاعدة إصابة الوصف؛ أي: توصيف المعاني المقصودة، فإن المديح نوعٌ من أغراض الكلام ومعانيه، فأراد بالتفسير التمثيل.

۞ **(وعيار المقاربة في التشبيه الفطنةُ وحسنُ التقدير، فأصدقُه ما لا ينتقضُ عند العكس).**

لأن الفطنة هي التي تُرشد إلى مشابهة شيءٍ لشيءٍ أو أشياء، وأما حسن التقدير فهو الذي يختار الشاعر بواسطته أشبهَ الأشياء بالمشبَّه به في الصفات المقصودة. ومعنى أصدق التشبيه أنه الأشد مطابقةً لما في نفس الأمر، بحيث لو عُكِس التشبيه فجُعِل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً، وهو التشبيه المقلوب؛ لأنه يتأتَّى عن شدة المشابهة، **كقول المتنبي**[(١)]:

وقَابَلَني رُمَّانَتَا غُصنِ بانَةٍ ... يميل به بَدْرٌ ويُمْسِكُهُ حِقْفُ[(٢)]

فشبَّهَ الثَّدْيَيْنِ برُمَّانَتَيْنِ. **وقال الآخر**[(٣)]:

ورمَّانةٌ شبَّهْتُهَا إذ رأيتُها ... بثَدْيِ كعاب أو بحُقَّةِ مَرْمَرِ

۞ **(وأحسنه ما أُوقِعَ بين شيئين اشتراكُهُما في الصفات أكثر من انفرادهما).**

هذه الكلمة لقُدَامة في كتاب «نقد الشعر»[(٤)].

۞ **(ليَبِينَ وجهُ التشبيه بلا كُلْفَة، إلا أن يكون المطلوبُ من التشبيه أشهرَ صفات المشبه به، وأملكَها له؛ لأنه حينئذٍ يدلُّ على نفسهِ، ويحميه من الغموض والالتباس).**

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٨٤.

(٢) الحقف: ما اعوج من الرمل، ويريد به الرِّدْف.

(٣) أبو نصر سعيد بن الشاه. محاضرات الأدباء ١/ ٣٨٤، وفي تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٢٤: أنه لأبي نواس، ولم أجده في ديوانه.

(٤) ص٣٢، طبع الجوايب بالأستانة. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة مكتبة الخانجي ص١٠٩.

أي: أحسن التشبيه ما كان وجهُ الشبه فيه ظاهراً حتى لا يُحتَاج إلى ذكره، فإن كان خفيّاً كان من المناسب التصريحُ به، **كقول المَعَرِّي** في التشبيه المفرَد[١]:

رُبَّ ليلٍ كأَنَّهُ الصُّبْحُ في الحُسْـ (م) ـنِ وإن كان أسودَ الطَّيْلَسَانِ[٢]

وقولِ النابغةِ في التشبيه المُركَّب[٣]:

فإنك كاللَّيلِ الذي هو مُدْرِكِي وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنكَ وَاسِعُ[٤]

(وقد قيل: أقسام الشعر ثلاثة: مثلٌ سائر، وتشبيهٌ نادر، واستعارةٌ قريبة[٥]).

لم يعزُ هذا القول إلى معيَّن؛ لأنه رآه كلاماً مقبولاً لا مِرْيَةَ في صحته، على حَدِّ قولهم: «انظر إلى ما قال، لا إلى من قال»، وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة، وهو حَصْرٌ مقصودٌ به المبالغة، تنويهاً بهذه الثلاثة كما لا يخفى.

والمراد بـ**(التشبيه النادر)** هو الذي لا يهتدي إليه عَامَّةُ النَّاس، فالآتي به يَدُلَّ على حُسنِ فِطنته وتخيُّلِه.

قال في «أسرار البلاغة»[٦]: «والمعنى الجامع في سبب الغرابة، أن يكون الشبه[٧] المقصود من الشيء مما لا ينزِع[٨] إليه الخاطر، ولا يقع في الوهْم عند بداهة[٩] النظر إلى نظيره الذي يُشبَّهُ به، بل بعد تثبُّتٍ

---

(١) ديوانه: سقط الزند ١/٤٢٦.

(٢) الطيلسان: كساءٌ يلبس عند البرد.

(٣) ديوانه ص٥٦.

(٤) خلت: حسبت. والمنتأى: البعد.

(٥) **ينظر**: العمدة ١/١٩٧.

(٦) ص١٢٥، طبع المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص١٥٧.

(٧) هكذا في طبعتي شاكر والمنار من الأسرار، وفي الأصل: (التشبيه).

(٨) كذا في طبعة المنار من الأسرار، وفي طبعة شاكر: (مما لا **يتسرَّع** إليه..).

(٩) في طبعتي الأسرار: (بديهة).

وتذكُّرٍ وفِكْرٍ للنفس عن الصور التي تعرفها، وتحريكِ الوهم في استعراض ذلك». وقال[١]: ومما يزيد به التشبيه دِقَّةً وسِحْراً، أن يجيء في الهيئات التي[٢] عليها الحركاتُ، كقول الوزير المُهَلَّبي[٣]:

الشمس من مَشْرِقِهَا قد بَدَتْ مشرِقَةً ليس لها حَاجِبُ
كأنَّها بُوْتَقَةٌ[٤] أُحمِيَتْ يجولُ فيها ذَهَبٌ ذَائِبُ

وقول المؤلف: **(واستعارةٌ قريبة)** كذا في سائر النسخ بالقاف. قال ابن رشيق[٥]: «إنما يستحسنون الاستعارةَ القريبة، وعلىٰ ذلك مضَى جِلَّةُ العلماء، وإذا استُعِير للشيء ما يقرُبُ منه ويليق به، كان أَوْلَى مما ليس منه في شيء، ولو كان البعيدُ أحسنَ استعارةً من القريب، لَمَا استَهْجَنُوا **قولَ أبي نُوَاس**[٦]:

بَحَّ صوتُ المالِ مِمَّا منكَ يشكو ويَصيح

فأيُّ شيءٍ أبعدُ من صوت المال؟ فكيف حتى يَبَحّ من الشكوى والصّياح».اهـ. أي: نفس إثبات الصوت للمال بعيدٌ جداً، وإثبات البَحَّةِ لصوت المال أبعد. وحاصلُ مرادِهِم أن يكون وجهُ الشبهِ الذي بُنِيَتْ عليه الاستعارةُ واضحاً، وأن تكون إرادة الاستعارة واضحةً، حتى لا يُحتاج إلى القرينة، أو إلى تَقْوِيَةِ القرينة.

---

(١) ص١٤٥، طبع المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص١٨٠، ١٨١ بتصرفٍ من المؤلف.

(٢) في أسرار البلاغة طبعتي المنار ومحمود شاكر: (التي **تقع** عليها الحركات).

(٣) الحسن بن محمد بن عبد الله، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو محمد (٢٩١ ـ ٣٥٢هـ)، من كبار الوزراء والشعراء، وكان من رجال العالم حزماً ودهاءً، وشعره رقيق. معجم الأدباء ٣/٩٧٦، الأعلام ٢/٢١٣.

(٤) البوتقة: ما يذيب الصائغ فيه الذهب والفضة. **وينظر**: التكملة، للجواليقي ص٨٨٢، تصحيح التصحيف ص١٧٤.

(٥) ص١٨١ من العمدة، مطبعة أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣٤٦هـ. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الدكتور النبوي ١/٤٣٦.

(٦) ديوانه ص٤٣٤.

۞ (وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن، الطبعُ واللسانُ).

أراد بـ (**الطبع**) طبع الممارس للأدب، كما قدَّمناه في شرح قوله: «اتَّسَعَ مجالُ الطَّبْعِ». وبـ (**اللسان**) لسان الممارس كذلك، وقد فَصَّله بقوله:

۞ (فمَا لم يتعثَّرِ الطَّبْعُ بأبِيِّهِ[1] وعُقُودِه، ولم يَتَحبَّس اللِّسانُ في فُصُوله ووصوله، بل استمرّا فيه واسْتَسْهَلاه بلا مَلَالٍ ولا كَلَالٍ، فذلك يُوشِكُ أن تكون القصيدةُ منه كالبيتِ، والبيتُ كالكلمة تشابُهاً[2] لأجزائِهِ وتقارُنَا).

(**التعثر**) اضطرابُ الرجل في المشي من تعرُّض شيءٍ في الأرض.

وأراد بـ(**الأبي**) الكلامَ المتكلَّفَ المستكرَه، كما تقدم في تفسير قولِه: «من الأبي المستنكر». وفي إحدى نسختي تونس، ونسخة الأستانة: «بأُبَنه» وضُبِطَ بضمة على الهمزة وفتحة على الباء، فهو اسم جمع أُبْنَة، وهي العُقْدة تكون في العود فتتعرَّضُ لكَفِّ المثقِّف، فتضطرب اليد اضطراباً يُشبِهُ العِثَار، وهذا أنسب بقوله: «يتعثر».

و(**العقود**) جمع عَقْد بمعنى: المعقود، وأكثر ما يُطلق هذا الجمع على عقود البناء، دون عُقَد الخشب.

و(**التحبُّس**) انحباس النفس على شيء؛ أي امتناعُها من تجاوزه، يقال: تحبَّسَ على كذا، ولَمَّا كان ذلك يقتضي المكان عَدَّاه المؤلفُ بحرف الظرفية.

ثم إن أراد بـ(**الفصول والوصول**) المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني، المتقدمِ في تفسير قوله: «تناسُبَ الفصول والوصول»، تعيَّن أن يكون المُرادُ بـ«تحبُّس» اللسان في ذلك، أن يثقل عليه ما اختَلَّ من ربط

---

(١) «س»: (بأبنِيَتِه).

(٢) «س»: (تسالُماً).

الجُمَلِ بعضِهَا مع بعض، حتى خرجَ عن مُعْتَادِ أهل الاستعمال، فيعطف الجملةَ حيث اعتِيدَ فصلُها، ويفصِلُها حيث اعتِيدَ وصلُهَا. وفي إطلاق «التحبُّس» على هذا تكَلُّفٌ. ويجوز أن يكون أراد بـ«الفصول والوصول» المعنى اللُّغوي؛ فالوصول: اتصال أبيات القصيدة بعضِها ببعض، في تناسب معاني الأبيات. والفصول: فصول معاني البيت الواحد، وهذا أنسَبُ بقولِه: «بل استمرا فيه واستسهلاه...» إلخ.

۞ **(وألا يكون كما قيل فيه[1]:**

وشعرٍ كبَعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بينَهُ ... لِسَانُ دَعِيٍّ في القَرِيضِ دَخِيلِ

وكما قال خلف:

وبعضُ قريضِ الشعرِ أولادُ عَلَّةٍ ... يكُدُّ لسانَ الناطق المتحفِّظِ

وكما قال رُؤْبَةُ لابنه عُقْبَة، وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال:

قد قلتَ لو كان له قِرَانُ)

في إحدى نسختي تونس ضُبِطَ بفتحةٍ على نُونِ يكون **(ألا يكونَ...)** فتعيَّن أن تكون همزةُ ألا مفتوحة، وهي «أن» المصدريَّة أُدغِمت في «لا» النافية، وهو عطفٌ على قوله: «أن يكون»: من قوله: «يوشك أن يكون»، وأما ضبطُه بهمزةٍ في أسفل الألف، فيقتضي أن يُجزم بـ«يكن»، والمعنى: أن يشبِّه بَعَرَ الكَبْشِ في التَّفَرُّقِ، كما أومأ إليه بقوله: **(فرق بينه...)** إلخ. والغرضُ من هذا التشبيه، التنفيرُ من المشبَّه.

وهذا البيتُ نسبه الجاحظُ في «البيان» لأبي البيداء الرِّياحي[2]، واسم أبي البيداء: أسعد، ترجمه ياقوت في «معجم الأدباء»[3].

و**(يكُدُّ)** في بيت خلف بالدال المهملة، والكَدُّ شِدَّةُ الطلب، وفِعْلُ

---

(١) سينسبه المؤلف فيما يأتي.

(٢) البيان والتبيين ١/ ٦٦.

(٣) قال ياقوت: أبو البيداء الرياحي: أسعد بن عصمة، أعرابي، نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بالأجرة، وأقام بها أيام عمره يؤخذ عنه العلم. معجم الأدباء ٢/ ٦٣٠.

كَدَّ يكون قاصراً، ويكون متعدِّياً إلى المفعول، وهو الوارد في هذا البيت؛ أي: يجعل لسان الناطق في كد؛ أي: شدة عمل، كنايةً عن الإتعاب.

والمراد بـ(**المتحفظ**) المتحفظ من الخطأ، فهو يكَلِّفُ لسانَه النطق بالبيت على وجه الصواب، يعني: وأما الناطق الذي لا يُبالي بالخطأ، فينطق به كيفما اتَّفَقَ لِلسانِهِ.

و(**العَلَّة**) بفتح العين ضَرَّةُ المرأة، وأولاد العَلَّة الإخوة للأب، وشاع أن يكون بينهم جَفْوةٌ، لأجل جَفَاءِ الأُمَّهات، ويُسْتَعارُ للأشياء المتَقَارِبَةِ غيرِ المتناسبة، كما في هذا البيت. وقد يُستعار باعتبارٍ آخرَ للأمور المتماثِلَة في الجملة، مع اختلافٍ قليلٍ، كما في الحديث: «**الأنبياءُ كأبناءِ عَلَّات أبوهم واحِدٌ وأُمَّهَاتُهُم متعدِّدَة**»[١].

و(**خَلَف**) هو خلف المُلَقَّب بالأحمر، ابن حَيَّان مولى بلال بن أبي بُرْدَة، وهو بصريٌّ علامةٌ في العربية، وكان قريب الأصمعي، وأعلمَ أهلِ عصرِه بالشعر، توفي في حدود الثمانين ومئة[٢].

وكلمة رؤبة[٣] التي قالها لابنه هي من الرَّجَزَ. وفي «البيان» للجاحظ[٤] قال[٥] نوفلُ بن سالم، أو عبيد الله بن سالم لرُؤْبَةَ بن العَجَّاج: «يا أبا الجَحَّاف، مُتْ متى شئتَ، قال: وكيف ذاك؟ قال:

---

(١) أصله في الصحيحين بلفظ: «الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٦٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **ينظر في ترجمته**: معجم الأدباء ٣/ ١٢٥٤، بغية الوعاة ١/ ٥٤٤.

(٣) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي، أبو الجحاف (٠٠٠ ـ ١٤٥هـ)، الراجز الفصيح المشهور، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، لما مات قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. معجم الأدباء ٣/ ١٣١١، الأعلام ٣/ ٣٤.

(٤) ١/ ٦٨؛ **وينظر**: الشعر والشعراء ١/ ٩٠، ٢/ ٥٨٦.

(٥) في البيان، طبعة الأستاذ عبد السلام هارون: قال **أبو نوفل** بن سالم.

رأيت عقبةَ بنَ رؤبةَ يُنْشِدُ رَجزاً أعجبني، قال: إنه يقول: لو كان لقوله قِران»[١].

فالمراد بالقول في (قد قلت) في الخبر الذي حكاه المؤلف، ومعنى «إنه يقول» في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القولُ الحسن المقبول؛ أي: هو يقول الرَّجَز الحسن، ولكنه يأتي بالبيت الحسن، ومعه البيت الذي لا يماثِلُه في الحسن، وهذا كما قال عمر بن لجأٍ لبعض الشعراء[٢]: «أنا أقول البيتَ وأخاه، وأنت تقول البيتَ وابنَ عمِّه».

و(**القِرَان**) المقارنة، وأراد به المماثلة.

۞ (وإنما قلنا: «على تخيُّرٍ من لذيذ الوزن» لأن لذيذَهُ يَطرَبُ الطَّبْعُ لإيقاعِهِ، ويُمَازِجُهُ بصَفَائِهِ، كما يطرَبُ الفهمُ لصواب تركيبِهِ، واعتدالِ نُظُومِهِ. ولذلك قال حسَّان[٣] رضي الله عنه:

تَغَنَّ في كُلِّ شِعْرٍ أنت قَائِلُهُ ... إنَّ الغِنَاءَ لهذا الشِّعْرِ مِضْمَارُ)

ساق بيت حسَّان رضي الله عنه حجة على أن ميزان الشعر من نوع التَّلْحِينِ المُوسِيقِي، فأوزانُ الشعر وضروبُه تتفاضَلُ بمقدار شِدَّةِ تَنَاسُبِ الحركات والسَّكَنات، كما هو شأن الموسيقى، فحسَّانُ يُرشِدُ الشاعرَ إلى اختبار استقامة ميزانه، بأن يُنشِد أبياته بالتَّرَنُّم كالغناء، ليستبين له مُسْتَقِيمُ الوَزنِ، فإنه إذا أنشده فلم يَتَعَثَّرْ لسانُه في تساوي أجزائه، عَلِم استقامتَها، وإلا شَعَر باختلالٍ فأصلحَهُ بمقدار ما تحصُلُ به المُساواة، وذلك أنهم لم تكن عندهم قواعدُ العَرُوض، وإنما كانوا يُدْرِكُون الميزان بالسَّلِيقة.

---

(١) قال ابن قتيبة: أي لا يُقارن البيت بشبهه. الشعر والشعراء ١/ ٩٠.

(٢) عمر بن لجأٍ التيمي من تيم الرِّباب، شاعر معاصر لجرير بن عطية الشاعر وقد تهاجيا، ولعل كلمته هذه قالها لجرير. (المؤلف).
قلت: التصريح بذكر عمر بن لجأ وترجمته، وقع في «ج»، أما في الأصل: (وهذا كما قال بعضهم). وينظر: البيان والتبيين ١/ ٢٠٦، والشعر والشعراء ١/ ٩٠.

(٣) ديوانه ص١٧٧.

و(**المِضْمَار**): المسافةُ التي تحدَّد للسِّباق بين الخيل، والمعنى أن الغناء تظهَرُ به خِصَالُ الشعر، كما تظهر بالْمِضْمَارِ خِصَالُ خَيْلِ الحَلْبة.

۞ **(وعيار الاستعارة الذِّهن والفطنة، ومَلاك الأمر تقريبُ التشبيه في الأصل حتى يتناسبَ المشبَّهُ والمشبَّهُ به، ثم يُكتفى منه بالاسم المستعار؛ لأنه المنقولُ عَمَّا كان له في الوضع إلى المستعار له).**

إدراك حسنِ الاستعارة كإدراك قُرْبِ التشبيه، ولذلك جعل مِلاكَ أمرها قرب التشبيه.

و(**مَلاك الشيء**) بفتح الميم وكسرها، قِوَامه الذي يُملك به؛ أي: ما يُملك به حسن الاستعارة، ويُحَقِّقُ هو تقريبَ التشبيه.

و(**تقريب التشبيه**) تقدم.

وقوله: (**لأنه المنقولُ عمَّا كان له في الوضع...**) إلخ. تعليلٌ لـ(**يُكتفَى منه**) أي: لأنه ادَّعَى أنَّ المشبَّه من أفراد المشبَّهِ به، فنَقَل اسمَ المشبَّه به إلى المشبَّه، وأُطلِقَ عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه؛ لأن الاستعارة مبنِيَّةٌ على تناسي التشبيه.

۞ **(وعيارُ مشاكلةِ اللفظ للمعنى وشدةِ اقتضائهما للقافية، طولُ الدُّرْبَة ودوامُ المدارسة[١]، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض، لا جَفَاءَ في خِلَالِها ولا نُبُوّ، ولا زيادة فيه ولا قصور، وكان اللفظُ مقسوماً على رُتَبِ المعاني، قد جُعِل الأخَصُّ للأخَصِّ والأخَسُّ للأخَسِّ، فهو البريءُ من العيب).**

أحال المؤلف في هذا على طولِ الدُّرْبَةِ ودوامِ المُدَارسَة؛ أي: مدارسةِ أهلِ الفَنِّ في مختلف الشعر من نقدٍ واختيارٍ، وهذا الفنُّ من الحَوَالَةِ على الذَّوْق، وقد قدَّمْنَا بيانه.

---

(١) في الأصل وفي «ج»: (الدراسة)، والمثبت هو الصحيح كما في «س» وكما سيأتي في كلام الشارح.

وقوله: (**لا جفاء**) هو بالجيم في أوله، والجَفَاء: التباعد وعدم الملاءمَة، وهو مقابل قوله: (**بحسن التباس بعضها ببعض**). ووقع في بعض النسخ: «لا خفاء» بالخاء المعجمة من فوق، ولا موقع له في هذا المقام.

و(**الخِلَال**) بكسر الخاء المعجمة: الخَلَّة والود؛ أي: لا تنافُرَ ولا تباعُدَ في تناسُبِ بعضِهَا لبعض.

والمراد بـ(**الأخص**) الكامل، كأنه جُعِل من الخاصة؛ أي: أصحابِ الكمال، ولذلك قابله بالأخس.

۞ **(وأما القافيةُ فيجبُ أن تكون كالموعودِ به المنتظَر، يتشوَّقُها[١] المعنى بحقِّه، واللفظ بقِسْطِه، وإلا كانت قَلِقَةً في مَقَرِّها، مجتَلَبَةً لمُسْتَغْنٍ عنها).**

قوله: (**يتشوقها المعنى بحقه**) أي يقتضيها، فجعل اقتضاء معنى البيت للقافية كالتشوُّق وهو شدة الشوق، وجعل ذلك الشوق مُلابِساً للحق؛ أي: يتشوقها تشوقاً حقّاً، وجعل اللفظَ متشوِّقاً للقافية بقسطِهِ؛ أي: بحظِّه من البيت، فإن للألفاظ حُظُوظاً من المناسَبَةِ كما تقدم، ألا ترى **قولَ أبي الطيِّب**[٢]:

رأيتُكَ في الذين أَرَى مُلُوكاً ... كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ في مُحَالِ

فإنك تجد كلمة (محال) وهي قافية البيت، مغتصبة مجتلبة لأجل الروي، وإلا فإن الاستقامة يقابلها الاعوجاج، بيْد أنه غَفَر له ذلك **قولُه بعده**:

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت مِنهُم ... فإنَّ المِسْكَ بعضُ دَمِ الغَزَالِ[٣]

فجاء بمعنى بديع، وقافية متشوّقة؛ بحيث لا يمكن أن تعوَّض بغيرها.

---

(١) «س»: (يتشوفها)، بالفاء الموحدة.

(٢) ديوانه ٣/ ٢٠.

(٣) ديوانه ٣/ ٢٠.

وقد تقدم بيانُ بقيَّةِ كلام المؤلف في عدّ الأبواب السبعة.

۞ (فهذه الخصالُ عَمُودُ الشِّعْرِ عند العرب، فمن لَزِمَهَا بحقِّها وبَنَى شعره عليها، فهو عندهم المُفْلِق المعظَّم والمحسِنُ المقدَّم، ومن لم يجمعها كلَّها فبقدر سُهْمَتِهِ منها يكون نصيبُه من التقدم والإحسان، وهذا إجماعٌ مأخوذٌ به، ومتَّبَعٌ نهجُه حتى الآن).

قال قُدامة في «نقد الشعر»: «ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصافُ المحمودةُ كلُّها، وخلا من الخِلَالِ المذمومة بأسرها، يُسمَّى شعراً في غاية الجودة، وما يوجد بضِدِّ هذه الحال يُسمَّى شعراً في غاية الرداءة، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل اسماً (كذا)[1] بحَسْب قربِهِ من الجيد أو من الرديء، أو وقوعه في الوَسَط الذي يقال لما كان فيه: صالح أو متوسط أو لا جيِّدٌ ولا رديء»[2].

وقول المرزوقي: (سُهْمته) بضم السين المهملة، جمع سَهْم بمعنى النصيب والحظ؛ أي: بقدر أنصابه من تلك الخِصَال، يكون نصيبه من الإحسان.

۞ (واعلم أن لهذه الخصالِ وسائطَ وأطرافاً، فيها ظهر صدقُ الواصف، وغُلُوُّ الغَالي، واقتصادُ المقتَصِد، وقد اقتَفَرها اختيارُ النَّاقدين).

كلمة (اقتفرها) بتقديم القاف، ثم تاء فوقية ثم فاء، في نسخة الأستانة. يقال: اقتفَرَ الأثَرَ إذا اتَّبَعَه، والمعنى أن الناقدين تتبَّعُوها فاختاروها.

وفي نسختي بتونس: وقعت بتقديم الفاء على التاء ثم قاف، وهو تحريفٌ لا محالة.

---

(١) ارتاب المؤلف كما ترى، وفي نقد الشعر طبعة مكتبة الخانجي: (ينزَّلُ له اسمٌ)، وهذا هو الصحيح.

(٢) نقد الشعر ص١٨، ١٩.

۞ (فمنهم من قال: «أحسنُ الشعر أصدَقُه»، قال: لأن تجويدَ قائلِهِ فيه مع كونِه في إِسَارِ الصدْقِ، يدلُّ على الاقتدار والحِذْق. ومنهم من اختار الغُلُوَّ حتى قيل: «أحسن الشعر أكذبه»؛ لأن قائلَه إذا أسقط عن نفسِه تقابُلَ الوصْفِ والموصوف، امتَدَّ فيما يأتيه إلى أعلى الرُّتْبَة، وظهرت قُوَّتُه في الصِّيَاغة، وتمهُّرُهُ في الصِّناعة، واتَّسعت موالِجُه ومخَارجُه، فتصرَّفَ في الوصف كيف شاء؛ لأنَّ العَمَلَ عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصادقة[1] والتحقيق، وعلى هذا أكثرُ العلماء بالشعر، والقائلين له. وبعضُهم قال: «أحسَنُ الشعر أقصَدُه»؛ لأن على الشاعر أن يُبَالِغَ فيما يصير به القولُ شعراً فقط، فما استوفى أقسامَ البراعَةِ والتَّجْويدِ أو جُلَّها، من غير غُلُوٍّ في القول ولا إحالةٍ في المعنى، ولم يُخرِجِ الموصوفَ إلى أن لا يُؤْمَنَ بشيءٍ من أوصافه، لظهور السَّرَفِ في آياتِه، وشُمُولِ التَّزَيُّدِ لأقواله ـ كان بالإيثارِ والانتخابِ أولى).

هذا مقامٌ شاعَ خوضُ البُلَغَاءِ فيه من عهد الجاهلية، وقد رُوِيَتْ قِصَّةُ طَعْنِ النَّابِغَةِ على حَسَّان في عُكَاظ، **قول حسان**[2] رضي الله عنه:

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلمَعْنَ في الضُّحَى ... وأسيَافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا

إذ أخذ عليه استعمال جمع القلة للجَفَنَات، وأنه جعل لَمَعانها في الضحى، وكان عليه أن يقول: في الدُّجَى. وهي مشهورةٌ في دواوين الأدب العربي[3]، وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر[4].

وقد اختار أئمة الأدب الغلوَّ، كما صَرَّحَ به المؤلِّفُ هنا، وسبقه

---

(١) «س»: (المصادفة)، بالفاء الموحدة.

(٢) ديوانه ص٤٢٤.

(٣) **ينظر**: العمدة ٢/٦٥٨، الموشح ص٨٢، ٨٤، المثل السائر ٣/٢١٧، خزانة الأدب ٨/١٠٦.

(٤) نقد الشعر ص٦٠.

إليه قدامة في «نقد الشعر» إذ يقول[١]: «إن الغُلُوَّ عندي أجودُ المذهبَيْن، وهو ما ذهب إليه أهلُ الفَهْم بالشعرِ والشعراءُ قديماً». قال: «وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه»[٢]. اهـ.

والاستعارة مبنية على الكذب، وكذلك المبالغة، وعلى هذا الاختلاف جرى كلامهم في المبالغة المعقولة والمردودة، كما هو مبينٌ في «فن البديع»[٣].

وقد نبّه المرزوقي تبعاً لقدامة، على أن مرادهم بالكذب[٤] هو الغلو وهو كذب تصاحبُه قرينة، على أنه مخالِفٌ للواقع لغرض لطيف، وليس مرادهم الكذب مطلقاً[٥].

وقوله: **(فمنهم من قال: أحسن الشعر أصدقه)، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه وربما نُسب إلى زهير[٦]:**

وإنما الشعرُ لبُّ المرءِ يعرِضُه ... على البَرِيَّةِ إن كَيْساً وإن حُمُقَا
وإنَّ أشْعَرَ بيْتٍ أنت قَائِلُهُ ... بيتٌ يُقال إذا أنشدته: صَدَقَا[٧]

يعني: بذلك أن يكون الشعرُ تعبيراً عن الأمر الواقع، وقد قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى.

---

(١) نقد الشعر ص٦٢، وينظر: ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ١/ ١٢٧.
(٢) أول من قالها: حجر بن عمرو الكندي، والد امرئ القيس. ربيع الأبرار، للزمخشري ٤/ ٢٦٧، **وينظر**: المفردات، للراغب ص٢٦٢، تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٢، تفسير الرازي ١/ ٣٨٩.
(٣) **ينظر**: أسرار البلاغة ص٢٧١، العمدة ٢/ ٦٧٢، حلية المحاضرة ١/ ١٩٥، تحرير التحبير ص١٤٨، المثل السائر ٣/ ٢٢٢، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص٦٦٦.
(٤) «ج»: (بالأكذب).
(٥) قال ابن عاشور: «والكذب مذموم في الدين الإسلامي، فإن كان الشعر كذباً لا قرينة على مراد صاحبه، فهو قبيح، وإن كان عليه قرينة، كان معتذراً عنه، فكان غير محمود». التحرير والتنوير ٩/ ٢٠٩، ٢١٠، **وينظر**: الصاحبي ص٤٦٦.
(٦) كما في ٣/ ١٤٢ العقد الفريد، والمشهور في كتب الفن نسبته إلى حسان. (المؤلف). **قلت**: وفي طبعة لجنة التأليف بمصر ٥/ ٢٧٠، ٣٢٦.
(٧) ديوان حسان ص٣٤٥، ولم أجدهما في ديوان زهير.

۞ (ويتبع الاختلافَ مَيْلُ بعضِهم إلى المطبوع وبعضِهم إلى المصنوع. والفرقُ بينهما أن الدَّواعي إذا قامت في النفوس، وحَرَّكت القرائح، أَعْمَلت القلوبَ، فإذا جاشت العقولُ بمكنون ودائِعِها، وتظاهرت مكتَسَباتُ العُلُوم وضروريَّاتُها، نبعت المعاني ودَرَّتْ أخلافُهَا، وافتقرت خفيَّات الخواطرِ إلى جليَّات الألفاظ، فمتى رُفِضَ التكلُّف والتعَمُّل، وخُلِّيَ الطبع المهذَّبُ بالراوية، المدرَّب في الدِّراسة لاختياره، فاسترسل غيرَ محمولٍ عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه ـ أدَّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ، ما يكون صَفْواً بلا كَدَر وعَفْوَاً بلا جَهدٍ، وذلك هو الذي يسمَّى «المطبوع». ومتى جُعلَ زِمامُ الاختيار بيدِ التَّعَمُّلِ والتكلُّف، عاد الطبع مستخدَماً متملَّكاً، وأقبلتِ الأفكارُ تستحمِلُهُ أثقالَها، وتُرَدِّدُهُ في قَبُول ما يؤدّيه إليها، مُطَالِبةً له بالإغرابِ في الصنعة، وتجاوزِ المألوفِ إلى البِدْعَة، فجاء مؤدَّاهُ وأَثَرُ التكلُّف يلوح على صفحاته، وذلك هو «المصنوع».

وقد كان يتَّفقُ في أبيات قصائدهم ـ من غير قَصْدٍ منهم إليه ـ اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قَرْضُ الشعر إلى المُحْدَثِين، ورأوا استغرابَ الناس للبديع على افتنانهم فيه، أُولِعُوا بتَوَرُّدِهِ إظهاراً للاقتدار، وذهاباً على الإغراب. فمن مُفْرِطٍ ومقتَصِد، ومحمود فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نُهوض الطبع بما يُحَمَّلُ، ومَدَى قُوَاهُ فيما يُطلَبُ منه ويُكَلَّف. فمن مال إلى الأوَّلِ فلأنه أشبه بطرائق الأعراب، لسلامته في السَّبْكِ، واستوائه عند الفَحْص، ومن مال إلى الثاني فلدِلالتِهِ على كمال البراعة، والالتذاذ بالغرابة).

كلامُ المؤلِّف هنا مفصحٌ أتمَّ الإفصاح، غيرُ محتاجٍ إلا إلى شرح مفرداته.

فقوله: (**أَعمَلت القلوب**) أي: جعَلتها عاملة، و(**القلوب**) هي العقول، فالمرادُ بعملها هو التفكير في ترتيب المعاني للتعبير عنها، ولذلك أعقَبَهُ المؤلف بقوله: «فإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها...» إلخ.

وقوله: (لاختياره) متعلِّقٌ بقوله: (وخُلِّيَ الطَّبْعُ).

و(التعمُّل): تكلُّف العَمَل، فعَطْفُ التكلُّفِ عليه عَطْفُ تفسير.

(وأما تعجُّبُكَ من أبي تمام في اختيار هذا المجموع، وخروجه عن مَيْدَانِ شعره، ومفارقتِهِ ما يهواهُ لنفسه، وإجماعِ نُقَّادِ الشعر بعدَه على ما صَحِبَه من التوفيق في قصدِه، فالقولُ فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختارُه لجودَتِهِ لا غير، ويقول ما يقولُه من الشعر بشَهْوَتِهِ. والفرقُ بين ما يُشتَهَى وبين ما يُستَجَاد ظاهرٌ، بدلالة أنَّ العارفَ بالبَزِّ[1] قد يشتهي لُبْسَ ما لا يستجيدُه، ويستجيدُ ما لا يشتهي لُبْسَه، وعلى ذلك حالُ جميعِ أعْراضِ الدنيا مع العقلاءِ، العارفين بها في الاستجادةِ والاشتهاء. وهذا الرجل لم يعمِدْ من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتَرَدِّدِ في الأفواه، والمجيبِ لكلِّ داعٍ، فكان أمرُه أقرب، بل اعتَسَفَ في دواوينِ الشعراء جاهليِّهِم ومُخَضْرَمِهِم، وإسلامِيِّهم ومولَّدِهم، فاختطَفَ منها الأرواحَ دون الأشْبَاح، واخْتَرَفَ الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يُوَافِقُ نظمَهُ ويخالِفُه؛ لأن ضُرُوبَ الاختيار لم تخْفَ عليه، وطُرُقَ الإحسان والاستحسان لم تَسْتَتِرْ عنه).

ليس بعد هذا البيان حاجةٌ إلى الشرح.

(حتى إنَّك تراه ينتهي إلى البيت الجَيِّد فيه لفظة تَشِينُه، فيَجْبُرَ نقيصَتَهُ من عنده، ويُبدِّل الكلمة بأُختها في نقده).

إنما حدا أبا تمام إلى ذلك، أنه لما قصَد إلى اختيار ما يختار من الشعر، لم يقصِدْ صِحَّةَ روايةِ أشعارهم؛ لأنها كانت مجموعةً مروية، وإنما أراد تقريبَ المُختَارِ منها إلى أذواقِ النَّاشِئِين في صناعةِ الشعر، لتكون لهم مثالاً تحتذيه أذواقهم، ومِنْوَالاً تُنْسَجُ عليه أشعارُهُم[2]، ومع

(١) في الأصل: (بالبِرِّ) بالراء المهملة، وهو تصحيف، والمثبت من «س» و«ج».

(٢) **ينظر في اتهام أبي تمام بالتغيير في حماسته:** شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي =

هذا فإنَّه لا يصير إلى هذا التغيير إلا نادراً عند الاقتضاء، فقد عَمَد إلى قولِ الرَّبيع بنِ زيادٍ[١] في رثاء مالك بن زهير[٢]:

مَنْ كان مَسْرُوراً بمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ[٣]

فغَيَّرَهُ وجَعَله: فليَأْتِ سَاحَتَنَا، وإنما حَمَلهُ على ذلك كَراهِيَةُ تعليق فعل الإتْيَانِ بالنِّسْوة. وكذلك عَمَد إلى قول تأبَّطَ شرّاً[٤]:

وأُبْتُ إلى فَهْمٍ وما كِدت آيِبَا وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِرُ[٥]

فغيَّره؛ ولمْ أكُ آيباً، مراعاة لكون «ما كدت» يقتضي بظاهره أنه نفى اقتراب إيابه، مع أنَّه قد آب. وفي داعي تغيير البيت نظرٌ يُعلَمُ من قولِه تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

ومن قِصَّة ذي الرُّمَّةِ[٦] مع خَلَف الأحمر حين أنشده **قوله**[٧]:

= ١/ ٨٣، ٨٤؛ أسرار الحماسة، للمرصفي (المقدمة ز)، حماسة أبي تمام وشروحها، للدكتور عبد الله عسيلان ص٤١، قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح ديوان الحماسة، لعبد العزيز الشعلان ص٨٧، مصادر الشعر الجاهلي، للدكتور ناصر الدين الأسد ص٥٨٣، ٥٨٤، منهج المرزوقي في الخصومة النقدية حول أبي تمام ص٣٢، الكشاف ١/ ٩٣.

(١) الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان العبسي (٠٠٠ ـ نحو ٣٠ ق هـ)، أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية، كان يقال له: «الكامل». الأغاني ١٧/ ١٧٩، الأعلام ٣/ ١٤.

(٢) مالك بن زهير، أحد الأعيان والفرسان في الجاهلية، قتل في إحدى وقائع داحس والغبراء، أرسل إليه حذيفة بن بدر فرساناً فقتلوه. الأغاني ١٧/ ١٩٥، جمهرة أنساب العرب ص٢٥١.

(٣) رواية المرزوقي: «فليأت ساحتنا». قال المرزوقي: فغيره أبو تمام: «فليأت نسوتنا». وفي الحماسة بشرح التبريزي ١/ ٤١٣، والحماسة بتحقيق الدكتور عبد الله عسيلان ١/ ٤٩٤: «فليأت نسوتنا»! **وينظر**: منهج المرزوقي في الخصومة النقدية حول أبي تمام ص٢٦.

(٤) الحماسة ٢/ ٧٢، وهو في ديوانه ص٩١.

(٥) أبت: رجعت. وتصفر: صفير الطائر معروف.

(٦) غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، أبو الحارث، ذو الرمة (٧٧ ـ ١١٧هـ)، شاعر فحل، سئل جرير عن شعره فقال: أبعار غزلان ونُقَط عروس. وقال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. الشعر والشعراء ١/ ٥١٥، الأعلام ٥/ ١٢٤.

(٧) ديوان ذي الرمة ٢/ ١١٩٣، ١١٩٤؛ **وينظر**: قراطيس من نقد الشعر ـ ٤، وهو مقال =

إذا غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ لم يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[١]

۞ (وهذا يَبِينُ لمن رَجَع إلى دواوينهم، فقابَلَ ما في اختياره بها. ولو أن نَقْدَ الشعر كان يُدْرَكُ بقولِه، لكان مَنْ يقولُ الشعر من العلماءِ أشعر الناس. ويكشف هذا أنه قد يُمَيِّزُ الشعر من لا يقولُه، ويقولُ الشعر الجَيِّدَ من لا يعرِفُ نقدَه. على ذلك كان البُحْتُرِيّ؛ لأنه فيما حُكِيَ عنه كان لا يُعجَبُ من الشعر إلا بما يُوافِقُ طَبْعَهُ ومعنَاهُ ولفظَه).

قال في «دلائل الإعجاز»[٢]: «رُوِيَ أنَّ عُبَيْدَ اللهِ بنَ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ[٣] سَأَلَ البُحْتُرِيَّ عن مسلم بنِ الوليد[٤] وأبي نُوَاس أَيُّهُمَا أشعر؟ فقال: «أبو نواس»، فقال: إن أبا العباسِ ثعْلباً لا يُوافِقُكَ على هذا، فقال: ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطِينَ لعِلْم الشعر دون عَمَلِه، إنَّما يعلم ذلك من دُفِعَ في سِلْكِ طريق الشعر إلى مضايقه، وانتهى إلى ضروراته».

۞ (وحَكَى الصُّوليُّ أنه سمِع المبرِّد يقول: سمعت الحَسَن بنَ رجَاءٍ يقول: «ما رأيتُ أحداً قطُّ أعلمَ بجيِّدِ الشعر قديمِهِ وحديثِهِ من أبي تمام». وحُكِيَ عنه أنه مَرَّ بشعرِ ابنِ أبي عُيَيْنَةَ فيما كان يختارُهُ من شعر المُحْدَثِين فقال: وهذا كُلُّه مختار. هذا وشعرُهُ أبعد الأشياء من

= لابن عاشور عن هذا البيت في مجلة الهداية الإسلامية الجزء الخامس من المجلد الثالث عشر الصادر في ذي القعدة ١٣٥٩هـ، وقد نشره علي الرضا الحسيني ضمن مقالات ابن عاشور ص١٩٢.

(١) النأي: البعد. ورسيس الهوى: مسُّه.

(٢) ص١٨٣، طبع مطبعة المنار. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة الأستاذ محمود شاكر ص٢٥٢، ٢٧١.

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهرالخزاعي، أبو أحمد (٢٢٣ ـ ٣٠٠هـ)، أمير، من الأدباء الشعراء، ولي شرطة بغداد، كان مهيباً رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي. الأغاني ٩/ ٤٠، الأعلام ٤/ ١٩٥.

(٤) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء، المعروف بصريع الغواني (٠٠٠ ـ ٢٠٨هـ)، لقبه بذلك الرشيد، وقد مدحه ومدح البرامكة، ويقال: هو أول من أكثر من البديع. الشعر والشعراء ٢/ ٨٢٢، الأعلام ٧/ ٢٢٣.

شعره»[١]. **وهذا واضح).**

تقدمت ترجمة الصولي[٢].

وأما **(المُبَرِّد)** فهو أبو العَبَّاس محمدُ بنُ يزيد الثُّمَالي، بضم المثلّثة وتخفيف الميم، نسبةً إلى «أَزْدِ شَنُوءَةَ» بفتح الشين المعجمة، البصريُّ الملَقَّب بـ«المبرِّد» بكسر الرَّاءِ المشدَّدَةِ على الأصح، المولود سنة ٢١٠هـ، والمتوفى سنة ٢٨٥هـ، إمام العربية ببغداد، كان فصيحاً علَّامةً في العربية، صَنَّفَ كتاب «الكامل» جَمَع فيه من أبلغ الكلام وأفصَحِهِ، نظماً ونثراً. ولُقِّبَ بالمبرد وقَلَّ من يتعَرَّضُ لضبطه، وقيل: هو بكسر الراء المشددة، وهو الذي اقتصر عليه ياقوت في «معجم الأدباء»[٣]، وأنه لقَّبه به شيخُه أبو عثمان المازني[٤] ومعناه المثبِّت للحق[٥].

وقيل: بفتح الراء[٦] فقال ياقوت: هو تحريفٌ حَرَّفهُ أهل الكوفة. وقال ابن خَلِّكَان[٧] ....

---

(١) أخبار أبي تمام، للصولي ص١١٨.

(٢) الذي تقدمت ترجمته هو إبراهيم بن العباس الصولي ص٦٣، أما الذي هنا فهو ابن أخيه أبو بكر محمد الصولي صاحب أخبار أبي تمام وغيره.

(٣) ٦/٢٦٧٨.

(٤) بكر بن محمد بن حبيب، أبو عثمان المازني (٠٠٠ ـ ٢٤٩هـ)، أحد الأئمة في النحو، صاحب كتاب «التصريف». معجم الأدباء ٢/٧٥٧، الأعلام ٢/٦٩،

(٥) وقال بالكسر أيضاً السيرافي كما في المزهر ٢/٤٢٧، وبغية الوعاة ١/٢٦٩، والمرصفي كما في رغبة الآمل ١/٥، وكان الشيخ الشنقيطي يتشدد في هذا **وينشد:**

والكسر في راء المبرِّد واجبٌ ... وبغير هذا ينطق الجُهَلاءُ

ينظر: أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية، لمحمد عبد الخالق عظيمة ص٩، مجلة الرسالة العدد ص٢٠٥.

(٦) وممن قال بفتح الراء: ابن عبد ربه كما في العقد الفريد ٦/٧٧. وقال الزبيدي: «المبرَّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر». تاج العروس ١/٩٢.

(٧) وفيات الأعيان ٤/٣٢١. وابن خلكان هو محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو العباس (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ)، المؤرخ الأديب، وهو صاحب «وفيات الأعيان» من أشهر كتب التراجم، وأحسنها ضبطاً، لكن انتقده ابن كثير، فقال في كلامه على ابن الراوندي: «وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ودلس عليه ولم يجرحه بشيء، ولا كأن الكلب =

عن ابن الجوزي[(١)]: لقَّبه به شيخُه أبو حاتم السِّجِسْتَاني[(٢)] في قصةٍ ذَكَرَها، فهو بمعنى: المحجول له بُرد.

قلت: وسمعت من بعض مشايخي أن المبرد كان يقول: بَرَّدَ الله من بَرَّدني؛ أي: من يدعوه «المبرَّد» بفتح الراء، على أنه لقب نَبْزٍ من البرودة.

وأما (**الحسن بن رجاء**) فهو أديب شاعر، كان زمن الواثق، ولم أقف على سنة وفاته، وذكر له [في][(٣)] الأغاني أبياتاً أربعة، كتب بها إلى الحسين بن الضحاك الشاعر في ترجمته[(٤)].

و(**ابن أبي عيينة**) اسمه أبو عيينة[(٥)]، وكنيتُه أبو المنهال[(٦)]، ونُسِب إلى جَدِّه، فهو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلَّب بن أبي صُفْرَة الأزديُّ[(٧)]

= أكل له عجيناً!، على عادته في العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم». البداية والنهاية ١١/ ١١٣، الأعلام ١/ ٢٢٠.

(١) عبد الرحمٰن بن علي بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي، أبو الفرج (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ)، المشهور بابن الجوزي، العلّامة الواعظ، برَّز في علوم كثيرة، وكتب بيده نحواً من مئتي مجلدة. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، الأعلام ٣/ ٣١٦.

(٢) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، أبو حاتم (٠٠٠ ـ ٢٤٨هـ)، من كبار العلماء باللغة والشعر، كان المبرد يلازم القراءة عليه. معجم الأدباء ٣/ ١٤٠٦، الأعلام ٣/ ١٤٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطٌ من الأصل، مستدرك من «ج».

(٤) الأغاني ٧/ ٢٠٠.

(٥) جمهرة الأنساب، لابن حزم ص٢٤٩، طبع دار المعارف بمصر. (المؤلف).
قلت: وفي الطبعة السادسة ص٣٦٩.

(٦) قال ابن قتيبة: ويقال: «إن اسم أبي عيينة كنيتُه، وكان يكنى مع ذلك أبا المنهال». الشعر والشعراء ٢/ ٨٦٣، **وينظر**: البيان والتبيين ١/ ٥٠، الفهرست، لابن النديم ص٧١.

(٧) الأغاني ١٨/ ٨، طبع بولاق. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار الكتب ٢٠/ ٧٥.

البصريُّ، كان شاعراً مطبوعاً من شعراء[١] دولة الأمين[٢]، ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون. قال ابن الأثير[٣] في «الكامل» إنه **أنشدَ طاهر بن الحسين:**

ما سَاءَ ظَنِّي إلَّا بواحدةٍ　　　في الصَّدْرِ محصُورةٍ عن الكَلِمِ

يُعرِّضُ بقتل طاهرٍ محمدَ بن يزيد المهلَّبي، فتبسم طاهرٌ وقال: أما واللهِ ساءني من ذلك ما ساءك، وآلمني ما آلمك... إلخ. ترجمه في «الأغاني»[٤]. وقال: «كان ابن أبي عُيَيْنَةَ يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص، الملقَّب هَزَارَ مَرْدَ من قُوَّاد الدولة العباسية. وعن المبرِّد أنه قال: لم يجتمع لأحد من المحْدَثين في بيت واحد، هجاءُ رجلٍ ومديحُ أبيه، **كما اجتمع لابن أبي عيينة في قوله يهجو خالداً عمَّه:**

أبوك لنا غَيْثٌ نعيش بوبْلِهِ　　　وأنت جَرَادٌ ليس يُبْقِي ولا يَذَرْ[٥]

وعاش ابنُ عيينة بعد موت المأمون، ولم أقفْ على تعيين عامِ وفاتِه. وقولُ أبي تمامٍ في شعره: «وهذا كله مختار» هو السبب في أنه لم يثبِتْ له شيئاً من شعره في ديوان الحماسة.

---

(١) تاج العروس. (المؤلف).

(٢) الكامل، لابن الأثير ٦/ ٩٥. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار صادر ٦/ ٢٦٣. **وينظر**: تاريخ الطبري ٧/ ٤١، الجليس الصالح ١/ ٢٨.

(٣) علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)، المؤرخ الإمام، سكن الموصل وتوفي بها، وهو أخٌ لمجد الدين ابن الأثير «المحدث»، وضياء الدين ابن الأثير «الكاتب». مفتاح السعادة ٢/ ٢٣٣، الأعلام ٤/ ٣٣١. وقد تلجلج الزركلي وخلط بينهم في نسبة كتبهم. **ولضبطهم قال القائل:**
بنو الأثير الذين كانوا　　　ثلاثةٌ ضمهم إخاء
مؤرخٌ عالِمٌ أديبٌ　　　العز والمجد والضياء

(٤) ٨/ ١٨. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار الكتب المصرية ٢٠/ ٧٥.

(٥) الشعر والشعراء ٢/ ٨٦٣، الأغاني ٢٠/ ١١٥. وفي «ج» وقع تحريفٌ في البيت.

(وأمَّا مَا غلب على ظنك من أنَّ اختيار الشعراء[١] موقوفٌ على الشهوات[٢]، إذا ما كان يختارُه زيد[٣] يجوز أن يُزَيِّفَهُ عمرو، وأنَّ سبيلها سبيلُ الصُّوَرِ في العيون، إلى غير ذلك مما ذكرتَه فليس الأمر كذلك).

أشار المرزوقي بقوله: **(إلى غير ذلك مما ذكرتَه)**، إلى الجواب عما تقدم من حكاية كلام من خاطَبَهُ بقوله: «بل تعتقد أن كثيراً مما يستحسِنُه زيدٌ يجوز أن لا يصادقه عليه عمرو...» إلخ. وقد استغنى المرزوقي بما بيَّنه هنا من الأسباب، عن التصريح بإبطال قولِ السَّائلِ هناك: «مع أنه لا فضيلةَ لذلك، ولا نقيصةَ لهذا، إلَّا ما فاز به من الجَدِّ عند الاصطفاء»، ولذلك قال المؤلفُ هناك: «إلا أنه إذا وضح السبيلُ، وقعت الهدايةُ بأيسرِ دليل». وقد ظهر من بيان المؤلف إبطالُ اعتقاد أن يكونَ التَّفاضلُ خليّاً عن أسبابِ ظاهرةٍ عِلْميَّةٍ، وأنه ليس معلولاً لعللٍ وهميَّة يتعلَّلُ بها الضُّعَفَاءُ في صناعة الأدب، إذا ضعُفت مقدرتُهم عن مجاراة السابقين في حلْبة الأدب، فيزعُمُون أن تفوُّقَ المتفوقين لأجل أنهم مبخُوتون[٤]، وقديماً اعتلَّ المشركون لعجزهم عن معارضة القرآن، بأن قالوا هذا سحر.

وأما **قولُ المعرِّي**[٥]:

لا تطلُبَنَّ بدونِ حَظٍّ رُتْبَةً   قلمُ البليغِ بدونِ حَظٍّ مِغْزَلُ

فإنما جعل الحظَّ سبباً في نوال الرُّتَب، لا في استجادةِ الكلام، وأيضاً هو من مُشَايعَةِ الأوهام.

---

(١) «س»: (الشعر).

(٢) يرى ابن فارس وغيره من العلماء أن اختيار الشعر موقوفٌ على الشهوات. **ينظر**: الصاحبي ص٤٦٨، زهر الآداب ٤/١١٦٣.

(٣) «س»: (إذ كان ما يختاره زيد).

(٤) **ينظر** ما مضى.

(٥) لم أجده في ديواني المعري المطبوعين، وقال الأساتذة (محققو تراث أبي العلاء): ولم نجده في النسخ المخطوطة من اللزوم. والبيت نسبه جماعةٌ من العلماء إلى أبي العلاء. **ينظر**: تعريف القدماء بأبي العلاء ص١٨٤، ٢٠٨، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٤٨، ٣٩٥. وقد فات هذا البيت العلامة عبد العزيز الميمني في رسالته: فائت شعر أبي العلاء. **ينظر**: بحوث وتحقيقات العلامة الميمني ٢/٧٧.

۞ (لأنَّ من عرف مستورَ المعنى ومكشوفَه، ومرفوضَ اللفظِ ومألوفَه، وميَّزَ البديعَ الذي لم تقْتَسِمْهُ المعارِض، ولم تعتَسِفْهُ الخواطر، ونَظَرَ وتَبَحَّر، ودار في أساليب الأدب فتخيَّر، وطالت مجاذَبَتُه في التَّذاكُرِ والابتحاث، والتداوُلِ والابتعاث، وبان له القليلُ النائبُ عن الكثير، واللَّحْظُ الدالُّ على الضمير، ودرى تراتيبَ الكلام وأسرارَها، كما درى تعاليق المعاني وأسبابَها، إلى غيرِ ذلك مما يكمِّلُ الآلةَ، ويَشْحَذُ القريحة - تراه لا ينظرُ إلا بعيْنِ البصيرة، ولا يسمعُ إلا بأُذُن النَّصَفَة، ولا ينتقدُ إلا بيد المَعْدِلَة، فحكمُهُ الحكمُ الذي لا يُبَدَّل، ونقدُهُ النقدُ الذي لا يُغَيَّر).

بيَّن المرزوقي بهذا الكلام أسبابَ الاختيار عند أهل النقد، بأنها أسبابٌ حقيقيَّةٌ لا وهميَّة. قال الآمِدِيُّ في «الموازنة»[(١)]: «وأنبِّهُ على الجيِّدِ وأفضِّلُه، وأبيِّنُ الرديءَ وأَرذُلُه، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص، وتُحيط به العِنَاية، ويبقى ما لم يمكن إخراجُهُ إلى البيان، ولا إظهارُهُ إلى الاحتجاج، وهي عِلَّةُ ما لا يُعرَفُ إلَّا بالدُّرْبَة، ودائِم التَّجْرِبَةِ، وطولِ المُلابَسَةِ، وبهذا يفضُل أهل الحِذاقة بكلِّ علم وصناعة مَنْ سواهم، مِمَّن نقصَت قريحتُه، وقلَّتْ دربته، بعد أن يكون هناك طبعٌ فيه تقبُّلٌ لتلك الطِّبَاع[(٢)] وامتزاجٌ وإلا لا يَتِمُّ ذلك».

وقد أطنبَ المرزوقيُّ في صفات الناقد الذي يُقْبَلُ نقدُه، وجعلَه كالحاكم المصيبِ حكمُه، وقد قال **بعض الشعراء**:

يا أبا جعفرٍ أتحكمُ في الشعـ ـر وما فيـك آلـةُ الـحُـكَّـامِ
إنَّ نقدَ الدِّينارِ إلَّا على الصَّيْـ ـرَفِ صَعْبٌ فكيف نَقْدُ الكَلامِ

---

(١) ص١٦٧، طبع الجوايب بالأستانة. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار المعارف ١/ ٤١١.
(٢) في الموازنة: (الصناعة)، وهو الصواب.

قد رأيناكَ لست تفرُقُ في الأشـ ـعارِ بين الأرواحِ والأجسَامِ[١]

ومراد المؤلف بـ(**البديع**): المعنى المبتَدَع، وقد تقدَّم.

و(**المعارض**) جمع مِعْرَض كمِنْبَر، وهو الثوبُ للجارية، وقد تقدَّمَ بيانُه، وأراد بها الألفاظ التي هي للمعاني، كالمعارض للجواري.

و(**الاعتساف**): المشي في الرَّمْل.

و(**الابتحاث**): المبالغة في البحث.

و(**النَّصَفَة**) بالتحريك، اسمُ الإنصاف.

و(**المَعْدِلَة**) بفتح الميم وكسر الدال، العَدْل.

(واعلم أنه قد يعرِفُ الجيِّد من يجهلُ الرديء، والواجب أن تَعرِفَ المقابحَ المتسخَّطة، كما عَرَفتَ المحاسِنَ المرتضاة).

هذا شروعٌ في التنبيه على عِلَلِ اختلالِ الشعر وصفات رديئه، بعد أن انتهى من بيان أسباب الجَوْدَةِ والاختيار.

وأراد بقوله: (**قد يعرِفُ الجيِّدَ من يجهلُ الرديء**) أنه قد يتمحَّض بعضُ الأدباء للانكباب على مطالعةِ المختارات والدواوين المشهود لها بالإجادة، ولا يشتغل بتتبُّع ساقط الأشعار؛ لأن في طباع الناس اتباعَ الكمالِ، ومحبةَ العكوف على الحسن، إرضاءً لمَيْلِ النَّفْسِ إلى محاسن الأشياء وجمالِها، فيبقى غيرَ عالم بالرديء، وبتطاول الإعراض عن تتبُّعِ الرديء، يضعُف انتباهُهُ إلى عللٍ السُّقُوطِ وأسبابِ الرَّدَاءَة، وليس مرادُه بجهل الرديء العَجز عن أن يدرِك رداءة الرديء، فإنَّ من عَرَفَ الجيِّدَ، لا يَعْدَم إدراكَ ما ليس بجيد، كما دلّ عليه قولُه: «والواجب أن تَعْرِفَ المقابحَ...» إلخ، فكما يجب معرفة أسباب الاختيار، يجب معرفة علل النقد، فلا جَرَم أن كان واجباً على من يُعنَى بالأدب، اهتمامُهُ بمطالعَةِ ما

---

(١) القائل هو يحيىٰ بن علي المعروف بابن المنجم، كما في المصون في الأدب ص١١، وفيات الأعيان ٢/ ٢٠.

للشعراء من أسقاطٍ[١] وأغلاط، كما يهتم بما لهم من بدائع أنماط، فإن ذلك يزيد الحسنَ في نفسه حسناً، ولأن ذلك يكسِبُه ملكَةَ الحكم، ومقدِرَةَ الإقناعِ بأسبابِ الارتفاعِ والانحطاط.

۞ **(وجِمَاعُها إذا أُجْمِلَتْ أنها أضداد ما بَيَّنَّاهُ من عَمَد البلاغة، وخِصَالِ البراعة في النَّظْمِ والنثر)**.

أراد بـ**(عَمَد البلاغة)** ما سماه فيما تقدم «عمودَ الشعر»، وهو الأبواب السبعة.

و(العَمَد) بفتحتين.

وبـ**(خِصَال البراعة)** ما سبق من شروط الإجادة عند البُلَغاء.

۞ **(وفي التفصيلِ كأن يكون اللفظُ وحشِيّاً، أو غيرَ مستقيم)**.

قولُه: **(وفي التفصيل)** عطْفٌ على قولِه: **(إذا أجملت)**، وهذا التفصيل ما أجملَهُ آنِفاً.

وقولُه: **(كأن يكون اللفظُ وحشياً)** يُقَالُ: وحشي، ويقال: حوشي، بطريق القلب المكاني، و(الوحشي): اللفظ الذي يَقِلُّ استعمالُه في الكلام الفصيح، أو يكون مُراد الشاعر به غير معلوم، ومثالُهُ ما وقع في شعر أَبي حزام غالبٍ العُكْلِي، من شعراء زمن المهدي، من **قوله**[٢]:

تذكرتُ سَلْمَى وإهْلَاسَهَا ... فلمْ أَنْسَ والشوقُ ذو مَطْرُؤهْ[٣]

وأنشد أحمدُ بنُ جَحْدَر ابنَ الأعرابي أبياتاً، منها **قولُه**:

حلفتُ بما أَرْقَلَتْ نحوَهُ ... هَمَرْجَلَةٌ خَلْقُهَا شَيْظَمُ[٤]

---

(١) جمع سقط، وهو الشيء الساقط. (المؤلف).

(٢) نقد الشعر ص١٧٣.

(٣) الإهلاس: ضحك في فتور. ومطرؤه: مفعلة من طرأ عليه الأمر، إذا جاء من حيث لا يعلم.

(٤) نقد الشعر ص١٧٤، الصناعتين ص٢.

فقال له ابنُ الأعرابي[١]: «إن كنت جادّاً فحسيبُك الله»؛ أي: إن لم يكن مقصِدُك بجَلْبِ هذين اللفظين المزحَ فقد أسأْتَ في صِنَاعة الشعر، فلذلك دعا عليه بـ«حسبُك الله» الذي يُستعمَل كِنَايةً عن جزاء ارتكاب السيئة، لا دعاء.

(أو غيرَ مستقيم) أراد به ما خالف قياسَ اللغة، **كقول أبي النَّجْم**[٢]:

الحمدُ للّهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ[٣]

بفَكِّ الإدغام. أو ما خَفِيَ اشتقاقُهُ، **كقول العَجَّاج**[٤]:

وفاحِماً ومَرْسِناً مُسَرَّجَا[٥]

فلم يُدْرَ أأراد أنه منسوبٌ إلى السَّيْفِ السُّرَيْجِيِّ في الدِّقَّةِ والاستواء، أم إلى السِّرَاجِ في البريق؟.

۞ **(أو لا يكونُ مستعملاً في المعنى المطلوب).**

---

(١) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله (١٥٠ ـ ٢٣١هـ)، راوية ناسب، علّامة باللغة، قال ثعلب: لازمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال. معجم الأدباء ٦/ ٣٥٣٠، الأعلام ٦/ ١٣١.

(٢) الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم (٠٠٠ ـ ١٣٠هـ)، من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر، قال أبو عمرو بن العلاء: هو أبلغ من العجاج في النعت. الشعر والشعراء ٢/ ٥٨٨، الأعلام ٥/ ١٥١.

(٣) كذا في نوادر أبي زيد الأنصاري ص٤٤؛ اللسان: (جلل)؛ أوضح المسالك ٤/ ٣٦٧، شواهد العيني ٤/ ٣٤٩، شروح التلخيص ١/ ٨٨. قال البغدادي: ورواه سيبويه: الحمد لله الوهوب المجزل. وكأن هذه الرواية مُركَّبةٌ من روايتين. خزانة الأدب ٢/ ٣٩٢، وبالرواية الأخيرة ورد في ديوانه ص١٧٥، والطرائف الأدبية ص٥٧، والشعر والشعراء ٢/ ٥٨٩، والعمدة ١/ ٢٨٩.

(٤) عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمي، أبو الشعثاء، العجاج (٠٠٠ ـ نحو ٩٠هـ)، راجز مجيد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان لا يهجو، وهو والد «رؤبة» الراجز المشهور أيضاً. الشعر والشعراء ٢/ ٥٧٥، الأعلام ٤/ ٨٦.

(٥) ديوانه ٢/ ٣٤. وهذا عجز بيت صدره: ومقلةً وحاجباً مزجَّجا.

يعني به: الغلط في استعمال اللفظ، كما تقدم عند قول المؤلف: «مُقَوَّماً من أَوَدِ اللحن والخطأ» من **قول المسيب بن علس**[(١)]:

وقد أَتَلافَى الهَمَّ عند احتضَارِهِ بِنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدِمِ

أو فساد التشبيه، **كقول أبي تمام**[(٢)]:

لا تَسْقِنِي مَاءَ المَلَامِ فَإِنَّنِي صَبٌّ قد استَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

حيث شبَّهَ اللَّوْم بالماء المشروب.

(فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير: لا يتتبَّعُ الوحشي، ولا يُعاظِلُ الكلام).

ساقه المؤلف حجةً على السلامة من الوحشية، ومن عدم الاستقامة، ولذلك لم يقتصر على إحدى الجملتَيْن، كما اقتصر على الجملة الثالثة فيما تقدَّم من قول عمر رضي الله عنه: «ولا يمدحُ الرجل إلا بما يكونُ للرجال»، حيث كانت ترجع إلى حُسْنِ معنى الوصف.

وقولُ عمر رضي الله عنه: **(ولا يعاظل الكلام)** وقع في النسخ: «ولا يعاظل الكلام» بسقوط حرف الظرفية، ولا يتعدَّى فعل «يُعاظل» إلى الكلام بنفسه، فهو من باب نزع الخافض. وفي كتاب «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد[(٣)]: «ولا يعاظل بين الكلامين». وفي «نقد الشعر» و«الموازنة» و«المثل السائر»[(٤)]: «ولا يعاظل بين الكلام»، وإضافة «بين» إلى الكلام وهو مفرد؛ لأنه على تقدير الأجزاء؛ أي: بين أجزاء الكلام ومفرداته.

ومعنى **(يعاظل)**: يجعل الكلام مُتَعاظِلاً، كما جاء في الحديث:

---

(١) في الأصل: (المسيب بن علي)! وهو تصحيف. وقد تقدم.

(٢) ديوانه ١/ ٢٢. وقد دافع عن هذا التشبيه الصولي في أخبار أبي تمام ص٣٣، والآمدي في الموازنة ١/ ٢٧٧.

(٣) ص٢٥، طبع بولاق سنة ١٣٠٨هـ. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار الكتب العلمية ص٧٦.

(٤) نقد الشعر ص١٧٦، الموازنة ١/ ٢٩٣، المثل السائر ١/ ٤٣٣.

«سَابَقَ بين الخَيْل»[١]؛ أي: جعلها تتسابق. واختلفت أقوالُهم في تفسير المعاظلةِ اختلافاً يتبعون فيه ما يقتضيه اشتقاق اللفظ، ففسَّر أبو زيدٍ المعاظلة: بأن يُردِّدَ الكلامَ في القافية لمعنىً واحد، يعني الإيطاء[٢]. وفسّرها قدامة: بأنها أن يُدخِلَ في الكلام ما ليس من جنسِهِ، وما هو غيرُ لائقٍ به، وهذا تفسيرٌ غلَّطَهُ فيه الآمِدِيُّ في «الموازنة»[٣]. وفسَّرَ هو المعاظلة: بأنها شِدَّةُ تعليق الشاعر ألفاظَ البيتِ بعضها ببعض، وأن يداخل لفظةً من أجلِ لفظةٍ تُشبِهُهَا أو تُجَانِسُهَا، وإن اختَلَّ المعنى بعضَ الاختلال، كأنه يعني الإفراط في التجنيس، ومثَّلَها **بقول أبي تمام**:

خَانَ الصَّفَاءَ أَخٌ خَانَ الزَّمانُ أَخَاً عنه فلم يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الكَمَدُ[٤]

لكثرة ألفاظ: «خان وتخوَّن وأخ وأخاً».

وفسَّرها ابنُ الأثير في كتاب «المثل السائر» بما يشمل التعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي، والتنافر، وتَكرار العوامل، وتتابع الإضافات. ويظهرُ أن المؤلف يجعل المعاظلة كونَ اللفظ غير مستقيم الدِّلالة، أو غير مستعمل في المعنى المطلوب، وهذا تفسيرٌ يشمل جميع ما فسَّروا به المعاظلة، فللّه دَرُّهُ في إيجازِهِ وإعزازه. وأيّاً ما كان تفسيرُ المعاظلة، فهي عيبٌ يتعلق بالألفاظ من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها.

(أو يكونَ فيه زيادةٌ تُفسِدُ المعنى أو نقصانٌ).

أما **(الزيادة المفسِدةُ) فكقول الشاعر**:

بأطيبَ من فيها لوَ اَنَّك ذقتَهُ إذا ليلةٌ أسْجَتْ وغَارَتْ نُجُومُهَا[٥]

---

(١) جزء من حديث، رواه البخاري (٤١٠)، ومسلم (١٨٧٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) **ينظر**: القوافي لنشوان الحميري ص٢١٢، الشعر والشعراء ١/ ٩٧.
(٣) الموازنة ١/ ٢٩٤، وغلط قدامةَ أيضاً أبو هلال العسكريُّ في الصناعتين ص١٦٣.
(٤) ديوانه ص٣٦٦، طبعة محيي الدين الخياط.
(٥) ورد دون نسبة في نقد الشعر ص٢١٨.

فقوله: «لو أنك ذقته» زيادةٌ تفسِد المعنى؛ لأنها تُوهِمُ أنه لو لم يذقْهُ لم يكن طيِّباً[١].

وأمَّا (النُّقصانُ المفسِدُ للمعنى)، فهو أن يترك من اللفظ ما به تمامُ المعنى المراد، (كقول الشاعر)[٢]:

لا يرمَضُون إذا حَرَّتْ مَشَافِرُهُمْ ... ولا تَرَى منهُمُ في الطَّعْنِ مَيَّالاً[٣]

ويفشَلون إذا نادى ربيئهمُ ... ألا اركبُنَّ فقد آنَسْتُ أبطَالا[٤]

فقوله: «ويفشَلون» أراد أن يقول: «ولا يفشلون» فحَذَفَ «لا»، فصار إلى ضِدِّ المعنى[٥].

ومن هذا النوع الإيجاز الذي لا يفي بالمقصود، **كقول الحارثِ بن حِلِّزَة**[٦]:

والعَيْشُ خَيْرٌ في ظِلَا ... لِ النُّوكِ مِمَّن عَاشَ كَدَّا

أراد أن العيشَ الناعمَ في حالة الحماقة، خيرٌ من العيش بكَدٍّ في حالة العقل، فقَصُر عن المراد[٧].

---

(١) نقد الشعر ص٢١٨.

(٢) أمية بن أبي الصلت، كما في ديوانه ص٤٥٧. وقيل: بل لأبي الصلت الثقفي. **ينظر**: سيرة ابن هشام ١/ ٦٨، طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٦٠، وورد دون نسبة في نقد الشعر ص٢١٧، والصناعتين ص١٨٩.

(٣) أرمض يرمض رمضاً، من باب تعب، إذا رعى البعير في الرمضاء. وحرت: أصابها الحر. شبههم بإبل لا ترضى برعي المرعى الذي أصابته الحرارة. (المؤلف).

(٤) يصف قوماً بإباء الضيم، فشبههم بإبلٍ لا ترمض؛ أي: لا ترعى الرمضة، وهي الأرض التي اشتدت حرارة مرعاها من شدة الرمضاء. وفي: «لا يرمضون» استعارة مكنية، ووصفهم بالنشاط إذا دعوا إلى منازلة الأبطال. (المؤلف).

(٥) نقد الشعر ص٢١٧.

(٦) ديوانه ص٦٠. والحارث هو ابن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري (٠٠٠ ـ نحو ٥٠ق هـ)، شاعر جاهلي، من أصحاب المعلقات. الشعر والشعراء ١/ ١٩٣، الأعلام ٢/ ١٥٤.

(٧) نقد الشعر ص٢١٧، الصناعتين ص١٨٨.

۞ **(أو لا يكونَ بين أجزاء البيت التئامٌ، أو تكونَ القافيةُ قَلِقَةً في مَقَرِّهَا، أو مَعِيبَةً في نفسِهَا).**

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التحام أجزاء النظم، وعند الكلام على عيار التحام أجزاء النظم.

أما قول المؤلف: **(أو تكون القافية قلقةً في مقرِّها)**، فهو ما تقدَّمَ الكلام عليه، عند الكلام على شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية، من الأبواب السَّبْعة التي هي عَمُودُ الشعر، وعند الكلام على عِيَار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية.

وأما قوله: **(أو معيبةً في نفسِها)** فالمراد به أن تكونَ كلمةُ القافيةِ معيبةً بعَيْبٍ مما يرجعُ إلى عيوبِ اللَّفْظِ، مثل **قول المتنبي**:

يصِيحُ القَطَا فيها صِياحَ اللَّقَالِقِ[١]

وقولِه:

لو استطعتُ ركِبْتُ النَّاسَ كلَّهُمُ ... إلى سعيدِ بنِ عبد اللّهِ بُعْرَانَا[٢]

فإن «اللقالق»، و«بعرانا» لا يخلوان عن كراهةٍ في السمع.

۞ **(أو يكونَ في القَسْمِ أو التَّقَابُلِ أو في التفسيرِ فَسَادٌ).**

أما **(فساد التقسيم**[٣]**)** فهو ضد صحة التقسيم[٤]، وقد يكون على وجهين:

---

(١) ديوانه ٢/ ٣٢٥. وهذا عجز بيت صدره: وملمومةٌ سيفيةٌ رَبَعِيَّةٌ. قال ابن الأثير: «هذه اللفظة ـ اللقالق ـ مبتذلة بين العامة جدّاً». المثل السائر ١/ ٢٩٣.

(٢) ديوانه ٤/ ٢٢٤. قال الصاحب: «ومن الناس أمه، فهل ينشط لركوبها؟! فأتى بأخزى الخزايا». التبيان في شرح الديوان ٤/ ٢٢٤.

(٣) «ج»: (التفسير) وليس هذا موضعه، بل سيأتي.

(٤) صحة التقسيم: أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها. نقد الشعر ص١٣١، شروح التلخيص ٤/ ٣٣٦، المطول ص٤٢٨.

أحدهما: أن يأتيَ الشاعر بتقسيمٍ وليس هو بتقسيم، **كقول هُذَيْل الأشْجَعيّ**[(١)]:

فما برِحَتْ تُومِي إليَّ بِطَرْفِهَا وتُومِضُ أحياناً إذا خصمُهَا غَفَلْ[(٢)]

فإن «تومي»، و«تومض» متساويان[(٣)].

وقريبٌ منه **قولُ لَبِيد**[(٤)]:

كَدُخَانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامُهَا[(٥)]

ثم قال بعده فيها[(٦)]:

كَدُخَانِ نَارٍ سَاطِعٍ أَسْنَامُهَا[(٧)]

وثانيهما: أن يترك شيئاً من التَّقْسِيمِ، **كقول جرير**[(٨)]:

كانت حَنِيفَةُ أثلاثاً فثُلْثُهُمُ من العَبِيدِ وثُلْثٌ من مَوَالِيهَا

وسكتَ عن الثُّلث الثالث.

وأما **(فسادُ التَّقابل)** فهو فساد التَّضَاد المقصود، **كقول أبي عدي**[(٩)]:

---

(١) هذيل بن عبد الله بن سالم بن هلال الأشجعي (٠٠٠ ـ نحو ١٢٠هـ)، شاعر ماجن هجّاء، من أهل الكوفة. جمهرة أنساب العرب ص٢٤٩، الأعلام ٨/ ٨٠.

(٢) نقد الشعر ص١٩٩، الصناعتين ص٣٤٤.

(٣) نقد الشعر ص١٩٩.

(٤) ديوانه ص١٧٠. وهذا عجز بيت صدره: فتنازعا سَبِطاً يطير ظلاله.

(٥) مشعلة: نارٌ قد اشتعلت. ويُشب: يوقد. والضرام: ما دق من الحطب.

(٦) ديوانه ص١٧٠. وهذا عجز بيت صدره: مشْمولةٍ غُلِثَتْ بنابت عرْفجٍ.

(٧) أسنامها: جمع سنَم. يقال: تسنَّم إذا علا.

(٨) ديوانه ٢/ ٥٤٥. قال قدامة: «بلغني أن هذا الشعر أنشد في مجلس، ورجل من بني حنيفة حاضر فيه، فقيل له: من أيهم أنت؟ فقال: من الثلث الملغى ذكره». نقد الشعر ص٢٠١، **وينظر**: التحرير والتنوير ١٠/ ١٩١، المنزع البديع ص١٩٣.
وجرير هو ابن عطية بن حذيفة الخطفي (٢٨ ـ ١١٠هـ)، أشعر أهل عصره، وكان هجاءً غزِلاً. الشعر والشعراء ١/ ٤٥٦، الأعلام ٢/ ١١٩.

(٩) نقد الشعر ص٢٠٢.

رُحَمَاءُ لِذي الصَّلَاحِ وضَرَّا بونَ قِدْماً لِهَامَةِ الصِّنْدِيدِ

فقابل «ذا الصلاح» بـ«الصنديد»، وقد يكون الصِّنْدِيد صالحاً لهم، أفيضربون هَامَتَهْ؟ وقد يكون غير الصنديد شريراً لهم، أفلا يضربون هامته؟.

وأما **(فساد التفسير)** فهو فساد البيان؛ بأن يلاقي البيانُ ما أُجْمِلَ سابقاً، **كقول بعضهم مادحاً**:

فيا أيُّها الحَيْرَانُ[(١)] في ظُلَمِ الدُّجَى ومَنْ خاف أن يلقَاهُ بَغْيٌ مِنَ العِدَى
تَعَالَ إليهِ تَلْقَ من نُورِ وَجْهِهِ ضِيَاءً ومِنْ كَفَّيْهِ بَحْراً من النَّدَى[(٢)]

فتبيينُ ما يترقَّبُهُ في ظُلْمَةِ الدُّجَى، بحصول ضياءِ وجهِ الممدوح تفسيرٌ صحيح، ولكن تبيين ما يترقبه خائفُ البغي بحصول الكرم تبيينٌ فاسد. ومن فساد التفسير سخافتُهُ، **كقول عزِّ الدين المَوْصِلِيِّ في بديعيَّتِه**:

ذِكْرُ الإمَامِ وإبْنَيْهِ يُفَسِّرُهُ عليُّ والحَسَنانِ اكْرِمْ بِذكْرِهِمِ[(٣)]

على ما في البيت من ضروراتٍ[(٤)] ثلاث.

(أو في المعنى تناقضٌ).

بحيث يقتضي بعض المعاني نقيض البعض الآخر في الفرض الواحد بلا تأويل، وتجب مراعاة شروط التناقض في هذا، وهي ما يعبَّرُ عنها بـ«الوَحَدَاتِ الثَّمَان»[(٥)] في علم المنطق، وإلا فإن من التناقض ما

---

(١) في الأصل: (الجيران)! والتصويب من المصادر الآتية.
(٢) قال قدامة: «جاءني بهما بعض الشعراء في هذا الوقت». نقد الشعر ص٢٠٣، وورد كذلك دون نسبة في الصناعتين ص٣٤٧، والمثل السائر ٣/ ٢٠٥، ونهاية الأرب ٧/ ١٣٠.
(٣) أنوار الربيع ٦/ ١٢٧.
(٤) «ج»: (ضرورات ركيكة ثلاث).
(٥) قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: «والتحقيق أن التناقض بين القضيتين بالوحدة في شيء واحد، وهو النسبة الحكمية؛ بأن تكون النسبة المثبة هي بعينها النسبة المنفية». آداب البحث والمناظرة ١/ ٩٢، **وينظر**: حاشية الباجوري على السلم المنورق ص٥٧، نقد النثر ص١٢٤.

هو معدودٌ من لطائفِ الأساليب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١) [الأنفال: ١٧]. ومنه ما يسمى بالطباق، وهو الجمع بين معنيين متضادين ولو في الجملة.

ومثال ما وقع فيه التناقض وعِيب على قائله، **قولُ زهير**(٢):

قِفْ بالدِّيَارِ التي لم يعْفُهَا القِدَمُ ... بَلَى وغَيَّرَهَا الأرْوَاحُ والدِّيَمُ

إذ جمع بين قولِه: «لم يعفها»، وبين نقض النفي بحرف «بلى»، وقد يُغْتَفَرُ ذلك لضربٍ من التمليح، **كقول بعض الأدباء**:

أَسْكَرُ بالأمسِ إنْ عَزَمْتُ على ... الشُّرْبِ غَداً إنَّ ذا من العَجَبِ(٣)

---

(١) التناقض الذي يقصده ابن عاشور في الآية هو التناقض في الظاهر لا في حقيقة الأمر، والتناقض في الظاهر أحد أساليب البلاغة، تقول: ما كلفتني إذ كلفتني وصالك، ولذلك تكلم الأصوليون عن تعارض النصوص وهم يقصدون الظاهر؛ أي بالنسبة لذهن السامع. **قال العلّامة عبد الرحمٰن البراك ـ حفظه الله**، معلقاً على قول المؤلف ـ: «هذا يقتضي أن التناقض في الكلام، الأصل أنه وصف ذم ولكن منه ما يمدح، وهو ما كان التناقض فيه في الظاهر لا في حقيقة ونفس الأمر، فثبت بذلك أن لفظ «التناقض» مجملٌ يحتمل المدح والذم، والسابق إلى الذهن هو المعنى المذموم، وعلى هذا فلا يجوز وصف شيء من القرآن بما يحتمل الذم، فكيف بما كان الذم فيه أظهر، وهذا ما وقع فيه المؤلف ـ عفا الله عنه ـ، حيث اعتبر قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ من قبيل التناقض المعدود من لطائف الأساليب، ومعنى هذا وصف الآية بالتناقض، وفي إطلاق هذا من الشَّنَاعة ما فيه، ولبيان المراد لا بد من التقييد، فيقال: في الآية تعارضٌ أو تناقضٌ في الظاهر. والذين يعدون بعض التناقض من لطيف القول وبديعه، لا يناسب فنَّهم إلا الإطلاق، فيقولون: في الآية من فنون البلاغة التناقض.

ينظر: التعليق والاستدراك لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن ناصر البراك ص١٠٥.

(٢) ديوانه ص١١٦. قال أبو عبيدة: «رجع وكذّب نفسه فقال: بلى وغيرها...». شرح البَطَلْيَوْسي على ديوان زهير ص١١٦، **وينظر**: نقد الشعر ص٢١٢.

(٣) ورد دون نسبة في الإيضاح ٦/ ٦٤، وشروح التلخيص ٤/ ٣٦٦، والمطول ص٤٣٥، ومعاهد التنصيص ٢/ ٣.

وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو، وكذا **قول ابن الفارض**(١):

شرِبْنَا على ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بها من قبلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

وقد عابوا على عبد الرحمٰن بن عبيد الله القَسّ **قولَه**(٢):

فإني إذا ما الموتُ حَلَّ بنفسِهَا يُزَالُ بنفسي قبلَ ذاك فَأُقْبَرُ(٣)

لأن شرط إذا يقتضي المستقبل؛ أي: إذا هي ماتت يموت هو قبل ذلك.

(أو خروجٌ إلى ما ليس في العادة أو الطبع).

سمَّاه خروجاً لأنه مخالفةٌ لصِحَّة الكلام، فكأن صاحبَهُ خرج من حظيرةِ معاني الشِّعْرِ إلى الهَوَس، وهو يرجِعُ إلى الخطأ في المعاني. مثالُ الخروج إلى ما ليس في العادة **قولُ أبي الطيب**:

يُرَادُ من القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وتَأبىٰ الطِّبَاعُ على النَّاقِلِ(٤)

إذ ليس من عادة المحبين الرغبةُ في نسيان الأحبة، إلا أن يكون الذي أراد منه ذلك غيرَ نفسه، فتأمله!. ومثالُ الخروج إلى ما ليس في

---

(١) ديوانه ص١٤٠. وابن الفارض هو عمر بن علي بن مرشد الحموي، أبو حفص (٥٧٦ ـ ٦٣٢هـ)، أشعر المتصوفة، يلقب بسلطان العاشقين، حدث عنه المنذري، في شعره فلسفة تتصل بـ«وحدة الوجود». قال الذهبي: إن لم يكن في تلك القصيدة ـ تائية له ـ صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨، الأعلام ٥/ ٥٥.

(٢) نقد الشعر ص٢٠٨، الموشح ص٢٢٦، الصناعتين ص٩٦، وفيها: عبد الرحمٰن بن عبد الله القس، وهو ابن أبي عمار، من بني جشم بن معاوية، من قرّاء أهل مكة، كان يلقب بالقس لعبادته. عيون الأخبار ٤/ ١٣٤، الأغاني ٨/ ٣٣٤.

(٣) قال أبو هلال العسكري: «هذا من المحال الذي لا وجه له». الصناعتين ص٩٦.

(٤) ديوانه ٣/ ٢٢. وروايته: ويأبى الطباع. قال ابن القطاع: «قد أفسد هذا البيت سائر الرواة، فرووه: تأبى (بالتاء)، وهو غلط لا يجوز...». التبيان في شرح الديوان المنسوب للعكبري ٣/ ٢٢. وفي ديوانه، طبعة دار الجيل ص٢٦٩، وفي شرح البرقوقي ٣/ ١٥٣، بالرواية التي ذكرها المؤلف: وتأبى الطباع.

الطَّبْعِ قولُ المرَّار[١]:

وخَالٍ على خَدَّيْكَ يبدو كأنَّهُ سَنَا البَرْقِ في دَعْجَاءَ بَادٍ دُجُونُهَا

فجعل الخال مفرطاً في البياض، وطبيعة الخال السواد، وإلا فقد انقلب بهقاً.

(أو يكونَ الوصفُ غيرَ لائقٍ بالموصوف).

من أغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف، **قولُ المسيَّب بن عَلَس**[٢]:

وقد أتلافى الهَمَّ عند احتضَارِهِ بِنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةِ مُكْدِمِ

الناجي: الجمَلُ الفَحْل، والصيعرية: سِمَةٌ يَسِمُ بها أهلُ اليَمَنِ النوقَ الكرائم، فلا يوسم بها الجمل. وقد تقدَّم آنفاً. وقد ورد في كتبِ الأدبِ كثيرٌ من هذا كما في «الموازنة» للآمدي، ولذا قال المؤلف فيما مضى: «وعِيَارُ الإصابة في الوصف، الذَّكاءُ وحسنُ التمييز».

وقد يجيء الخطأُ من حَصَرٍ في التعبير، كما وقع لعبد الله بن السمط في مدح الخليفة المأمون العباسي **قوله**[٣]:

أضحَى إمَامُ الهُدَى المأمون مشتَغِلاً بالدِّينِ والنَّاسُ بالدُّنيا مشَاغِيلُ

قالوا: لما سمعه المأمون نظر إليه نظرةً كاد أن يصطَلِمَهُ عليها، فلما حَدَّث عبدُ الله بذلك عِمَارةَ بن عقيل بن بلال بن جرير[٤]، قال

---

(١) نقد الشعر ص٢١٥، الموشح ص٢٣٢، الصناعتين ص٩٦. والمرار هو ابن سعيد الفقعسي، أبو حسان، شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية. الشعر والشعراء ٢/ ٦٨٨، الأعلام ٧/ ١٩٩.

(٢) تقدم ص١٦٣.

(٣) سر الفصاحة ص٢٤٨، الصناعتين ص١١٩، البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٦.

(٤) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي، يكنى أبا عقيل، شاعر مقدم فصيح، وكان يسكن بادية البصرة، مدح خلفاء بني العباس، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة. طبقات ابن المعتز ص٣١٦، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٨٢.

عمارة: «لقد أحسَنَ إذ لم يؤدبْك، وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يشتغل بها، هلَّا قلتَ كما قال جدِّي جريرٌ في عمرَ بنِ عبدِ العزيز:

فلا هو في الدنيا مُضِيعٌ لدينِهِ ... ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدين شَاغِلُهْ[(١)]

وفي روايةٍ أنه قال: ما زدتَ على أن جعلتَ أميرَ المؤمنين عَجُوزاً في مِحْرَابها.

۞ (أو يكونَ في البيتِ حِشْوٌ لا طَائِلَ فيه).

(الحِشْو) بكسر الحاء، هو الكلام الذي ليس فيه فائدةٌ في الغرض، بمعنى المحشو؛ لأنه لا جَدْوَى له إلا الزيادة في الكلام، **كقول مَصْقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ**[(٢)]:

أَلِكْنِي إلى أَهْلِ العراقِ رسالةً ... وخُصَّ بها حُيِّيتَ بَكْرَ بنَ وَائِلِ[(٣)]

فقوله: «حييت» دعاءٌ لا جَدْوى له في هذا المقام. **ومنه قولُ أبي فِرَاس**[(٤)]:

ولكنَّنِي والحمدُ للّهِ حَازِمٌ ... أُعَزُّ إذا ذَلَّتْ لَهُنَّ رِقَابُ[(٥)]

فحمد الله هنا حشوٌ، إذ لا جَدْوى له في الغرض. **ومن قبيحِهِ قولُ بعضِهِم**[(٦)]:

---

(١) ديوانه ٢/ ٧٠٣.

(٢) نقد الشعر ص٢١٩. ومصقلة هو ابن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني (٠٠٠ ـ نحو ٥٠هـ)، قائد من الولاة، ولّاه معاوية رضي الله عنه طبرستان قبل فتحها، فتوجه إليها وتوغل فيها ولم يحم ظهره، فاجتمع عليه الأعداء وهو عائد فقتلوه. المعارف، لابن قتيبة ص٤٠٣، الأعلام ٧/ ٢٤٩.

(٣) ألكني: أرسلني.

(٤) الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أبو فراس الحمْداني (٣٢٠ ـ ٣٥٧هـ)، أمير شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة، أسره الروم في معركة، ثم فداه سيف الدولة بأموالٍ عظيمة. البداية والنهاية ١١/ ٢٧٨، الأعلام ٢/ ١٥٥.

(٥) ديوانه ص٢٧.

(٦) هو: الوليد بن يزيد كما في ديوانه ص١٨، وفي البيت الثاني تقديمٌ وتأخير.

أَمَّ سَلَّامِ أثِيبِي عَاشِقاً ... يَعلمُ اللّه يَقِيناً رَبُّهُ
أنَّكم في عَيْنِهِ من عِيشَةٍ ... فاعْلَمِيهِ يا سُلَيْمَى حَسْبُهُ[(١)]

فقوله: «يقيناً ربُّه» حشوان. وكذلك: «في عينه». وكذلك: «فاعلميه يا سليمى».

(إلى غير ذلك مما يحصِّلُهُ لك تأمُّلُكَ جُمَلَ المحاسِنِ وتفصيلَهَا، وتتبُّعُكَ ما يضادُّها وينافيها، وهذا هيِّنٌ قريب).

أي: أن المحاسن وأضدادَها لا تنحصِرُ فيما ذكر فقد تذكُرُ بعض المحاسن، ولا تذكر أضدادَها، وقد تذكُرُ بعضَ العيوبِ ولا تذكر محاسِنَ الخُلُوِّ عنها. والتأمُّل في الجميع يحصل للمتأمِّلِ انتباهاً إلى إدراك ما عَسَى أن يَغْفَلَ عنهُ.

واسمُ الإشارة في قوله: **(وهذا هيِّنٌ)** راجِعٌ إلى المذكورِ آنفاً من قوله: «واعلم أنه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء» إلى قوله: «وهذا هيِّنٌ قريب»، يعني أنه إنما اهتمَّ ببيان المقابح إجمالاً ثم تفصيلاً؛ لتكون نموذَجاً من عِلَلِ النقد وأسباب السُّقوط، بحيث يتمكَّنُ مُزاوِلُها والمتأمِّلُ فيها وفي ما يماثِلُهَا أن يبيِّن وَجْهَ رَدَاءَةِ ما يحكم برداءته من الشعر؛ لأن بيان أسبابِ الرداءةِ أيسرُ من بيان أسباب الجَوْدَة، وقد تقدم قولُ الآمدي في «الموازنة»: «وأبيِّن الرديء وأرذله».

(وإنما قلتُ هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق، قد يتفق فيه ما لو سُئِلَ عن سبب اختياره إياه، وعن الدلالة عليه، لم يمكِّنْهُ الجواب إلا أن يقول: هكذا قضيَّةُ طبعي، أو ارجع إلى غيري ممن له الدُّرْبة والعلم بمثله، فإنه يحكم بمثل حكمي، وليس كذلك ما

---

(١) أنشده قدامة في كتاب نقد النثر ص٧٤. (المؤلف).

قلت: ثم قال قدامة: وهو قبيح النظم، بادي العوار، ظاهر الاضطراب، مختلف غير مؤتلف.

يَسْتَرذِلُهُ[١] **النقد أو ينفيه الاختيار؛ لأَنَّهُ لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيهُ على الخلل فيه، وإقامةُ البرهان على رداءته فاعلمْه).**

مراد المؤلف بقوله: **(لأنه لا شيء إلا ويمكن التنبيهُ على الخَلَلِ فيه، وإقامة البُرهان على ردَاءَتِهِ فاعلمه)** إظهار الفرق بين حالة الحكم بالإجادة، وحالة الحكم بالرَّدَاءة؛ فإن الأولى قد يكون الرجوع فيها إلى الطَّبْعِ والذَّوْقِ، وإن الثانيةَ لا يعسُرُ معها الاحتجاج بعِلَّةِ الرداءة، وفي هذا إشارةٌ إلى الردِّ على الآمِدِيِّ إذ سَوَّى بين الحالتين في «الموازنة» فقال: «وأذكُرُ من عِلَلِ الجميع ما ينتهي إليه التخليص، وتحيط به العناية، ويبقى ما لم يمكن إخراجه إلى البيان، ولا إظهاره بالاحتجاج، وهي عِلَّةُ ما لا يُعرَفُ إلا بالدُّرْبَةِ، ودائم التجرِبة، وطول الملابَسَة، وبهذا يفضل أهل الحَذَاقة بكل علمٍ وصناعةٍ مَنْ سواهم، ممن نقصت قريحَتُه، وقَلَّتْ دُرْبته»[٢].

وأما قولُهُ: **(فاعلمْه)** فإشارةٌ إلى إبطال قولِ سائله: «مع أنه لا فضيلةَ لذلك، ولا نقيصة لهذا، إلا ما فاز به من الجَدِّ عند الاصطفاء والقسم»، وقد اكتفى بهذه الإشارةِ لأنَّ فيها بسْطاً من القول في أسباب التفاضل والاختيار، غنيَّةً عن التصريح بالإبطال، وقد تقدم ذلك عند شرح قول المرزوقي: «وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعراء موقوفٌ على الشهوات. . .» إلخ.

❁ **(وأما تمنيك معرفةَ السَّببِ في تأخُّرِ الشعراء عن مرتبة الكُتَّاب البُلَغَاء، والعُذْرِ في قِلَّةِ المترسِّلين وكثرة المُفْلِقِين، والعِلَّةَ في نَبَاهَةِ أولئك وخُمُولِ هؤلاء، ولماذا كان أكثرُ المفلِقِين لا يَبْرعُون في إنشاء الكتب؟، وأكثرُ المترسِّلين لا يُفْلِقُون في قَرْضِ الشعر؟، فإني أقول في كل فَصْلٍ من**

---

(١) في الأصل: (يستلذ له). صوابه من «س» و«ج»، وهو ظاهرٌ في السياق.
(٢) الموازنة ١/ ٤١١، وقد سبق.

ذلك بما يحضر، والله وليُّ توفيقي، وهو حسبي وعليه توكُّلِي).

جمع المؤلفُ هذه الأسئلةَ جمعاً واحداً؛ لأنه أراد الجواب عنها برُمَّتِهَا، إذ كان بيان أسبابها آخذاً بعضه بحُجَزِ بعضٍ كما سيأتي. واعلم أن هذا المبحث خارجٌ عن مقام النقد، إلى مَيْدان التفاضل بين الصِّنَاعتين وأهلهما، اقتضَاهُ الجَوابُ عَمَّا أورَدَهُ السَّائل.

۞ **(اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء، موجَبُهُ تأخُّرُ المنظوم عن رُتْبَةِ المنثور عند العرب لأمرين:**

أحدهما: أن ملوكَهُم قبلَ الإسلام وبعدَه كانوا يتبجَّحُون بالخَطَابَةِ والافتتان[1] فيها ويعدُّونها أكملَ أسبابِ الرِّيَاسة، وأفضلَ آلاتِ الزَّعَامة. فإذا وَقَفَ أحدُهم بين السِّمَاطَيْنِ لحُصُولِ تنافرٍ أو تضاغنٍ أو تظالمٍ أو تشاجر، فأحسن الاقتضابَ عند البُدَاهَة، وأنجَعَ في الإسْهَاب وقتَ الإطالة، أو اعتلى في ذِرْوَةِ منبرٍ فتصَرَّفَ في ضُرُوبٍ من تخشِين القول وتليينِه، داعياً إلى طاعةٍ، أو مستَصْلِحاً لرعيَّةٍ، أو غير ذلك مما تدعو الحاجةُ إليه، ـ كان ذلك أبلغَ عندهم من إنفاقِ مالٍ عظيمٍ، وتجهيزِ جيشٍ كبير).

ابتدأ المبحث بالتفضيل بين أسلوبي الكلام: النثر والنظم[2]، وبنى تأخرَ الشعراء عن رُتْبَةِ الخطباء والكُتَّاب على أسَاسِ تأخُّرِ المنظوم عن رتبة المنثور، إذ الكتابةُ من صناعة النثر، فهي والخطابة من صِنْفٍ واحدٍ، فأثارَ مبحثاً قديماً خاضَ فيه الأدباء.

وقد احتفل به ابن الأثير في كتابه «الجامع الكبير» فقال[3]: «اعلم

---

(١) «س» و«ج»: (الافتنان).

(٢) **ينظر**: مجلة كلية الدراسات الإسلامية بسوهاج، العدد الرابع، ١٤٠٨هـ، مبحث بعنوان: قضية المفاضلة بين النثر والشعر، للدكتور علي محمدين موسى.

(٣) الورقة ٣٤ من النسخة المخطوطة بالخزانة العاشورية. (المؤلف).

قلت: وفي المطبوع ص٧٣.

أن الأقوالَ متعارِضَةٌ في تفضيلِ كلٍّ واحدٍ من هذين القِسمَيْنِ على الآخر، إلا أن المذهَبَ الفَحْل والقول القوي، هو أن الكلامَ المنثور أفضلُ من الكلام المنظوم».

وأقول: إن مناطَ التفاضُلِ وموضوعَهُ إنما هو النَّثْرُ الخاصُّ الذي يُقصَدُ منه تأثُّرَ السَّامعِ وإقناعَهُ بغرض، وذلك هو النثر الذي يُصَاغُ في قَالَبِ البَلَاغة والفصاحة، كالخطب، ورسائل الأدباء، والأمثال، والقصص التي يقصَدُ حفظها والتأدُّب بها، والأحاجي، والنُّكت المستظرفة، فيَقصِدُ واضعوها التأنُّق فيها؛ لتكون أبقى في ذهن السامع، فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من المخاطَبات في الشؤون المعتادة، والمحادثات العاديَّة، ولا نحو كتابةِ ديوان الجُنْد، وكتابة الأموال. والمؤلفُ بنى تفضيل النثر، على ما حَفَّ بصناعته من العوارِضِ العُرْفِيَّةِ والدينية، وذكر لتفضيل النثر على الشعر سببيْن وعَزَّزَهُمَا بثالث، وابن الأثير ذكر أربعة أسباب اثنان منها يتداخلان مع ما ذكر المؤلف، واثنان منها مَحَلُّ نظر، وما ذكره المؤلف أمتن[1].

---

(١) قال ابن الأثير عقب كلمته التي ذكرت آنفاً: «والدليل على ذلك من أربعة وجوه:
الأول: أن القرآن الكريم ورداً نثراً، وهو معجزة الرسول ﷺ، ومن المعلوم أن المعجزات لا تجيء إلا من طريق الأصعب، ولما كان النثر من الأقوال الشاقة، أنزل الله القرآن الذي هو معجزة على قانونه، وأيضاً فإن أرباب النثر لو أريد حصرهم من أول الزمان إلى وقتنا هذا، لكانوا عدداً يسيراً. وأما أرباب النظم فلو أريد حصرهم، بل حصر أهل عصر واحد منهم، لتعذر حصول ذلك.
الوجه الثاني: أن النثر ينوب مناب النظم، ولا ينوب النظم مناب النثر، وذلك أنه إذا أخذ معنى وعبر عنه بلفظ من الكلام المنثور، فإنه لا يمكن التعبير عنه بمقدار ذلك اللفظ بالشعر؛ لأن الشعر يحتاج إلى إقامة الوزن، وهذا لا يتم إلا بزيادة لفظ أو نقصان لفظ، وإذا زيد صار من الكلام ما لا حاجة إليه، وإذا نقص صار المعنى ناقصاً.
الوجه الثالث: أن النثر لا ينال إلا بعد تحصيل آلاته المذكورة في صدر كتابنا هذا أو بعضها، وذلك بخلاف النظم فإنه يقوله من لم يحصل من آلاته شيئاً. ـ قلت: ومما يدلك على أن النثر أشق من النظم مأخذاً، أن العرب كانوا أفصح الناس وأكثرهم =

وقول المؤلف: **(عن رتبة البلغاء)** أراد بالبلغاء غير الشعراء؛ لأن الشعراءَ وإن كانوا من أهل البلاغة، إلا أنه لما كان لصناعة الشعر اسمٌ خاصٌّ من بين الكلام البليغ، شاع إطلاقُ وصفِ الشعراء عليهم، وبقي وصفُ البلغاءِ مُطْلَقاً على من عداهم من الخطَباء والكتَّاب، وهو إطلاقٌ قديمٌ، ومنه **قولُ أبي العَلَاءِ المعرِّي**[1]:

لا تطلُبَنَّ بدونِ حَظٍّ رُتْبَةً ... قَلَمُ البَلِيغِ بدون حَظٍّ مِغْزَلُ

يعني بـ«البليغ» الناثر المتطلِّب لرتبةِ الكتابة الديوانيَّةِ أو الوِزَارة.

وابتدأ المؤلف بحالةِ العصر الجاهلي، فقَصَر كلامه على الخُطَبَاء؛ إذ لم تكن في الجاهليَّةِ رسائل. واعتبر المؤلف من عصر الجاهلية، العصرَ الذي عُنِيَ الأدباءُ بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك، فقد قيل: إنه مضى عَصْرٌ كان الشاعر فيه يُعَدُّ أرفعَ منزلة من الخطيب. قال ابن رشيق في «العمدة» في «باب التكسُّبِ بالشعر»: «إن الشاعر كان في مبتدأ الأمر أرفع منزلةً من الخطيب؛ لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر، وشِدَّةِ العَارضةِ، وحِمَايةِ العشيرة، وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل، فلا يُقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته، فلما تكسَّبوا به وجعلوه طعمةً[2]، وتَولَّوا به الأعراض وتناولوها، صارت الخطابةُ فوقَه»[3]. وهو مأخوذٌ من كلام الجاحظ عن أبي عمرو بن العلاء[4]، كما سيأتي قريباً.

= قدرة على التفنن في الكلام ومع هذا فلم يسمع لأحد منهم نثراً إلا لقس بن ساعدة ولأقوام آخرين وهم قليل، وأما النظم فإن جميع العرب كانوا يقولونه ـ.

الوجه الرابع: أن الناثر تعلو درجته حتى ينال الوزارة للخلفاء والملوك، وأما الشاعر فلا تعلو درجته عن رتبة المستعطين». (المؤلف).

قلت: **ينظر**: الجامع الكبير ص٧٣ ـ ٧٥ باختصار.

(١) تقدم ذكره.

(٢) في الأصل: (طعماً)، والمثبت من «ج» ومن العمدة، طبعة الدكتور النبوي.

(٣) العمدة ١/ ١٢٢.

(٤) البيان والتبيين ١/٢٤١، ٤/٨٣. وأبو عمرو هو زبان بن عمار التميمي المازني =

ووقع في كلام المؤلف لفظ (**الزعامة**) وهي الشرفُ وسِيَادةُ القوم.

ووقع فيه لفظ (**السِّمَاطَيْن**) وهو تثنية سِمَاط بكسر السين، وهو الصف، وأراد سِمَاطي المجْمَع من الناس، إذ يقفُ كل شيعَةٍ سِمَاطاً مُقَابِلَ سِمَاطِ ضِدِّهِم، ووقع مثل هذا اللفظ في «البيان والتبيين» للجاحظ في باب «ذِكْرُ نَاسٍ من البلغاء والخطباء»[(١)].

ووقع فيه لفظ (**الاقتضاب**) وهو القطع، واستعاره للكلام الفَصْل، الذي هو كالحكم.

۞ (وكانوا يأنَفُون من الاشتهار بقَرْضِ الشعر، ويعُدُّهُ ملوكُهم دَنَاءة. وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجْر بن عمرو، حين تَعَاطى قولَ الشعرِ فنهاه عنه وقتاً بعد وقت، وحالاً بعد حال، ما أخرجه إلى أن أمَرَ بقتله. وقِصَّتُه مشهورةٌ، فهذا واحد).

عَدَّ المؤلف أنَفَةَ سادةِ العرب في الجاهلية، من الاشتهار بقَرْضِ الشعر، تكملةً للأمر الأول من أسباب تأخُّرِ الشعراء عن رُتْبَةِ الكُتَّاب، وهو عنايتهم بالخَطَابةِ على نَحْوِ عنايتهم بعد عصر الجاهليَّةِ بالكتابة. وكان الأَوْلَى للمؤلِّفِ أن يجعلَهُ من جُمْلَةِ الأمر الثاني؛ لأن الأَنَفَةَ من قَرْضِ الشعر عندهم، أوجبَهَا اعتيادُ الشعراء التلَبُّسَ بالأحوال التي هي من شأنِ أهلِ البَطَالة، والتي لا تليقُ بالسُّؤْدَدِ في عُرْفِ زمانهم. ومن ذلك ما سيذكرُهُ المؤلف عند تعرُّضِهِ لأحوال الشعراء في مقابلة أحوال الكُتَّاب، إذ لا فَرْقَ ـ في تلك الأحوال ـ بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام، وما قِصَّة امرئ القيس مع أبيه إلا من ذلك القبيل، فكان الوَجْهُ تأخيرُ هذا ليستقيم قولُ المؤلف: «فهذا واحد».

= البصري (٧٠ ـ ١٥٤هـ)، من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة، عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية. معجم الأدباء ٣/١٣١٦، الأعلام ٣/٤١.

(١) البيان والتبيين ١/٩٨، ووردت الكلمة في ١/١١٦، ٣/٥٣.

وأشار المؤلف إلى قضِيَّة امرئ القيس مع أبيه حُجْرٍ مَلِكِ بني أسد، وحاصِلُها حَسْبَما يُؤخَذُ من كتاب «الشعراء» لابن قتيبة[١]، و«الأغاني»[٢]، و«صُبْح الأعْشَى»[٣]: «كانت الملوكُ تأنَفُ قول الشعر، وكان امرؤ القيس يُخالِطُ شُذَّاذَ العرب، من طيءٍ وكلبٍ وبكر بن وائل، وكان قد عَشِق فاطمة التي لَقَبُها عُنَيْزَة، وكان يطلُبُها زماناً، ويطلُبُ منها غِرَّةً، إلى أن أصاب منها غِرَّةً يوم الغدير، بدَارَةِ جُلْجُلٍ، وقال فيها القصيدة المشهورة:

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ[٤]

فلما بلغ ذلك أباه حُجْرَ بن عمرو، وهو ملك بني أسد، نهاهُ وأغلظَ له، وتوعَّدَهُ بالقَتْلِ فلم ينته، فطَرَدَهُ من وجْهِهِ. وقيل: إن حُجْراً سمع امرأ القيس يترَنَّمُ في مجلسٍ بقوله[٥]:

أَسْقِيَا حُجْراً على عِلَّاتِهِ ... مِنْ كُمَيْتٍ لونُهَا لونُ العَلَقْ

فَهَمَّ بقتْلِه. ولعلَّ القصصَ متعدِّدة.

(والثاني: أنهم اتخذوا الشعرَ مكسِبَةً[٦] وتجارة وتوصَّلوا به إلى السُّوَق، كما توصَّلوا به إلى العِلْية، وتعَرَّضوا لأعراضِ الناس، فوصفوا اللَّئِيمَ عند الطَّمعِ فيه بوَصْفِ الكريم، والكريمَ عند تأخُّرِ صِلَتِهِ بصفةِ اللئيم، حتى قيل: «الشعرُ أدنى مُروءة السَّرِيِّ، وأسْرَى مروءة الدَّنِيِّ». فهذا البابُ أمرُهُ ظاهر. وإذا كان شرفُ الصَّانِعِ بمقدار شرفِ صناعتِهِ، وكان النَّظْمُ[٧]

(١) الشعر والشعراء ١/١٠٨.
(٢) ٨/٦٨، طبع بولاق. (المؤلف).
قلت: وفي طبعة دار الكتب المصرية ٩/ ٨٧.
(٣) ١/ ٦٠. (المؤلف).
(٤) صدر معلقته. وقد تقدم ذكره.
(٥) لم أجده في ديوانه.
(٦) في الأصل: (كمكسبة)، والمثبت من «س» و«ج» وهو الفصيح، وستأتي كذلك.
(٧) في الأصل: (النظام)، والمثبت من «س».

متأخِّراً عن رُتْبَةِ النثر، وجب أن يكون الشاعرُ أيضاً متخلِّفاً عن غَايَةِ البليغ).

يعني: أن الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعرَ مكْسِبَةً، وتعرضوا به للعطاء، مثل: الأعشى، والنابغة الذبياني، وزهيرٍ، فَغَضَّ منهم. وفي «صبح الأعشى»[١] في موادِّ البيان: يُروى أن النابغةَ الجَعْدِي[٢] ﷺ كان سيداً في قومه، لا يقطعون أمراً دونه، وأن قولَ الشعرِ نقصَهُ وحَطَّ رتبتَه. وبعضهم تعرَّضَ به إلى أعراضِ الناس بالطَّعْنِ في الهِجَاء، مثل: الزُّبَيْر بن عبد المطلب[٣]، والحُطَيْئَة[٤]؛ أي فكَرِهَ الناس ذلك منهم. وسكت المؤلف عن الذين اتَّخذوه للغَزَلِ واللَّهْوِ فشَغَلَهُم عن عَظَائِمِ الأمور. والحاصِلُ أن في نِحْلَةِ الشعر ما كان مَجْلَبَةً للغَضِّ من أصحابه، بالرَّغْم على ما يَعترِفُ لهم به الناسُ من حُسْنِ البيان، فقولُ من قال: «الشعرُ أدنى مروءة السَّرِيِّ، وأسْرَى مروءة الدَّنِي»، قولٌ صَادِرٌ عمن لَحَظَ من الشعرِ بعضَ عَوارِضِه، وإلا فقد كانوا يَعُدُّون الشاعرَ يُنَافِحُ عن القبيلة، ويرفعُ من ذكرها، فقيل: كانوا يولِمُون إذا نَبَغَ فيهم شاعرٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إن من الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**»[٥]. وقد تَصَدَّى عبدُ القاهر في أول

---

(١) ١/ ٦١. (المؤلف).
قلت: وقد اعتمد طبعة دار الكتب المصرية المتداولة.

(٢) قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعدي العامري، أبو ليلى (٠٠٠ ـ نحو ٥٠هـ)، شاعر مفلق، صحابي، من المعمرين، وفد على النبي ﷺ فأسلم، وأدرك صفين. الشعر والشعراء ١/ ٢٨٠، الأعلام ٥/ ٢٠٧.

(٣) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، أكبر أعمام النبي ﷺ، أدركه في طفولته، وكان يعد من شعراء قريش إلا أن شعره قليل. سيرة ابن هشام ١/ ١١٩، الأعلام ٣/ ٤٢.

(٤) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة (٠٠٠ ـ نحو ٤٥هـ)، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجّاءً لم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا الزِّبرِقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب ﷺ فسجنه، ثم استعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس. الشعر والشعراء ١/ ٣١٠، الأعلام ٢/ ١١٨.

(٥) أخرجه البخاري (٦١٤٥) من حديث أُبي بن كعب ﷺ.

«دلائل الإعجاز» لإبطالِ شُبَه من سَاءَ اعتقادُهُم في الشعر، فانظره[1].

قال الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»[2]: «قال أبو عمرو بن العلاء: كان الشاعر في الجاهلية يُقَدَّمُ على الخطيب بفَرْطِ حاجتهم إلى الشعر الذي يُقَيِّدُ عليهم مآثرهم، ويفخِّمُ شأنَهم، ويهَوِّلُ على عدوِّهِم ومَنْ غَزَاهُم، ويُهَيِّبُ من فُرْسَانِهِم، ويخوِّفُ من كَثْرَةِ عددهم، ويهابهم شاعرُ غيرهم فيراقب شاعرَهم، فلمَّا كَثُرَ الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسِبَةً ورحَلُوا إلى السُّوقَةِ وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيبُ عندهم فوقَ الشاعر، ولذا قال الأول: «الشعر أدنى مروءة السَّرِي، وأسْرَى مروءة الدَّنِي»، ولقد وَضَع[3] الشعرُ من قَدْرِ النابغةِ الذُّبْيَاني، ولو كان في الدهر الأول، ما زاده ذلك إلا رفعة». اهـ.

وقولهم: **(أدنى مروءة السَّرِي)** هو من الدَّنَاءةِ بمعنى الحِطَّة؛ أي: هو أَحَطُّ مروءةِ السَّريِّ أي الشريف، فالمروءةُ اجتماعُ الصفات التي تعتَبَرُ في الرجال، وقد اشتُقَّتْ من لفظ المَرْء، كما اشتُقَّت الرُّجْلَةُ من لفظ الرَّجُل. فالشعر من المزايا التي يمتاز بها صاحبُها، إذ لا يحصُلُ لكلِّ واحدٍ، فجعلوه أقل كمالات الإنسان الشريف، وجعلوه أشرف كمالات الدني، وحسبُك بهذا ثناءً عليه، ولكن غرض المؤلف التنبيهُ إلى أعراضٍ أوجَبَتْ تنقُّصَ الشعر، وأن النثر سالمٌ من تلك الأعراض، وأنه وإن شغَلَ أصحابَهُ عن عظائم الأمور، لم يخلُ من إفادتهم قبولاً في قومهم، ونفعاً يجرُّهُ إليهم، وقد **قال بعضُ شعراءِ بكرِ بنِ وائل**[4]:

---

(١) دلائل الإعجاز ص٥ ـ ٢٨.

(٢) ١/ ١٧٠، طبعة المطبعة الرحمانية، على تحريف في كتبه. (المؤلف).

قلت: وفي طبعة الأستاذ عبد السلام هارون ١/ ٢٤١، ٤/ ٨٣.

(٣) في البيان: (ولقد وضع قول الشعر).

(٤) كذا في الأغاني ٩/ ١٧٦، وهو الموج التغلبي كما في معجم الشعراء، للمرزباني ص٤٥٢، والمؤتلف والمختلف، للآمدي ١/ ٨٥.

أَلْهَى بني تَغْلِبٍ عن كلِّ مَكْرُمَةٍ قصيدةٌ قالَهَا عمرو بن كُلْثُومِ
يُفَاخِرُون بها مُذْ كان أَوَّلُهُم يا للرِّجَالِ لشعرٍ غيرِ مَسؤومِ

ووقع في كلام المؤلف (**مكسِبة**) وهو بفتح الميم وكسر السين، اسم مصدرٍ لمعنى الكسب؛ أي: سبب كسب.

ووقع في كلامه لفظ (**السُّوَق**) وهو بضم السين وفتح الواو، بوزن صرد، اسم جمع سُوقة، والسوقة: اسمٌ للجماعة المنسوبةِ إلى السُّوق، وهم العَامَّةُ من الناس[1].

و(**العِلْية**) بكسر العين وسكون اللام، الجماعة المُعتَلون، أهلُ الرِّفْعَةِ والخصوصِيَّةِ.

(ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم؛ أن الإعجازَ من الله تعالى جَدُّهُ، والتحدي من الرسول ﷺ، وقعا فيه دون النَّظْمِ، يكشف[2] ذلك أن معجزاتِ الأنبياء ﷺ في أوقاتهم، كانت من جنس ما كانت أُمَمُهُم يُولَعُون به في حينهم، ويغلِبُ على طبائِعِهم، وبأشرف ذلك الجنس. على ذلك كانت مُعْجِزَةُ موسى ﷺ؛ لأنها ظَهَرت عليه وزمَنُهُ زَمَنُ السِّحْرِ والسَّحَرَةِ، فصارت من ذلك الجنسِ وبأشرفه. وكذلك كان حالُ عيسى ﷺ؛ لأن زمنَه كان زمنَ الطِّبِّ فكانت معجزتُه، وهي إحياءُ الموتى، من ذلك الجنس وبأشرفه. فلما كان زمنُ النبي ﷺ زمنَ الفصاحة والبيان، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يُولَعون به وبأشرفه، فتحدَّاهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً.

وقد قال الله ﷻ في تنزيهِ[3] النبي ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى

---

(١) قال الجوهري: «السُّوقة: الرعية وخلاف الملك». قال ابن منظور: «وكثير من الناس يظنون أن السوقة أهل الأسواق». الصحاح واللسان: (سوق). **وينظر**: التكملة، للجواليقي ص٨٥٢.

(٢) «ج»: (فيكشف).

(٣) «س»: (تنويه).

لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. **وقال أيضاً:** ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦]. **ولما كان الأمر على ما بَيَّنَّاه، وجب أن يكون النثرُ أرفع شأناً، وأعلى سَمْكاً وبِناءً من النَّظْمِ، وأن يكون مُزاوِلُهُ كذلك، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها).**

ساق المؤلف هذا الكلام؛ كتكملةٍ للسبب الثاني في تفضيل النَّثْرِ على الشعر، وكان حَقُّهُ أن يُجْعَلَ سبباً ثالثاً، فقد عَدَّهُ ابنُ الأثيرِ في «الجامع الكبير» سبباً مستَقِلاً. وهو أيضاً راجعٌ إلى التفاضُلِ بين الصناعتين، خارجٌ عن مقام النقد، وحاصلٌ بهذا أن فضلَ النثر على الشعر، ثَبتَ له من عهد الجاهلية، وعَزَّزَهُ الإسلام.

وفي نسخة الأستانة بعد قوله: **(على أن النثر أشرف من النظم)**، زيادة: «وأن النظمَ أقصرُ درجةً من النثر»، وهي مستغنى عنها.

۞ **(وأما السببُ في قِلَّةِ المُتَرَسِّلين وكثرة المُفلِقِين، وعِزٍّ من جَمعَ بين النَّوعين مُبَرِّزاً فيهما، فهو أن مبنى «التَّرسُّلِ» على أن يكونَ واضِحَ المنْهَجِ، سَهْلَ المعنى، ممتدَّ الباع، واسع النِّطَاق، تدلُّ لوائِحُهُ على حقَائقِهِ، وظواهِرُهُ على بواطِنِه؛ إذ كان مورِدُهُ على أسماعٍ مفترِقَةٍ: من خاصِّيٍّ وعامِّيٍّ، وأفهام مختلفةٍ: من ذكِيٍّ وغبيٍّ. فمتى كان متسَهِّلاً متسَاوِقاً[1]، ومتَسلْسِلاً متجاوباً، تساوت الآذانُ في تلقِّيه، والأفهامُ في دِرَايتِهِ، والألسُنُ في روايته، فيُسْمِحُ شَارِدُهُ إذا استُدْعِي، ويتعجل وافِدُهُ إذا استُدْنِي، وإن تطاولَ أنفاسُ فصُولِهِ، وتباعدَ أطرافُ حُزُونِهِ وسُهُولِه. ومبنى «الشعر» على العكسِ من جميع ذلك؛ لأنه بُنِيَ على أوزانٍ مُقَدَّرَةٍ، وحدودٍ مقَسَّمَةٍ، وقوافٍ يُسَاقُ ما قبلَهَا إليها مهَيَّأةٍ، وعلى أن يقومَ كلُّ بيتٍ بنفسهِ غيرَ مفتَقِرٍ إلى غيرِهِ، إلا أن يكونَ مُضَمَّناً بأخيه، وهو عيبٌ فيه. فلمَّا كان**

(١) «س»: (متساوياً).

مداهُ لا يمتَدُّ بأكثرَ مِنْ مِقْدَارِ عَرُوضِهِ وضَرْبِهِ، وكلاهما قليل، وكان الشاعرُ يعمل قصيدتَهُ بيتاً بيتاً، وكُلُّ بيتٍ يتقَاضَاهُ بالاتِّحَاد، وجَبَ أن يكونَ الفضلُ في أكثرِ الأحوال في المعنى، وأن يبلغَ الشاعرُ في تلطيفِهِ والأخذِ من حواشيه، حتى يتَّسِعَ له اللفظُ، فيؤدِّيهِ على غُمُوضِهِ وخفَائِهِ - حَدّاً يصيرُ المُدرِكُ له، والمشرِفُ عليه؛ كالفائِزِ بذخيرةٍ اغتَنَمَها، والظَّافِرِ بدفينَةٍ استَخْرَجَهَا. وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر، وتباطؤُ المطلوب على المنتظرِ، فكلُّ ما يُحمَدُ في التَّرَسُّلِ ويُختَار، يُذَمُّ في الشعر ويُرفَض.

فلما اختلف المَبْنَيَانِ كما بَيَّنَّا، وكان المتولِّي لكلِّ واحِدٍ منهما يختارُ أبعدَ الغاياتِ لنفسِهِ فيه، اختلفت فيهما الإصابتان، لتبايُنِ طرفيْهِما، وتفاوُتِ قُطْرَيهِمَا، فبَعُدَ على القَرائِحِ الجمعُ بينهما).

انتقل المؤلف إلى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الإسلام، وجمع هنا الجوابَ عن مسألتين:

مسألة السَّببِ في قِلَّةِ المترسِّلين من الكُتَّاب، وكثرةِ المُفْلِقِين من الشعراء.

ومسألة السَّببِ في عِزّة من يجمعُ بين التَّرسُّلِ والشعر.

وابتدأ بجوابِ المسألة الثانية، في سبب عِزَّة الجمع بين الترسل والشعر، على عكس الترتيب الطبيعي في مسايَرةِ كلام السائل؛ لأن في الجواب عنها ما يكونُ تأصيلاً للجواب عن المسألة الأولى بقوله: «فهو أن مبنى الترسل»، إلى: «وأخص». وحاصل السبب أن مقتضى الصِّنَاعتين مختلفٌ، فكان ذلك الاختلافُ سبباً في نُدْرَةِ العقول التي تُجِيدُ كِلْتَا الصناعتين؛ لأن العنايةَ بأحدِ الأسلوبين وإجادتَهُ تُبَاعد الفكرَ عن الاهتمامِ بالآخر والاشتغالِ به، والانصرافَ والتوجه إلى إحدى الصناعتين، حتى تستوليَ على الذهن، هو أمرٌ يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها.

وقوله: **(فَيَسمحُ شارِدُهُ إذا استُدْعِي، ويَتعَجَّلُ وافِدُهُ إذا استُدْنِي)** بفتح حرفِ المضَارعة في «يسمح» و«يتعجل» مبنيين إلى الفاعل.

وأراد بـ**(الشارد)** المعنى العزيز الممتنع.

وبـ**(الوافد)** المعنى السهل. استعار الشاردَ للنادر لشَبَهِهِ في قلة حضوره، واستعار الوافِدَ للسَّهْلِ لأنه كالذي يأتي بدون استدعاء، واستعار لمحاولة اختراعِ المعنى النادر، وللتمكُّنِ من تقويمه في الذهن فِعْلَي الاستدعاء والسَّمَاح، واستعار لإبرازِ المعنى السهل بعد خُطورِهِ في الذِّهْنِ فعلي التعجل والاستدناء؛ لأن الوافد يُستدنَى للإكرام والقِرَى.

وقوله: **(وإن تطاولَ أنفاسُ فصولِهِ... إلخ)** مبالغةٌ في أحوالِ تأثيرِ التَّرَسُّلِ على الأسماعِ والأفهام؛ أي: تساوت الأفهامُ في دِرَايتِه، والألسُنُ في روايتِه، في جميع الأحوال حتى في حالة طول فِقْرَاتِه، وبُعْدِ ما بيْنَ أوائلِ قرائِنِه وأواخرِها، فالواوُ في كلامِهِ واوُ الحال، وحرفُ «إنْ» وصْليَّةٌ، مثل«لو» الوصلية، كما هي في **قولِ عَمْرِو بن مَعْدِ يكَرِبَ**[1]:

لَيسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَاعلَمْ وَإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا

وضمائرُ **(فُصُولِهِ)** و**(حُزُونِه)** و**(سُهُولِهِ)** عائدةٌ إلى التَّرَسُّل. وأثبت للفصول أنفاساً على طريقة المجاز العقلي، وإنما هي أنفاس الكاتب والتالي لذلك الترسل. وجعل للترسُّلِ حُزُوناً وسُهُولاً، استعارة لأوائل الترسُّلِ وأواخره، أوائل كلِّ فِقْرةٍ منه وأواخرها؛ لأن أولَ الشيءِ يُشبِهُ أعلى الأكَمَة، وآخِرَهُ يُشبِهُ السَّهْلَ من الجبل.

وعطف **(وعِزٍّ)** على **(قِلَّة وكثرة)**، عطف الفعلِ على الاسم الشبيهِ بالفعل، وهو كثير.

---

(١) ديوانه ص٧٩. وعمرو هو ابن معديكرب بن ربيعة الزبيدي، أبو ثور (٠٠٠ ـ ٢١هـ)، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. أسلم ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام وشهد اليرموك والقادسية. الشعر والشعراء ١/ ٣٦٠، الأعلام ٥/ ٨٦.

وجَرَّدَ **(تطاول)** من تاء التأنيث؛ لأن فاعلَه وهو «أنفاسٌ» جمعُ تكسيرٍ، فيجوز فيه حَذْفُ التاء.

وقول المؤلف: **(إلا أن يكونَ مُضَمَّناً بأخيه، وهو عيبٌ فيه)** أشارَ إلى ما يُسَمَّى عند علماءِ العَروض بـ«التضمين» وهو أن يتوقَّفَ فَهْمُ معنى البيتِ على معرفةِ الذي بعده، وهو عيبٌ في الشعر العربي، ومع ذلك وَقَعَ في شعرِ فُحُولِ الشعراء[1]، ووقع للنَّابِغَةِ في عِدَّةِ قصائد؛ **كقوله**[2]:

فهُمْ دِرْعِي التي اسْتَلأَمْتُ فيها ... وهم أصحابُ يومِ عُكَاظَ إنِّي
شَهِدْتُ لهم مَواطِنَ صَادِقَاتٍ ... شَهِدْنَ لهم بصدقِ الودِّ مِنِّي

وقوله: **(وكلُّ بيتٍ يتقاضَاهُ بالاتِّحَاد)** وقع في نسخة الأستانة مخالفةٌ بالترتيب وبالإعجام فكتب: «يتقاضَاهُ كلُّ بيتٍ بالاتِّخَاذ» بتقديم «يتقاضاه» و«بالخاء والذال» المعجمتين.

والمعنى على نسختَي المهملين: أنَّ كلَّ بيتٍ يُطالَبُ الشاعرُ بأن يجعَلَهُ متَّحِداً مع الأبيات أقرانه، ففي ذلك التَّقَاضِي زيادةُ كُلْفَةٍ للشاعرِ وعَمَل، ليُنَاسِبَ بين البيتِ وأخيه، كما **قال رؤبة**:

قد قلتَ لو كانَ له قِرَانُ[3]

فتأمَّل.

وأما (الاتخاذ) بالمعجمتين، فلا يظهرُله معنى؛ لأنَّ الشاعرَ إذا نظَمَ البيتَ فقد اتخذه، فهذا تحصيلُ حاصل.

وقوله: **(وفي مثل ذلك يحسن انْمِحَاءُ الأثر)** «انمحاء الأثر»: هو زوال آثار السائرين في الطريق، وهو كنايةٌ عن كثرة التَّرْدَادِ على الطريق

(١) قال نَشْوان الحميري: «وقد استعمله الشعراء في أشعارهم ـ أي التضمين ـ وهو أكثر من أن نستقصيه، إلا أن بعضه أهون من بعض، مثل ما جاء بعد الابتداء أو القسم». القوافي ص٢١٣.

(٢) ديوانه ص١٣٨.

(٣) سبق ذكره.

حتى لا تبين فيه آثارُ أقدامٍ معيَّنة، وقد جعَلهُ تمثيلاً لحالَةِ وَفْرَةِ المحاوِلين لانتزاعِ المعاني وتهذيبها وإفراغها في قوالبِ النظم، بحالة كثرةِ السائرين في جَادَّةِ الطريق، حتى تصيرَ الطريق صُلْبَةً لا تظهرُ فيها آثارُ أقدامِ السائرين، ولا سَنابِكُ الرِّكَاب، كما يُقَال: «بيض الطرائق»، والمعنى: أنَ في هذا العمل ومثلِه، يحسن الدَّأبُ على الطلب، ومحاولة الظفر بالغاية.

وقوله: **(وتباطؤُ المطلوبِ على المنتظرِ)**؛ أي: هذا تباطؤٌ حسنٌ غيرُ مذموم، وانتظارٌ لذيذٌ لأجل ما يجِدُهُ المنتظِرُ في أثناء انتظاره، من تَوسُّمِ نَوَالِ غُنْمٍ نَفِيسٍ، وظهورِ بشائر اقترابه، كما **قال أبو الطيب**[1]:

ومِنَ الخَيْرِ بُطْأُ سَيْبِكَ عَنِّي   أسرَعُ السُّحْبِ في المَسِيرِ الجَهَامُ

۞ **(يكشف ذلك أنَّ الرَّجَزَ وإنْ خالفَ القصيد[2] مخالفةً قريبةً ترجعُ إلى تقطيع شَأْو اللَّفْظِ فيه، وتزاحُمِ السَّجْعِ عليه، قَلَّ عددُ الجامعين بينهما، لتقاصُرِ الطِّبَاع عن الإحاطة بهما. فإذا كان الرَّجَزُ والقصيد مع أنهما من وادٍ واحدٍ، أفضت الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلتُ على خلاف يسير بينهما ـ فالنثر والنظم وهما في طرفين ضِدَّيْنِ، وعلى حالتين متباينتين ـ أَوْلَى وأخصُّ))**.

كان العرب قد خصوا الرجزَ بأغراضٍ غيرِ مُهِمَّةٍ، وهي الحُدَاء، والمَتْحُ على المياه، وترقيص الأمهات أطفالَهن[3]. وكانوا ينظمونه في حالةٍ عَجلةٍ وكيفما اتفق؛ فلذلك لم يكن يعبأُ به الشعراء، وربما ارتجز البطل عند الخروج إلى صَفِّ المقاتلة، يُرهِبُ الناسَ بما يذكرُهُ من بأسه،

---

(١) ديوانه ٤/ ١٠٠.

(٢) **ينظر في الفرق بين الرجز والقصيد**: البيان والتبيين ١/ ٣٨٧، العمدة ١/ ٢٩٢، رسالة الغفران ص٣٢٠، طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٥٧، حاشية البغدادي على شرح ابن هشام على بانت سعاد ١/ ٤٦، الحور العين ص٨٦، فتح الباري، لابن حجر ١٠/ ٦٦١.

(٣) **ينظر**: البيان والتبيين ٣/ ٦.

إلى أن ظهر منهم الرُّجَّاز المجيدون، مثل العَجَّاج وابنه رُؤْبَة وابنه عقبة وأبي النَّجْم، وكانوا كلُّهم من أهل البداوة، فبقي الرَّجَزُ شعارَ الأديبِ البدوي، ولم يُبَرِّزْ فيه أهلُ الحضر، وقد عُدَّ من مقدرةِ بَشَّار بن برد، أنه ارتجز بأراجيزَ فاق فيها مشاهير الرُّجَّاز، **مثل أرجوزته الطويلة**[1]:

يا طَلَلَ الحَيِّ بِذَاتِ الصَّمْدِ بِاللّهِ حَدِّثْ كيفَ عُدْتَ بعدِي

وقصتُهُ فيها مع عقبة بن رؤبة، مذكورةٌ في ترجمة بشار.

❁ **(وأمَّا السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء، ونباهَةِ أولئك وخُمولِ هؤلاء)**.

هذا جوابٌ عن المسألة الأولى في كلام السائل، وأراد بالبُلَغَاءِ الكُتَّاب البلغاء، كما يُبَيِّنُهُ قولُه: **(وكثرةِ الشعراء)**، وقولُه: (منها أن المترسِّلَ محتاجٌ... إلخ)، ويبيِّنُهُ أيضاً أنَّهُ موضوعُ البحثِ، لقوله في حكاية السُّؤال: (معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبةِ الكتَّاب البلغاء، والعذرِ في قِلَّةِ المترسِّلين وكثرةِ المفلِقين). وقد تقدم وجهُ هذه العبارةِ عند شرح قوله: (اعلم أن تأخرَ الشعراء عن رتبة البلغاء... إلخ).

وكأنَّ اللامَ في **(البلغاء)** للعهد؛ لأنه لما ذكرَ في صدرِ المقدِّمة رغبةَ السَّائِلِ الكشفَ عمَّا تحيَّرَ فيه، قال هنالك: (وقلت أيضاً: أتمنى أن أعرفَ السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء)، وسببُ ذلك كلِّه أنَّ أغلبَ المترسِّلين كانوا في عِدَادِ كُتَّابِ الدَّوْلة، فصار الترسّل مقارناً في الأذهان بصِناعة الكُتَّاب التي لها نباهةٌ في الدولة، ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الإسلام، اكتفاءً بما ذَكره من فضل الخَطَابة في العصر الجاهلي، واعتداداً بأنَّ الكتابةَ غَطَّتْ على الخطابة وغَمرتها بين أهل الدولة.

---

(١) ديوان ٢/١٥٦. وقد أثبت ابن عاشور في شرحه للديوان: (الضمد) بالضاد المعجمة، وأشار إلى هذه الرواية في الحاشية.

و(**النباهة**) مصدر نَبُهَ بضم الباء، ويجوز فيها الفتح والكسر، وهي الشرَفُ وعلوُّ القدر.

(**والخُمُول**) ضد النباهة، ولم يصرِّحْ بحركة الخاء منه، ولكن قياسه ضم الخاء؛ لأن مصدر فَعَلَ المفتوح العين اللازم، يكون على وزن فُعُول بضم الفاء باطرادٍ، إلا في أفعال الامتناع، وأفعال الاضطراب، وأفعال الأدْوَاء[١].

(فهو أن المترسِّلَ محتاجٌ إلى مُراعَاةِ أُمُورٍ كثيرةٍ، إن أهملَها أو أهمل شيئاً منها رَجعَت النَّقِيصَةُ إليه، وتوجَّهَت اللائِمَةُ عليه).

يُبيِّنُ كلامَ المؤلِّفِ هنا، كلامٌ صَدَرَ عن ابن الأثير في «الفصل الثاني» من مقدمة «المثل السائر» إذ قال: «وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعَلَّقَ بكلِّ علم، حتى قيل: كل ذي علم يسُوغُ له أن ينسِب نفسَهُ إليه، فيقول: فلانٌ النَّحْوي، وفلانٌ الفقيه، وفلانٌ المتكلِّم، ولا يسوغُ له أن ينسِب نفسَهُ إلى الكتابة، وذلك لما يفتقر إليه من الخواصِّ في كل فن»[٢].

وذكر ابنُ الأثير أن فَنَّ الكتابة يفتقِرُ إلى سبعةِ أنواعٍ من الآلات[٣]: هي علومُ العربية، وعلم اللغة، وأمثالُ العرب، والاطلاعُ على تآليف من تَقَدَّمَهُ من أربَابِ الصناعةِ المنظومةِ والمنثورة، ومعرفةُ الأحكام السُّلطانيَّة، وحفظُ القرآن، وحفظُ ما يُحتَاج إليه من الأخبار الواردةِ عن النبي ﷺ. وقال القَلْقَشَنْدِي[٤] في «صُبْحِ الأعشى»[٥]: «إن كاتبَ الإنشاء

---

(١) **ينظر**: فتح الأقفال بشرح لامية الأفعال ص١٨٤.

(٢) المثل السائر ١/ ٥٥. (٣) المثل السائر ١/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٤) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ)، المؤرخ الأديب البحاثة، أفضل تصانيفه: «صبح الأعشى» في عدة فنون من التاريخ والأدب ووصف البلدان. الأعلام ١/ ١٧٧، تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ ٣/ ٨٣٢.

(٥) صبح الأعشى ١/ ١٤٥.

في الحقيقة لا يستغني عن علم، ولا يسَعُهُ الوقوفُ عند فن». وعلى هذا الاعتبار تَوَسَّعَ القَلْقَشَنْدِي، فألَّفَ كتابَهُ «صبح الأعشى في صناعة[1] الإنشا» في عشرين جزءاً.

وقال[2]: «واعلم أن كاتبَ الإنشاء وإن كان يحتاج إلى التعلُّقِ بجميع العلوم، فليس احتياجُهُ إلى ذلك على حَدٍّ واحد، بل منها ما يحتاج إليه بطريق الذات، وهي موادُّ الإنشاءِ التي يستَمِدُّ منها؛ كاللغة والنحو والبلاغة، ومنها ما يحتاج إليه بطريقِ العرَض؛ كالطِّبِّ والهندسة، فإنه يحتاج إلى الألفاظِ الدَّائرةِ بين أهل كلِّ علم، وإلى معرفةِ المشهورين من أهلِه ومشاهيرِ الكتب المصنَّفَةِ فيه، بل ربما احتاج إلى معرفةِ مصطَلَحِ سَفَلِ الناس لكتابة أمور هَزْلِيَّة... إلخ». وهذا الكلامُ تقييدٌ لإطلاقِ كلامِ ابنِ الأثير.

وأقول: إن الكتَّابَ المشروطةَ فيهم هذه الشروط، هم كُتَّابُ الرسائل السلطانيَّة، ومن كان في مرتبتهم، وهم الذين منهم تختار الوزراء، دون أصنافٍ آخرين من الكتَّاب، مثل القاضي وكاتبِ الخراج وكاتبِ الجند وكاتبِ الحساب وغيرهم، وهم مراتبُ وشروطُهُم كذلك، وهي منحصِرةٌ فيما به إجادةُ عملهم[3].

۞ **(منها تبيُّنُ مقادير من يكتب عنه وإليه، حتى لا يرفع وضيعاً[4]).**

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملُها في تصاريفه، حتى تجيءَ لائقةً بمن يخاطَب بها، مفخَّمَةً لحضرة سلطانه التي يصدُرُ عنها.

ومنها أن يعرفَ أحوالَ الزمان، وعَوَارِضَ الحدَثَان، فيتصرَّف معها على مقاديرها في النَّقْض والإبرام، والبَسْط والانقباض.

---

(١) في الأصل: (في كتابة الإنشاء)، والمثبت من «ج» وهو الصواب.
(٢) ١/١٤٦. (المؤلف).
(٣) انظر: صبح الأعشى ١/١٤٣. (المؤلف).
(٤) «س»: (حتى لا يرفع وضيعاً، ولا يضع رفيعاً).

ومنها أن يعلمَ أوقات الإسهابِ والتطويل، والإيجاز والتخفيف، فقد يتَّفِق ما يحتاج فيه إلى الإكثار، حتى يستغرقَ في الرسالة الواحدةِ أقدارَ القصائدِ الطويلة، ويتفقَ أيضاً ما تغني فيه الإشارة، وما يجري مَجْرَى الوَحْيِ في الدِّلالة.

ومنها أن يعرفَ من أحكام الشريعة ما يقف به على سَوَاء السَّبيل؛ فلا يَشتطَّ في الحكومة، ولا يعدِل فيما يخُطُّ عن المحجّة. فهو إنما يترسَّلُ في عُهُود الوُلاة والقضاة، وتأكيد البَيْعَةِ والأيمان، وعِمَارة البُلدان، وإصلاحِ فسادٍ، وتحريضٍ على الجهاد، وسَدِّ ثُغُورٍ، ورَتْقِ فُتُوقٍ، واحتجاجٍ على فِئَةٍ، أو مجادلةٍ لِملَّةٍ، أو دُعَاءٍ إلى أُلْفَةٍ، أو نهيٍ عن فُرْقَةٍ، أو تهنِئَةٍ بعطيَّةٍ، أو تعزيةٍ برزيَّةٍ، أو ما شاكلَ ذلك من جلائِلِ الخُطُوب، وعظائمِ الشؤون التي يُحتاج فيها إلى أدواتٍ كثيرةٍ، ومعرفةٍ مفتَّنَة).

أشارَ إلى أشدِّ ما يحتاجُ إليه كاتبُ الإنشاء، وهو أهم ما ذكره صاحب «صبح الأعشى» المتقدم آنفاً، ومرجع ذلك كلِّه إلى أن يكون ما يصدُرُ عن الكاتب مُصَادِفاً الصواب، سالماً من أن يَرِدَ عليه طَعْنٌ أو تَخْطِئَةٌ؛ لأنه إن عُرِّضَت الدولة إلى الطعن أو التخطئة فيما يصدر عنه، زالت حُرْمَةُ السلطان، أو نُسِبَ إلى الجَوْر.

وأراد بـ**(أحوال الزمان)** أحوالَ الناس في زمانه ليخاطبهم بما يناسب عقولَهم، ولا يحملهم على ما يعدُّونَه إرهاقاً وإعناتاً.

والمراد بـ**(النَّقْض)** إبطال عملٍ عمله الناس، أو تغيير سيرة، أو منعهم مما يريدونه.

والمراد بـ**(الإبرام)** الإلزام بفعل، والحَمْلُ على سيرةٍ خاصة، شَبَّهَ الإلزامَ بفَتْلِ الحَبْلِ، وهو الإبرام، وشَبَّهَ الإبطال بحَلِّ الحبل المفتول، قال تعالى: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢].

و**(البَسْطُ)** هو التوسعةُ في شيءٍ، وإظهار الرِّضَا عن حال.

و(**الانقباض**) التضييق في التصرُّف، وإظهار الكَراهِيَةِ من الشيء.

و(**الإسهاب**) إكثار الكلام؛ أي: الإكثار في عبارات الرسالة، وأراد به الإطناب؛ لأنه قابله بالإيجاز، وهما وصفان للتراكيب كما هو معلومٌ في علم المعاني.

و(**التطويل**) تطويلُ الرسالة بإكثار الأغراض، أو بالاستطراد ونحوه، ويُقابِلُهُ التخفيف، وهو الاقتصار على أقل ما يلزم في الغرض.

وقول المؤلف: (**فهو إنما يترسَّلُ... إلخ**) تفريعٌ على ما ذكره من قوله: (فهو أن المترسِّلَ مُحتاجٌ إلى أمورٍ كثيرة... إلخ) أتى به كالدليل على ذلك الاحتياج، ولذلك ختمه بقوله: (**التي يُحتاجُ فيها إلى أدواتٍ كثيرة، ومعرفة مفتنَّة**).

۞ (**فلما كان الأمرُ على هذا، صار وجودُ المُضْطَلِعِين بجودة النثر أعزَّ، وعدَدُهم أنزَر. وقد وسَمَتْهُم الكتابةُ بشرفها، وبَوَّأتهم منزلةَ رياسَتِها، فأخطارُهم عالية بحسب عُلوِّ صناعتهم، ومعاقدِ رياسَتِهِم، وشِدَّةِ الفاقةِ إلى كِفَايَتِهِم**).

جعل السببَ في قِلَّةِ الكتَّاب، هو السببُ أيضاً في رفعةِ شأنهم، وقد يكون للسَّببِ الواحدِ مسبِّبان فأكثر، وحاجةُ السَّلاطين والأمراء والسَّادة إلى الكتَّابِ معلومةٌ، وفي تضاعيفِ شواهدِ التاريخ منها كثيرٌ. وقصَّةُ غَنَاء عبدِ الله بن المقَفَّعِ[1] الكاتبِ عن مخدومِهِ عليِّ بن عبد الله بن عباس[2]،

(١) عبد الله بن المقفع (١٠٦ ـ ١٤٢هـ)، رأس الكُتّاب، ومن أول من عني بترجمة كتب المنطق، أسلم على يد السفاح ـ الآتية ترجمته ـ وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وقد اتهم بالزندقة. سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٨، الأعلام ١/١٤٠.

(٢) علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو محمد (٤٠ ـ ١١٨هـ)، جد الخلفاء العباسيين، كان كثير العبادة والصلاة فغلب عليه لقب «السجَّاد». سير أعلام النبلاء ٥/٢٨٤، الأعلام ٤/٣٠٢.

في صَدِّهِ كَيْدَ السَّفَّاح[١] عنه بما كتبه له من صيغة الأمان، الذي رضي السَّفَّاحُ ببذلِهِ لَعَمِّهِ علي بن عبد الله بن عباس ـ مذكورةٌ في ترجمة ابن المقفَّع، ويُقال: هي كانت سببَ نكبة ابنِ المقفَّع.

وذكر الحريريُّ في المقامة «٢٢»[٢] بعضَ مزايا الكتَّابِ أهلِ الإنشاء، وبعضَ وجوه الحاجةِ إليهم، فقال: «والمنشئُ جُهَيْنَةُ الأخبار، وحقيبةُ الأسرار، ونَجِيُّ العظماء، وكبيرُ النُّدَمَاء، وقلَمُهُ لسانُ الدَّوْلَة، وفارِسُ الجَوْلَة، ولُقْمَانُ الحِكْمَة، وتَرجُمان الهِمَّة، وهو البشير النذير، والشفيع السَّفِير، به تُستَخلَصُ الصَّيَاصي، وتُملَكُ النَّواصي، ويُقتَادُ العاصي، ويُستدنَى القاصي، وصاحِبُهُ بريءٌ من التَّبِعَات، آمنٌ كَيْدَ السُّعَاة».

وفي «صُبح الأعشَى»: من كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد: «للكُتَّاب أقَرَّت الملوكُ بالفَاقَةِ والحاجة، وإليهم ألْقَوا الأعِنَّةَ والأزِمَّةَ، وبهم اعتصموا في النَّازِلَةِ والنَّكْبة، وعليهم اتَّكلوا[٣] في الأهلِ والولد، والذَّخائِرِ والعُقَد، وَوِلايةِ العهد، وتدبيرِ المُلْك، وقِرَاعِ الأعداء، وتوفيرِ الفَيء، وحِيَاطَةِ الحَرِيمِ، وحفظِ الأسرارِ، وترتيبِ المراتبِ، ونظمِ الحروبِ».

۞ (والشعراء إنما أغراضُهم التي يُسدِّدُون نحوَها، وغاياتهم التي ينزِعُون إليها، وصفُ الدِّيَار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان، والتَّشْبيبُ بالنساء، والتَّلْطِيف في الاجتداء، والتَّفَنُّن في المديح والهجاء،

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس (١٠٤ ـ ١٣٦هـ)، أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب، لقب بالسَّفَّاح لكثرة ما سفح من دماء الأمويين. سير أعلام النبلاء ٦/ ٧٧، الأعلام ٤/ ١١٦.

(٢) المقامة الفراتية، ص١٦١، ١٦٢.

(٣) **ينظر في استعمال التوكل هنا**: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠.

والمبالغةُ في التشبيه والأوصاف. فإذا كان كذلك لم يتدانَو في المِضْمَار، ولا تقاربوا في الأقدار[١].

وإذ قد أتينا بما أردنا، ووفينا بما وعدنا، فإنا نشتغل بما هو القَصْدُ من شرح الاختيار، والله الموفِّقُ للصواب، والصلاةُ والسلام على رسوله وآله الأخيار).

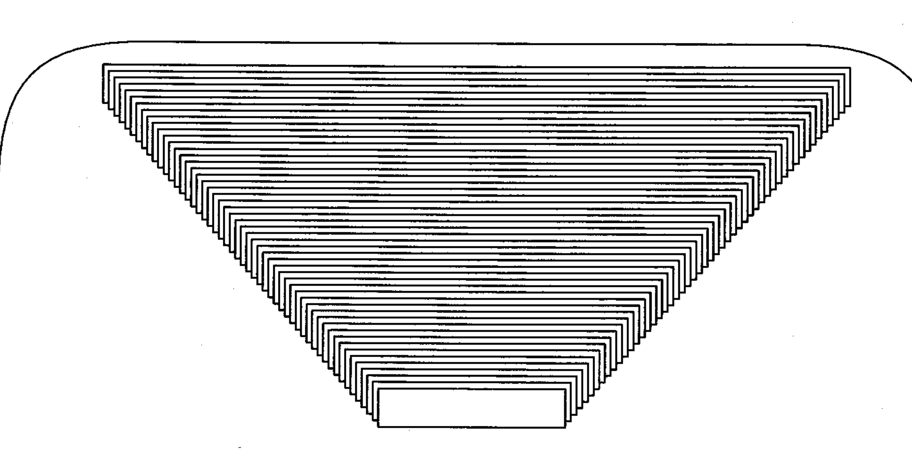
أشار إلى أن أغراضَ الشعراء وإن كانت رائقَةً للنفوس، ومرغوبةً عند أهلِ الذَّوْقِ السليم، فإن للكُتَّابِ المرتبةَ المَهِيبَةَ، والآثارَ العجيبة.

- انتهى -

حَرَّرَهُ: محمد الطاهر ابن عاشور[٢]

(١) «س»: زيادة (وهذا القول كاف).

(٢) «ج»: زيادة (شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس).



الفهارس

١ ـ فهرس الآيات.

٢ ـ فهرس الأحاديث.

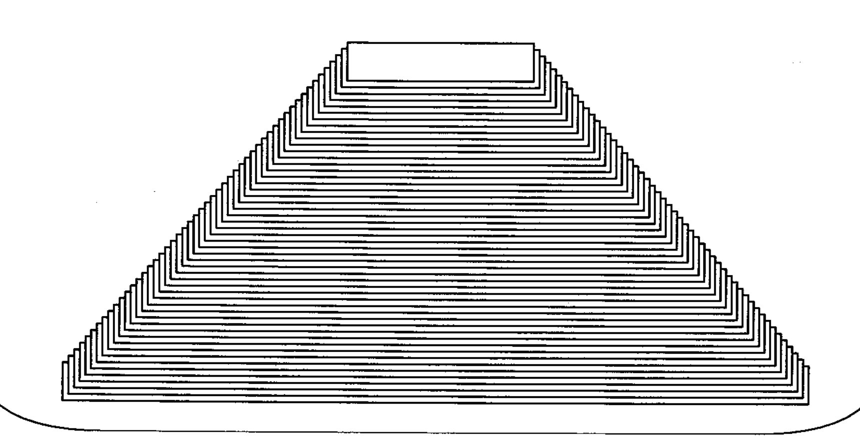
٣ ـ فهرس الأعلام.

٤ ـ فهرس الشعر والرجز.

٥ ـ فهرس الكتب.

٦ ـ فهرس مراجع التحقيق.

٧ ـ فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الشِّعر والرَّجَز

القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
حمقا	البسيط	حسان	٢	١٥٠
اللقالقِ	الطويل	المتنبي	١	١٦٦
خرقك	المنسرح	أبو تمام	١	١٣٥
العلقْ	الرجز	امرئ القيس	١	١٧٩
قلاقلُ	الطويل	المتنبي	١	٧٧
القبائل	الطويل	النابغة	١	١٠١
مشاغيل	البسيط	عبد الله بن السمط	١	١٧١
شاغله	الطويل	جرير	١	١٧٢
أثقلُ	الطويل	أبو تمام	١	١٢٦
مغزلُ	الكامل	المعري	١	١٥٨، ١٧٧
ميالا	البسيط	أمية بن أبي الصلت	٢	١٦٥
محولِ	الطويل	امرئ القيس	٢	١٠٨
بمائل	الطويل	المعري	٣	١٢١
دخيل	الطويل	أبو البيداء الرياحي	١	١٤٣
محال	الوافر	المتنبي	٢	١٤٧
الناقل	المتقارب	المتنبي	١	١٧٠
وائل	الطويل	مصقلة بن هبيرة	١	١٧٢
مواليها	البسيط	جرير	١	١٦٧
غفلْ	الطويل	هذيل الأشجعي	١	١٦٧
تدومُ	الوافر	الأرَّجاني	١	٩٠
الغرام	الوافر	المتنبي	١	١٠٧، ١١٤
الإظلام	الكامل	أشجع السلمي	٢	١١٥
شيظم	المتقارب	أحمد بن جحدر	١	١٦١
الديم	البسيط	زهير	١	١٦٩
الكرْم	الطويل	ابن الفارض	١	١٧٠
الجهام	الخفيف	المتنبي	١	١٨٧
نجومها	الطويل	؟	١	١٦٤
ضرامها	الكامل	لبيد	٢	١٦٧
دما	الطويل	بشار	١	١١٢

أنصاف الأبيات

فهرس الكتب

المراجع

١ ـ **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**: الدكتور عبد الله الريس (رسالة دكتوراه ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين) ١٤٠٨هـ.

٢ ـ **أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية**: محمد عبد الخالق عظيمة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣ ـ **الإتباع**: أبو الطيب اللغوي، حققه عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.

٤ ـ **إتحاف الألباب بفصل الخطاب**: ابن الأمين الجزائري، تحقيق الدكتور أحمد البقري، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٤٠٨هـ.

٥ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦ ـ **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**: جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٧ ـ **أحكام القرآن**: أبو بكر ابن العربي، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

٨ ـ **إحكام صنعة الكلام**: أبو القاسم الكلاعي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت.

٩ ـ **أخبار أبي تمام**: أبو بكر الصولي، حققه محمد عبده عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

١٠ ـ **آداب البحث والمناظرة**: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق سعود العريفي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١١ ـ **الآداب الشرعية والمنح المرعية**: ابن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢ ـ **أدب الكاتب**: أبو محمد ابن قتيبة، حققه محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٣ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٤ ـ **أساس البلاغة**: الزمخشري، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٥ ـ **أسرار البلاغة**: عبد القاهر الجرجاني، علق حواشيه محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٦ ـ **أسرار البلاغة**: عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٧ ـ **أسرار الحماسة**: سيد علي المرصفي، مطبع أبي الهول، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٠هـ.

١٨ ـ **الاشتقاق**: أبو بكر ابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثالثة.

١٩ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد، وزميله، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.

٢٠ ـ **الاعتراض على الحريري**: ابن الخشاب البغدادي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٩هـ.

٢١ ـ **إعجاز القرآن**: أبو بكر الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.

٢٢ ـ **أعلام**: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، للدكتور محمد العزيز ابن عاشور، دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول، ١٩٩٠م.

٢٣ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٢٤ ـ **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية.

٢٥ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر العقل، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

٢٦ ـ **ألفاظ العموم والشمول**: أبو علي المرزوقي، تحقيق إبراهيم السامرائي (ضمن مجموع رسائل)، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٧ ـ **أليس الصبح بقريب**: محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

٢٨ - **الأم**: الإمام الشافعي، تصحيح محمد زهري النجار، الطبعة الأولى، شركة الطباعة الفنية، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٢٩ - **الأمالي**: أبو علي القالي، تصوير دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٣٠ - **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣١ - **الانتصار**: للحريري: أبو محمد ابن برِّي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٩هـ.

٣٢ - **الأنواء**: أبو محمد ابن قتيبة، نشر محمد حميد الله وزميله، طبع حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.

٣٣ - **أنوار الربيع في أنواع البديع**: ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شاكر، مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٣٤ - **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**: ابن هشام الأنصاري، شرحه محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٥ - **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**: إسماعيل باشا البغدادي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٦ - **الإيضاح في علوم البلاغة**: الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٧ - **بحوث وتحقيقات**: العلامة عبد العزيز الميمني، أعدها للنشر محمد عزير شمس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٣٨ - **بدائع البدائه**: علي بن ظافر الأزدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٩ - **البداية والنهاية**: ابن كثير، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

٤٠ - **البديع في نقد الشعر**: أسامة بن منقذ، حققه عبدآ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤١ - **البديع**: عبدالله بن المعتز، عني به كراتشقوفسكي.

٤٢ - **البرهان في علوم القرآن**: بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، تصوير دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٤٣ - **البرهان في وجوه البيان**: أبو الحسين الكاتب، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، بغداد، ١٣٨٧هـ.

٤٤ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٤٥ ـ **بلاغة القرآن**: محمد الخضر حسين، إعداد علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ.

٤٦ ـ **البلاغة عند السكاكي**: الدكتور أحمد مطلوب، دار التضامن، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.

٤٧ ـ **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**: محمود شكري الألوسي، عني بشرحه محمد بهجة الأثري، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨ ـ **بهجة المجالس وأنس المجالس**: أبو عمر ابن عبد البر، الدار المصرية للتأليف والنشر.

٤٩ ـ **البيان والتبيين**: عمرو بن عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

٥٠ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد مرتضى الزبيدي، طبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ.

٥١ ـ **تاريخ الأدب العربي في العراق**: عباس العزاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨١هـ.

٥٢ ـ **تاريخ الأدب العربي**: الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

٥٣ ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**: الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى المزيدة، ١٩٩٧م.

٥٤ ـ **تاريخ الطبري**: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

٥٥ ـ **تاريخ بغداد**: الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٦ ـ **تاريخ دمشق**: ابن عساكر، تحقيق محب الدين العمري، دار الفكر، ١٤١٩هـ.

٥٧ ـ **التبيان في شرح الديوان**: أبو البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السقا، وصاحباه، مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩١هـ.

٥٨ ـ **التبيان في علم المعاني والبديع والبيان**: شرف الدين الطيبي، تحقيق الدكتور هادي الهلالي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٩ ـ **تحرير التحبير**: ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٣٨٣هـ.

٦٠ ـ **تذكرة الحفاظ**: الذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي، دار الفكر العربي.

٦١ ـ **تذكرة الكاتب**: أسعد داغر، دار العرب، القاهرة.

٦٢ ـ **التراتيب الإدارية**: عبد الحي الكتاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٣ ـ **تراجم المؤلفين التونسيين**: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٤ ـ **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**: صلاح الدين الصفدي، حققه السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٥ ـ **تعريف القدماء بأبي العلاء**: جمع وتحقيق عبد السلام هارون وجماعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ.

٦٦ ـ **التعريفات**: الشريف الجرجاني، تحقيق الدكتور محمد المرعشلي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٦٧ ـ **التعليق والاستدراك**: العلامة عبد الرحمن البراك، إعداد الدكتور عبد المحسن العسكر. ـ مخطوط ـ.

٦٨ ـ **تفسير التحرير والتنوير**: محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس.

٦٩ ـ **تفسير الرازي (التفسير الكبير)**: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠ ـ **تفسير القرآن العظيم**: الحافظ ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٧١ ـ **تفسير الكشاف**: جار الله محمود الزمخشري، ضبطه محمد عبد السلام شاهين، توزيع مكتبة عباس الباز، مكة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٧٢ ـ **التكملة والذيل على درة الغواص**: الجواليقي، تحقيق عبد الحفيظ القرني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٧٣ ـ **التمثيل والمحاضرة**: أبو منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

٧٤ ـ **تهذيب اللغة**: أبو منصور الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون وجماعة، الدار المصرية للتأليف، ١٣٨٤هـ.

٧٥ ـ **تونس وجامع الزيتونة**: محمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا الحسيني، ١٣٩١هـ.

٧٦ ـ **جامع الرسائل**: لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٧٧ ـ **الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٧٨ ـ **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، وزميله، بغداد، ١٣٧٥هـ.

٧٩ ـ **الجليس الصالح والأنيس الناصح**: المعافى بن زكريا الجريري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٠ ـ **جمع الجوامع**: تاج الدين السبكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٦هـ.

٨١ ـ **جمهرة أشعار العرب**: أبو زيد القرشي، ضبطه الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٨٢ ـ **جمهرة الأمثال**: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزميله، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٨٣ ـ **جمهرة أنساب العرب**: أبو محمد ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة السادسة.

٨٤ ـ **جوامع الشعر**: الفارابي، تحقيق الدكتور محمد سليم سالم، القاهرة الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.

٨٥ ـ **حاشية الباجوري على السلّم المنورق في النطق**: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٤٧هـ.

٨٦ ـ **حاشية البغدادي على شرح بانت سعاد** لابن هشام، تحقيق نظيف محرم خواجة، نشر دار فرانتس شتاينر، ألمانيا، ١٤٠٠هـ.

٨٧ ـ **حاشية الدسوقي** (ضمن شروح التلخيص).

٨٨ ـ **حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي**: دار الطباعة العامرة، بولاق ١٢٨٣هـ.

٨٩ ـ **حاشية الشهاب الخفاجي على درة الغواص**: تحقيق عبد الحفيظ القرني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٩٠ ـ **حاشية المحلي على جمع الجوامع (مطبوع مع حاشية البناني)**: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٦هـ.

٩١ ـ **حاشية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على بلوغ المرام**: اعتنى بها عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الامتياز، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٩٢ ـ **حديث قس بن ساعدة**: ابن درستويه النحوي، تحقيق محمد عزير شمس (ضمن روائع التراث)، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٩٣ ـ **حسن التوسل إلى صناعة الترسل**: شهاب الدين الحلبي، تحقيق الدكتور أكرم عثمان يوسف، بغداد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.

٩٤ ـ **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**: أبو علي الحاتمي، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، بغداد، ١٩٧٩م.

٩٥ ـ **حماسة أبي تمام وشروحها**: الدكتور عبد الله عسيلان، دار اللواء، الرياض، ١٣٩٩هـ.

٩٦ ـ **الحماسة**: أبو تمام، تحقيق الدكتور عبد الله عسيلان، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.

٩٧ ـ **الحور العين**: نشوان الحميري، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٩٨ ـ **الحيوان**: أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.

٩٩ ـ **خزانة الأدب وغاية الأرب**: ابن حجة النحوي، شرح عصام شعيتو، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٠٠ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٠١ ـ **الخصائص**: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرابعة، ١٩٩٩م.

١٠٢ ـ **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**: محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة.

١٠٣ ـ **درة الغواص**: القاسم بن علي الحريري، تحقيق عبد الحفيظ القرني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٠٤ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٠هـ.

١٠٥ ـ **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

١٠٦ ـ **ديوان ابن الفارض**: تصوير دار الفكر، بيروت.

١٠٧ ـ **ديوان ابن زيدون ورسائله**: شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

١٠٨ ـ **ديوان ابن هانئ الأندلسي**: دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٠٩ ـ **ديوان أبي العباس الصولي** (ضمن الطرائف الأدبية) صححه وشرحه عبد العزيز الميمني، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٠ ـ **ديوان أبي العتاهية**: تحقيق الدكتور شكري فيصل: جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ.

١١١ ـ **ديوان أبي العتاهية**: قدم له مجيد طراد، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١١٢ ـ **ديوان أبي العلاء** (سقط الزند): تحقيق عبد السلام هارون، وجماعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ.

١١٣ ـ **ديوان أبي النجم العجلي**: صنعه وشرحه علاء الدين أغا، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ.

١١٤ ـ **ديوان أبي تمام** بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.

١١٥ ـ **ديوان أبي تمام**: تحقيق محيي الدين الخياط.

١١٦ ـ **ديوان أبي فراس الحمداني**: رواية ابن خالويه، عني بجمعه وشرحه الدكتور سامي الدهان، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م.

١١٧ ـ **ديوان أبي نواس**: تحقيق أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ.

١١٨ ـ **ديوان الأرجاني**: تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى، منشورات وزارة الثقافة والإعلان ـ العراق ١٩٨١م.

١١٩ ـ **ديوان الأعشى الكبير**: شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٢٠ ـ **ديوان البحتري**: تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

١٢١ ـ **ديوان تأبط شراً وأخباره**: جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢٢ ـ **ديوان الحارث بن حلزة**: إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٢٣ ـ **ديوان الخضر حسين** (خواطر الحياة)، حققه وعلق عليه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.

١٢٤ ـ **ديوان العجاج**: رواية عبد الملك الأصمعي وشرحه، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق.

١٢٥ ـ **ديوان المتلمس الضبعي**: رواية الأثرم وأبي عبيد عن الأصمعي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، ١٣٩٠هـ.
١٢٦ ـ **ديوان المتنبي**: دار الجيل، مصر.
١٢٧ ـ **ديوان المعاني**: أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٢٨ ـ **ديوان النابغة الذبياني**: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.
١٢٩ ـ **ديوان النابغة الذبياني**: شرحه الشيخ ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.
١٣٠ ـ **ديوان النمر بن تولب**: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
١٣١ ـ **ديوان الوليد بن يزيد**: جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١٣٢ ـ **ديوان امرئ القيس**: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
١٣٣ ـ **ديوان أمية بن أبي الصلت**: جمع وتحقيق ودراسة، صنعة الدكتور عبد الحفيظ السطلي.
١٣٤ ـ **ديوان بشار بن برد**: جمعه وشرحه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.
١٣٥ ـ **ديوان بشر بن أبي خازم**: قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهواري، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٧م.
١٣٦ ـ **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**: تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.
١٣٧ ـ **ديوان جميل**: جمع وتحقيق وشرح الدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.
١٣٨ ـ **ديوان حافظ إبراهيم**: ضبطه وصححه وشرحه: أحمد أمين وزملاءه، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.
١٣٩ ـ **ديوان حسان بن ثابت**: تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
١٤٠ ـ **ديوان حسان بن ثابت**: شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤١ ـ **ديوان ذي الرمة**: شرح الإمام الباهلي، رواية ثعلب، حققه الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٤٢ ـ **ديوان زهير بن أبي سلمى** (مع شرح البطليوسي): تحقيق ناصيف سليمان عواد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
١٤٣ ـ **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**: دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ.
١٤٤ ـ **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، وزميله، المكتبة الأزهرية، مصر.
١٤٥ ـ **ديوان عمرو بن معديكرب**: جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٤٦ ـ **ديوان كثير عزة**: جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ.
١٤٧ ـ **ديوان لبيد**: دار صادر، بيروت.
١٤٨ ـ **الذخيرة في محاسن الجزيرة**: ابن بسام، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٤٩ ـ **ذيل الأمالي**: أبو علي القالي، تصوير دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
١٥٠ ـ **ربيع الأبرار وفصوص الأخبار**: الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
١٥١ ـ **رسائل بديع الزمان الهمذاني** (مع شرحها كشف المعاني والبيان).
١٥٢ ـ **رسالة الانتقاد**: ابن شرف القيرواني (ضمن رسائل البلغاء) جمع محمد كرد علي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٣١هـ.
١٥٣ ـ **رسالة الغفران**: أبو العلاء المعري، تحقيق وشرح عائشة «بنت الشاطئ»، دار المعارف، مصر، الطبعة العاشرة.
١٥٤ ـ **رسالة في الرد على الهاتف من بعد** (ضمن رسائل ابن حزم): تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
١٥٥ ـ **رغبة الآمل من كتاب الكامل**: سيد بن علي المرصفي، مطبعة النهضة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ.
١٥٦ ـ **الزاهر في معاني كلمات الناس**: أبو بكر الأنباري، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، دار البشائر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
١٥٧ ـ **زهر الآداب وثمر الألباب**: أبو إسحاق الحصري القيرواني، تحقيق الدكتور زكي مبارك، دار الجيل، بيروت.

١٥٨ ـ **السبعة في القراءات**: ابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

١٥٩ ـ **سر الفصاحة**: ابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٦٠ ـ **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**: ابن نباتة المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٦١ ـ **سلسلة مشاهير التونسيين**: الرسالة رقم (١٥٦) للأستاذ محمد بوذينة، تونس.

١٦٢ ـ **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**: أبو عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الحديث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٦٣ ـ **سنن أبي داود** (مع عون المعبود): تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

١٦٤ ـ **سنن البيهقي** (السنن الكبرى): تصوير دار المعرفة، بيروت.

١٦٥ ـ **سنن الترمذي**: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٦ ـ **سير أعلام النبلاء**: الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٦٧ ـ **سيرة النبي ﷺ**: أبو محمد ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٦٨ ـ **شرح البطليوسي على ديوان زهير**: تحقيق ناصيف سليمان عواد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٦٩ ـ **شرح الحماسة**: أبو علي المرزوقي، تحقيق عبد السلام هارون، تصوير دار الجيل، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٧٠ ـ **شرح الحماسة**: التبريزي، دار القلم، بيروت.

١٧١ ـ **شرح الشواهد**: العيني (بهامش حاشية الصبان)، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

١٧٢ ـ **شرح الكافية البديعية**: صفي الدين الحلي، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي، المجمع العلمي بدمشق، ١٤٠٢هـ.

١٧٣ ـ **شرح المفصل**: ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.

١٧٤ ـ **شرح المقدمة الأدبية**: ابن عاشور، تصوير الدار العربية، ليبيا ـ تونس ١٣٩٨هـ.

١٧٥ ـ **شرح المقدمة الأدبية**: ابن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٣٧٧هـ.

١٧٦ ـ **شرح المواهب اللدنية**: الزرقاني، المطبعة العامرة، مصر، ١٣٢٩هـ.

١٧٧ ـ **شرح الواحدي على ديوان المتنبي**: الطبعة الأوربية.

١٧٨ ـ **شرح صحيح مسلم**: محيي الدين النووي، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤٢٥هـ.

١٧٩ ـ **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**: جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ.

١٨٠ ـ **شرح فصيح ثعلب**: المنسوب للزمخشري، تحقيق الدكتور إبراهيم الغامدي، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.

١٨١ ـ **شرح قصيدة كعب بن زهير**: ابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور محمود أبو ناجي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

١٨٢ ـ **شرح مقامات الحريري**: أبو العباس الشريشي، المطبعة العامرة، مصر، ١٣١٤هـ.

١٨٣ ـ **شروح التلخيص**: القزويني، التفتازاني، ابن يعقوب، السبكي، مطبعة بولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٧هـ.

١٨٤ ـ **الشعر والشعراء**: ابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، تصوير دار الحديث، القاهرة.

١٨٥ ـ **شيخ الإسلام محمد الطاهر ابن عاشور**: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ.

١٨٦ ـ **الصاحبي**: أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

١٨٧ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: القلقشندي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر.

١٨٨ ـ **الصحاح**: إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٨٩ ـ **صحيح الإمام البخاري (مع الفتح لابن حجر)**: دار السلام، الرياض.

١٩٠ ـ **صحيح الإمام مسلم (مع شرح النووي)**: تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤٢٥هـ.

١٩١ ـ **الصناعتين**: أبو هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي وزميله، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ.

١٩٢ ـ **طبقات الشعراء**: ابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.
١٩٣ ـ **طبقات الشافعية**: ابن قاضي شهبة، تصحيح الدكتور الحافظ عبد العليم، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
١٩٤ ـ **طبقات فحول الشعراء**: ابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود شاكر، دار المدني، جدة.
١٩٥ ـ **الطرائف الأدبية** صححه وشرحه عبد العزيز الميمني، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩٦ ـ **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز**: يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق الدكتور عبد المحسن العسكر، (رسالة دكتوراه ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية اللغة العربية) ١٤٢٠هـ.
١٩٧ ـ **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز**: يحيى بن حمزة العلوي، تصحيح سيد بن علي المرصفي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ.
١٩٨ ـ **عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده**: الدكتور أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.
١٩٩ ـ **عروس الأفراح** (ضمن شروح التلخيص).
٢٠٠ ـ **العقد الفريد**: ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق إبراهيم الأبياري وزملاؤه، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٤٠٢هـ.
٢٠١ ـ **العمدة في صناعة الشعر ونقده**: ابن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٠٢ ـ **عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب**: محمد النيفر، تونس، ١٣٥١هـ.
٢٠٣ ـ **عيار الشعر**: ابن طباطبا، تحقيق الدكتور عبد العزيز المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٠٤ ـ **عيون الأخبار**: ابن قتيبة، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٠٥ ـ **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**: محمد السفاريني الحنبلي، مكتبة الرياض الحديثة.
٢٠٦ ـ **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**: صلاح الدين الصفدي، القاهرة.
٢٠٧ ـ **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم**: جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية.

٢٠٨ ـ **فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال** (الشرح الكبير): محمد بن عمر «بحرق»، تحقيق الدكتور مصطفى نحاس، جامعة الكويت، ١٤١٤هـ.

٢٠٩ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض.

٢١٠ ـ **الفهرست**: ابن النديم، اعتنى بها الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢١١ ـ **فوائد في حديث الغمامة وغيره**: ابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور آل سلمان، وزميله، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١٢ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: المناوي، توزيع دار إحياء السنة النبوية.

٢١٣ ـ **فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح**: محمد ابن الطيب الفاسي، تحقيق محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٢١٤ ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروزآبادي، تصحيح الشيخ الهوريني، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

٢١٥ ـ **قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي**: عبد العزيز الشعلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٣هـ.

٢١٦ ـ **قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي**: الدكتور علي العماري، مكتبة وهبه، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢١٧ ـ **قلائد العقيان**: الفتح ابن خاقان، القاهرة، ١٢٨٣هـ.

٢١٨ ـ **قواعد الشعر**: أحمد بن يحيى «ثعلب»، شرحه محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

٢١٩ ـ **القوافي**: سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق، ١٣٩٠هـ.

٢٢٠ ـ **القوافي**: نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق محمد عزير شمس (ضمن روائع التراث)، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

٢٢١ ـ **الكامل في التاريخ**: ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٢٢ ـ **الكامل**: محمد بن يزيد المبرد، حققه وعلق عليه الدكتور محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٢٣ ـ **كشف الظنون**: حاجي خليفة، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٤ ـ **كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان**: إبراهيم الأحدب الطرابلسي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٨٠م.

٢٢٥ ـ **الكليات**: أبو البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور عدنان درويش وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٢٦ ـ **لجام الأقلام**: أبو تراب الظاهري، مكتبة تهامة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٢٧ ـ **لسان العرب**: ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٢٢٨ ـ **المبسوط في القراءات العشر**: أبو بكر الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٢٩ ـ **المثل السائر**: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي وزميله، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٣٠ ـ **المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع**: الدكتور عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٣١ ـ **مجلة الرسالة** العدد رقم (٢٠٥).

٢٣٢ ـ **مجلة الهداية الإسلامية** (الجزء الخامس من المجلد الثالث عشر الصادر في ذي القعدة ١٣٥٩هـ).

٢٣٣ ـ **مجلة كلية الدراسات الإسلامية** بسوهاج، العدد الرابع، ١٤٠٨هـ.

٢٣٤ ـ **مجلة مجمع اللغة العربية**: دمشق، المجلدات: التاسع والعشرين، والثلاثين، والحادي والثلاثين، ١٣٧٣ ـ ١٣٧٥هـ.

٢٣٥ ـ **مجمع الأمثال**: أحمد بن محمد الميداني، قدم له نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٦ ـ **مجموع فتاوى ابن تيمية**: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.

٢٣٧ ـ **محاضرات الأدباء**: الراغب الأصفهاني، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

٢٣٨ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**: صفي الدين البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ.

٢٣٩ ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي القاري، قرأه وخرج حديثه صدقي العطار، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٤٠ ـ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وصاحباه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

٢٤١ ـ **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله الحاكم، تصوير دار المعرفة، بيروت.

٢٤٢ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف**: أبو الفتح الأبشيهي، تحقيق عبد اللطيف سامر، وزميله، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٤٣ ـ **المستقصى في أمثال العرب**: الزمخشري، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٤٤ ـ **المسند**: الإمام أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣١٣هـ.

٢٤٥ ـ **مشاهير القرن العشرين**: محمد بوذينة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٢٤٦ ـ **مصادر الشعر الجاهلي**: الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٢٤٧ ـ **المصباح شرح المفتاح**: الجرجاني، تحقيق الدكتور فريد النكلاوي، (رسالة دكتوراه ـ جامعة الأزهر) ١٣٩٧هـ.

٢٤٨ ـ **المصون في الأدب**: أبو أحمد العسكري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٢٤٩ ـ **المطول**: سعد الدين التفتازاني، القسطنطينية، ١٣٣٠هـ.

٢٥٠ ـ **المعارف**: ابن قتيبة، حققه الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.

٢٥١ ـ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**: عبد الرحيم العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.

٢٥٢ ـ **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٥٣ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٥٤ ـ **معجم الشعراء**: المرزباني، تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٩هـ.

٢٥٥ ـ **المعجم الكبير**: الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٢٥٦ ـ **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: الدكتور أحمد مطلوب، مكتبة لبنان.

٢٥٧ ـ **معجم النقد العربي القديم**: الدكتور أحمد مطلوب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩م.

٢٥٨ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٥٩ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**: طاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٦٠ ـ **مفتاح العلوم**: السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦١ ـ **مفتاح العلوم**: السكاكي، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

٢٦٢ ـ **المفردات في غريب القرآن**: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٦٣ ـ **المفضليات**: المفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد شاكر وزميله، الطبعة السادسة.

٢٦٤ ـ **مقالات ابن عاشور**: إعداد علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤٢٢هـ.

٢٦٥ ـ **مقامات الحريري**: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٩هـ.

٢٦٦ ـ **مقدمة ابن خلدون**: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٦٧ ـ **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**: أبو محمد السجلماسي، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٦٨ ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**: حازم القرطاجي، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ١٩٦٦م.

٢٦٩ ـ **منهج المرزوقي في الخصومة النقدية حول أبي تمام**: الدكتور مصطفى عليان، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ.

٢٧٠ ـ **المؤتلف والمختلف**: أبو القاسم الآمدي، تصحيح ف. كرنكو، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٤هـ.

٢٧١ ـ **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**: أبو القاسم الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

٢٧٢ ـ **موجز البلاغة**: ابن عاشور، تصوير مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٦هـ.

٢٧٣ ـ **الموشح**: المرزباني، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٧٤ ـ **الموضوعات**: ابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، مطبعة المجد بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

٢٧٥ ـ **نشر البنود على مراقي السعود**: سيدي عبد الله العلوي الشنقيطي، اللجنة المشتركة بين حكومتي المغرب والإمارات.

٢٧٦ ـ **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري، أشرف على تصحيحه الأستاذ علي محمد الضباع، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٧ ـ **نضرة الإغريض في نصرة القريض**: المظفر العلوي، تحقيق الكترة نهى عارف، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٢٧٨ ـ **نفح الطيب**: المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٢٧٩ ـ **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**: عبد الغني النابلسي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٨٠ ـ **نقد الشعر**: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٢٨١ ـ **نقد النثر**: قدامة بن جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٢ ـ **نَكْت الهِميان في نُكت العميان**: صلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي بك، ١٤٠٤هـ.

٢٨٣ ـ **النكت في إعجاز القرآن**: الرماني، حققها محمد خلف الله، وزميله (ضمن رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.

٢٨٤ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب**: شهاب الدين النويري، دار الكتب المصرية، ١٣٤٢هـ.

٢٨٥ ـ **نهاية الإيجاز**: الفخر الرازي، تحقيق الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٢٨٦ ـ **النوادر في اللغة**: أبو زيد الأنصاري، تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٨٧ ـ **هدية العارفين في الذيل على كشف الظنون**: إسماعيل باشا، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٨ ـ **الوافي بالوفيات**: الصفدي، تحقيق طائفة من المحققين، النشرات الإسلامية، ١٤٠١ ـ ١٤١٣هـ.

٢٨٩ ـ **الوحشيات (الحماسة الصغرى)**: أبو تمام، حققه عبد العزيز الميمني، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

٢٩٠ ـ **الوساطة بين المتنبي وخصومه**: القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزميله، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٢٩١ ـ **وفيات الأعيان**: ابن خلكان: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة